خادم الحرمين يرعى حفل افتتاح معرض وندوات «الفهد .. روح القيادة»



خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز أثناء تدشين موسوعة الملك فهد بن عبد العزيز (رحمه الله)

رعى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، مساء اليوم، 31 آذار/مارس 2015 معرض وندوات تاريخ الملك فهد بن عبدالعزيز "الفهد .. روح القيادة" التي ينظمها أبناء وأحفاد الملك فهد - رحمه الله - بالتعاون مع "دارة الملك عبدالعزيز"، وذلك في مركز الرياض الدولي للمؤتمرات والمعارض، بعدها دشن خادم الحرمين الشريفين موسوعة الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله -: التي أصدرتها دارة الملك عبدالعزيز بهذه المناسبة في عشر مجلدات يزيد عدد صفحاتها عن 5700 صفحة، توثق لحياة الملك فهد (1340 . 1426هـ. 1920- . 2005م)، وسيرته وإنجازاته قبل وبعد توليه الحكم، كما تشمل خطبه وكلماته وحواراته الصحفية وأحاديثه الإعلامية، وشهادات تاريخية لمن عاصروه أو عملوا معه أو قابلوه من الوزراء السعوديين والمفكرين والساسة الدوليين والإعلاميين، إلى جانب ببلوجرافيًا للكتب المطبوعة عنه باللغات المختلفة في عهده، ومعجمًا لموضوعات الموسوعة، وصورًا مختارة من مراحل حياته تعكس مراحل إدارته شؤون البلاد، وشهد المعرض زيارة عدد من الوفود الرسمية والمسؤولين والأمراء والسفراء المعتمدين لدى المملكة ووفد من ضباط قوات درع الجزيرة، وأعضاء مجلس شورى ورياضيين وأدباء ومثقفين وفنانين تشكيليين، إضافة إلى طلاب وطالبات المدارس والجامعات والكليات المتخصصة وطلبة من ذوي الاحتياجات الخاصة.

واطلع الزوار على محتويات المعرض وما يضمه من مقتنيات شخصية ووثائق رسمية عن حياة وإنجازات الملك فهد، إضافة إلى المخطوطات والأوسمة والأوشحة التي تقلدها الملك الراحل.

وأقيمت على هامش المعرض ندوات عن تاريخ الملك فهد رحمه الله وجلسات نقاش شارك فيها 29 متحدثًا وباحثًا تاريخيًا ومختصًا قدموا خلالها أكثر من 40 بحثًا ودراسة وورقة عمل عن إنجازات الفهد التاريخية والثقافية والتعليمية.

ويعد المعرض (الفهد .. روح القيادة) يمثل رصد لمسيرة الملك فهد يرحمه الله والذي كانت له بصمة في كل معالم النهضة الحديثة لبلادنا سواء على المستوى السياسي والاقتصادي أو الأمني والتعليمي.







إعلان أسماء الفائزين "جائزة الشيخ زايد للكتاب" في دورتها التاسعة

أعلنت "جائزة الشيخ زايد للكتاب" أسماء الفائزين في دورتها التاسعة 2014-2015.

في فرع الآداب: كتاب "مجانين بيت لحم" للصحافي الفلسطيني والروائي أسامة العيسة، من إصدار نوفل- هاشيت أنطوان – بيروت 2013.

وفي فرع الترجمة: ترجمة لثلاثية نجيب محفوظ: "قصر الشوق" 2012، "بين القصرين" 2011، و"السّكرية" 2012 للبروفيسور هاناوا هاروو من اليابان، والثلاثية من منشورات كوكوشو كانوكاي، اليابان.

وفي فرع الثقافة العربية في اللغات الأخرى: كتاب "تأثير الليالي العربية في الثقافة اليابانية" للمؤرخ والكاتب سوغيتا هايدياكي من اليابان، من منشورات إيوانامي شوتن، طوكيو 2012. يتناول الكتاب تطور نظرة اليابانيين للثقافة العربية بعيون يابانية منصفة وغير منفعلة بمقولات الاستشراق.

وفي فرع النشر والتقنيات الثقافية: فازت بالجائزة "الدار العربية للعلوم ناشرون"، لبنان.

وذلك أن الدار ظلت منذ تأسيسها قبل ثلاثين عامًا تصدر عن مشروع معرفي، وهذا المشروع يتمثل في الحرص على نشر الكتابات العلمية والفكرية والإبداعية التي تسهم في حركة التنوير، وترتقي بوجدان القارئ العربي، من خلال نشر الأعمال العلمية والفكرية والإبداعية ، لهذا بقيت الدار تنشر الجديد والجاد وتتوجه إلى مختلف الشرائح العمرية، وتهتم بالترجمة عن اللغات الحية، وتشارك في المعارض التي تقام في شتى أنحاء العالم العربي والعالم.

وأعلن مجلس أمناء الجائزة عن حجب الجائزة في فروع "التنمية وبناء الدولة" و"الفنون والدراسات النقدية" و"المؤلف الشاب"، وأخيراً "أدب الطفل والناشئة"، وذلك لأن الأعمال المشاركة لم تحقق المعايير العلمية والأدبية، ولم تستوف الشروط العامة للجائزة.

ويذكر أن جائزة "شخصية العام الثقافية" سيتم الإعلان عنها خلال الفترة القادمة، ويقام حفل تكريم الفائزين بالتزامن مع معرض أبوظبي الدولي للكتاب والذي يقام خلال الفترة من 7-13 أيار/مايو 2015.

احتفال مصري بيوم المخطوط العربي في القاهرة



أقام معهد المخطوطات العربية في القاهرة أمس احتفالا بمناسبة "يوم المخطوط العربي"، شارك فيه خبراء وباحثون ومهتمون، وتم فيه تكريم شخصية العام التراثية وكتاب العام التراثي، إضافة إلى اسم خطاط المصحف الشريف الراحل سيد إبراهيم.

ونظم المعهد معرضًا لتطور كتابة وتدوين المصحف الشريف، على هامش الاحتفال الذي أقيم بأحد الفنادق بالعاصمة المصرية تحت عنوان "المخطوط العربي.. أسرار من الماضي وأفكار للمستقبل".

وفي كلمته أشار مدير معهد المخطوطات العربية د. فيصل الحفيان إلى أن الاحتفال بيوم المخطوط العربي يقيمه المعهد للعام الثالث على التوالي على اعتبار أن المخطوط يمثل رمزًا كبيرًا لتراثنا العربي والإسلامي، الذي أعطى الكثير لمسيرة العلم والحضارة الإنسانية، بحسب قوله.

وكرم الاحتفال أستاذ التاريخ بجامعة الأزهر د. أيمن فؤاد سيد، الذي ترجم كتاب "المدخل إلى علم كتابة الحرف العربي" عن الفرنسية، وتم اختياره "كتاب العام التراثي".

وأكد الحفيان أن رسالة الاحتفال تتلخص في دعوة غير المختصين إلى التعرف على عالم المخطوطات ودمجه في الثقافة المعاصرة وفتح خزائن التاريخ والاطلاع على نفائسها، لأن المخطوطات هي أنفس ما في خزائن التاريخ، بوصفها مستودعا لآثار العقول التي طواها الزمن.

وأكد محارب أن المخطوط العربي حمل لنا كل العلوم والمعارف التي أنتجها العقل الإسلامي، ومن الوفاء لهذا المخطوط والقيام بحقه أن ننتج مخطوطا جديدًا، أي معرفة جديدة نحن مبتكروها، لا مستنسخوها ولا مقتبسوها ولا آخذوها ولا متلقوها من غيرنا.

من جهته أكد المؤرخ د. عبد الله عسيلان أن رحلته مع المخطوطات جعلته يكتشف العقلية المبدعة للعلماء المسلمين في كل مجال من مجالات العلم والمعرفة، وأن أجيالاً تجافت جنوبها عن المضاجع وهي تشيد صروح حضارتها من خلال آلاف المجلدات من المخطوطات، التي كانت داخل نطاق مكتبة شيخ الإسلام "عارف حكمت" في قبلة المسجد النبوي.

ومن ناحيته أشار المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم د. عبد الله محارب إلى أن "معهد المخطوطات العربية" تأسس عام 1946، وأن المخطوط الذي نحتفي به، وإن كان كتابًا تاريخيًا، فإن المعرفة الأصيلة لا ينال منها الزمن.

الروائي أخيل شارما يفوز بجائزة فوليو الأدبية

تكلل عمل المؤلف الأمريكي المولود في الهند أخيل شارما في تأليف ونشر روايته "فاميلي لايف" بفوزه بجائزة فوليو الأدبية السنوية التي تقام بإنجلترا، في دورتها الثانية، وقيمتها أربعون ألف جنيه إسترليني (نحو ستين ألف دولار).

واختير شارما (43 عامًا) من بين قائمة مختصرة ضمت ثمانية مؤلفين، لروايته التي تتناول قصة عائلة هندية تهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية والمأساة التي تحوّل "حلمهم الأمريكي" إلى "كابوس"، وقد كتبها على امتداد 13 سنة.

ويقول رعاة الجائزة إنها مخصصة لتكريم "أفضل رواية باللغة الإنجليزية من أنحاء العالم"، نشرت في بريطانيا بغض النظر عن القالب أو الشكل المقدمة فيه أو جنسية المؤلف.

وقال الكاتب البريطاني وليام فينيس رئيس لجنة التحكيم في بيان إعلان الفائز بالجائزة التي أسستها دار نشر "فوليو سوسايتي" للكتب التراثية الفاخرة، "فاميلي لايف رواية متقنة لتعقيدات متسلسلة عن كارثة ونجاة، اتصال واستقلال، تجاذب بين الأنانية والمسؤولية".

وأضاف فينيس "أعجبتنا بساطتها الخادعة وهدوؤها النادر، أكثر من عشر سنوات في الكتابة.. هذا عمل فني يقرأ أكثر من مرة، ورواية ستبقى".

وولد شارما في دلهي في الهند وهاجر إلى الولايات المتحدة عام 1979، ونشرت رواياته في مجلتي "نيو يوركر" و"أتلانتك مانثلي"، ودخلت ضمن قائمة "أفضل القصص القصيرة الأمريكية" ومجموعة جائزة "أو. هنري".

واختير شارما عام 2007 ضمن قائمة مجلة "غرانتا" لأفضل الأدباء الأمريكيين الشبان.



أخيل شارما

رحيل الأكاديمي المغربي البارز عبد الهادي التازي

غيب الموت، الخميس 2 نيسان/أبريل 2015، المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي عضو أكاديمية المملكة المغربية عن سن ناهز 94 سنة.

ونال التازي المولود في 15 حزيران/يونيو 1921 بمدينة فاس شهادة العالمية من جامعة القرويين سنة 1947 ، حيث عين أستاذًا بها سنة 1948 ، كما حصل سنة 1953 على بروفي معهد الدراسات المغربية.

وحصل سنة 1963 على دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بالرباط، وشهادة في اللغة الإنجليزية من معهد اللغات بمدينة بغداد سنة 1966 وفي سنة 1971 تمكن من الحصول على شهادة دكتوراه الدولة من جامعة الإسكندرية، حيث كان موضوع الأطروحة: "جامعة القرويين".

كما عمل التازي، سفيرًا للمملكة المغربية لدى مجموعة من الدول منها ليبيا، والعراق، والإمارات العربية، وتقلد عدة مناصب، فكان سفيرًا للمغرب بالعراق ثم سفيرًا للمغرب في ليبيا، ثم مديرًا للمعهد الجامعي للبحث العلمي، وفقًا لما ذكر موقع "هسبريس".

واشتغل أيضًا مديرًا للمعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط، وساهم في تأسيس اتحاد كتاب المغرب وأكاديمية المملكة المغربية. وللتازي أعمال في مجال التحقيق منها، تاريخ المن بالإمامة: لابن صاحب الصلاة والفريد في تقييد الشريد: لأبي القاسم الفجيجي.

ومن الأعمال التي قام بترجمتها إلى اللغة العربية "حقائق عن الشمال الإفريقي"، ساعات من القرن الرابع عشر في فاس" وغيرها.



عبد الهادي التازي

مؤتمر العربية وعالم المعرفة في القاهرة

انطلقت في 23 آذار/مارس 2015 فعاليات الدورة الـ81 لمؤتمر مجمع اللغة العربية بمقره في القاهرة تحت عنوان "اللغة العربية وعالم المعرفة"، بمشاركة باحثين وخبراء في العربية واللسانيات من أكثر من 15 دولة عربية وأجنبية.

ويناقش المؤتمر السنوي على مدى أسبوعين في 19 جلسة علمية علنية ومغلقة عددا من المحاور، منها التخطيط اللغوي والتنمية اللغوية، وقضايا الترجمة والتعريب، واللغة العربية في وسائل الاتصال الإلكتروني.

إضافة إلى مقترحات عملية للتقريب بين المجامع العربية في موضوعات، منها المصطلح العلمي، والأرقام، وكتابة الحروف، والرسم الإملائي، وأسماء الشهور، وتستمر أعمال المؤتمر حتى 6 نيسان/أبريل 2015.



مهرجان ثقافي بالجزائر للقراءة



يهدف المهرجان لتشجيع الأطفال على القراءة

انطلقت في 21 آذار/مارس 2015 بمختلف أنحاء الجزائر فعاليات مهرجان "القراءة في احتفال" الذي يستمر حتى الرابع من نيسان/أبريل 2015، وسط إقبال من مختلف شرائح المجتمع.

واختار المنظمون هذا التاريخ لتزامنه مع بداية فصل الربيع واليوم العالمي للشعر، لإعطاء نفس جديد للمهرجان الذي يحتفي بالمطالعة.

المهرجان -الذي أطلق قبل سنوات في ست ولايات- تطور بعد ذلك لينظم في مدتين زمنتين مختلفتين بين الشمال والجنوب بسبب اختلاف العوامل المناخية بين المنطقتين.

غير أن المنظمين يرمون من خلال هذا التاريخ الجديد لتوحيد كل المناطق مع أول أيام الربيع.

ويطمح المنظمون إلى أن تصل الاحتفالية إلى أبعد المناطق في بلاد مترامية الأطراف من خلال مكتبات متنقلة في عربات كبيرة.

وتحوي هذه العربات آلاف العناوين التي تحاول أن تمس مختلف أذواق القراءة، ويحظى الأطفال والشباب بالاهتمام الأوفر في هذه التظاهرة، إضافة إلى فئات أخرى من خلال النقاشات العلمية والأكاديمية في ندوات يشارك فيها كتّاب وخبراء.

المتاحف الخاصة بتركيا تتفوق على المتاحف العمومية



تنوع كبير قد يصل حد الغرابة.. هذا ما ينتظر زوار المتاحف الخاصة في تركيا، حيث تختلف معروضاتها بين الفنية والثقافية والزراعية والصناعية، أو حتى مقتنيات شخصية كالأحذية والحقائب.

وقد ارتفع عدد المتاحف الخاصة مؤخرا إلى 193 متحفًا، لتتجاوز أعداد المتاحف الحكومية لأول مرة في تاريخ تركيا، مع ارتفاع كبير في عدد زوارها الذي وصل إلى عشرة ملايين العام الماضي.

ويرى كثيرون أن هذه المتاحف بدأت في سحب البساط من تحت أقدام نظيراتها الحكومية، إلا أن الحكومة تعد هذه المتاحف الخاصة تلعب دورًا مكملاً لا منافسًا لمتاحفها العامة، وأنها انعكاس طبيعي للتطور الذي تعيشه البلاد.

وأوضح نائب رئيس مديرية الثقافة والسياحة أن الدولة تدعم هذه المتاحف الخاصة بتقديم إعفاءات ضريبية وتسهيلات إدارية، وأكد زولكوف يلماظ أن ارتفاع عدد المتاحف الجيدة يدل على ارتفاع المستوى الثقافي والاقتصادي للمجتمع.

رحيل الكاتب المصري سليمان فياض



سليمان فياض

توفي يوم الخميس 26 شباط/فبراير 2015 الكاتب المصري سليمان فياض عن عمر يناهز 86 عامًا بعد صراع مع المرض، وخلف الراحل عشرات المؤلفات التي تتناول القصة والرواية وسير أعلام العرب وعلم اللغة والقواميس وتطور اللغة العربية.

ولد محمد سليمان عبد المعطي فياض عام 1929 في الدقهلية وتخرج في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام 1956 ثم عمل في مجال الإعلام وخبيرًا لغويًا في مشروع تعريب الكمبيوتر لبعض برامج اللغة العربية لصالح شركات مصرية وعربية.

وبدأ فياض كاتبًا للقصة القصيرة وأصدر مجموعات قصصية منها "عطشان يا صبايا" 1961 و"وبعدنا الطوفان" 1968 و"أحزان حزيران" 1969 و"ذات العيون العسلية" 1992، أما روايته "أصوات" التي صدرت عام 1972 فترجمت إلى عدة لغات، وكانت آخر رواياته "أيام مجاور" في العام 2009.

كما كتب فياض عن أعلام العرب على غرار ابن النفيس وابن الهيثم وابن بطوطة والبيروني وجابر بن حيان وابن البيطار وابن سينا والفارابي والخوارزمي والإدريسي والدميري وابن رشد وابن ماجد والقزويني والجاحظ وابن خلدون.

وألف فياض في مجال علم اللغة معجم الأفعال العربية المعاصرة والدليل اللغوي وأنظمة تصريف الأفعال العربية والأفعال العربية الشاذة.

مستقبل الصحافة الورقية نحو الأفول

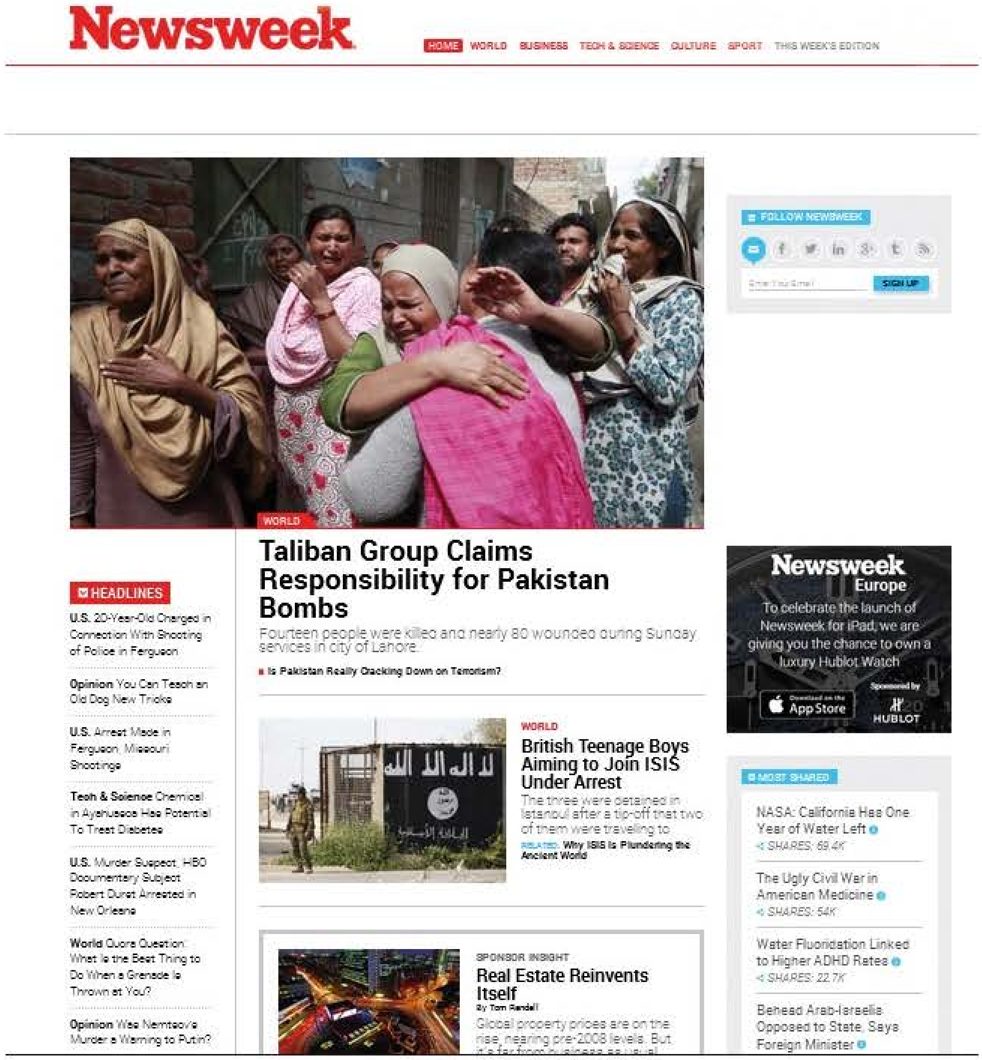
أنا لست ميتًا.. ولكني أبدو هكذا!! عبارة هادئة هازئة، ذكرها أحد الفلاسفة وهو يطالع ملامحه الشاحبة، وقواه المنسرقة، وبدنه المعتل، فهل باتت الصحافة الورقية في مسيرها ومصيرها تحكي لنا صورة نسخة غير منقحة من قسمات الأحياء الموتى في نزعهم الأخير كما يمثلها ذلك الرجل؟ وهل سيسهم الواقع المعيش – وعلى رأسه قطاع كبير من النخب المثقفة – في إعلان وفاة الصحافة الورقية ليتماهى دورها مع ما حكاه أحد الملوك وهو يجود بنفسه على فراش الموت: إنني أموت بمعاونة أكثر الأطباء شهرة!!

لقد شهدت الصحافة الورقية خلال السنوات الأخيرة أزمة حقيقية، أخذت تتفاقم من سنة إلى أخرى في العديد من الدول الغربية المتقدمة نتيجة لثورة الاتصالات والمعلومات وظهور شبكة الإنترنت، وتتمثل هذه الأزمة في عزوف الكثير من القراء عن اقتناء أو مطالعة الصحف الورقية ونشوء جيل جديد لم يعد يتعامل مع الورق، وفي تغيُّر أنماط الاهتمام والقراءة لدى مجتمع المعرفة، وشيوع ثقافة الحصول المجاني على المعلومة، كل هذا أدى إلى التراجع المتواصل لمبيعات الصحف الورقية وانخفاض عائداتها من الإعلانات، التي تتحرك بسرعة صوب شبكة الإنترنت.

ومع دخول التطور الهائل الذي تحقق بوسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات في المدة الأخيرة؛ ليغير خريطة المنافسة في عالم الصحافة التي بدأت تتحول إلى متغيرين مختلفين؛ هما: الصحف الورقية، والإلكترونية، بعد أن كانت هذه المنافسة تقتصر بين الورقية وبعضها فحسب. واكتسب هذا النوع الجديد من الصحافة أهمية بالغة منذ ظهوره أوائل التسعينيات من القرن الماضي، وتزايدت أهمية الصحافة الإلكترونية مع توالي الأعوام وانتشار الإنترنت، وتضاعُف أعداد مستخدميه، فأصبحت غالبية المؤسسات الصحفية على الصعيدين العالمي والعربي، تمتلك مواقع إلكترونية لمطبوعاتها الورقية، لكن الجديد هو ظهور نوع جديد من الصحف غير التقليدية، وهو ما عُرف بـ (الصحف الإلكترونية)، والتي يقتصر إصدارها على النسخة الإلكترونية دون المطبوعة، كما يعود صدور أول نسخة إلكترونية في العالم إلى عام 1993م؛ حيث أطلقت صحيفة سان جوزيه ميركوري الأمريكية نسختها الإلكترونية، تلاها تدشين صحيفتي (ديلي تليغراف والتايمز) البريطانيتين نُسختهما الإلكترونية عام 1994م، وعربيًّا أصدرت أول صحيفة عربية نسختها الإلكترونية منذ أكثر من ثلاثة عشر سنة وهي صحيفة الشرق الأوسط الصادرة من لندن، تزامن معها إصدار النسخة الإلكترونية لصحيفة النهار اللبنانية.

وتُعد صحيفة إيلاف التي صدرت في لندن عام 2001م أول صحيفة إلكترونية عربية، أما اليوم وبعد مُضي ما يقرب من 12 عامًا على هذه التجربة، لا نكون مبالغين حين نقول: إن بإمكان متصفح الإنترنت العربي العثور يوميًّا على المزيد من الصحف الإلكترونية العربية الوليدة، لم تعدُ أعمارها الأيام أو الأشهر، فعلى الرغم من انخفاض نسبة قراءة الصحف بشكل عام – وفقًا للدراسات في هذا المجال – فإن عدد قرَّاء الصحف الإلكترونية – كما تشير الدراسات نفسها – في ازدياد مستمر، ويوضِّح تقرير صدر عن مركز بيو للأبحاث مؤخرًا تناول تحديات الصحافة الورقية والإلكترونية ومستقبلها، أن مزيدًا من الأمريكيين يتجهون إلى الإنترنت لمعرفة الأخبار، في مقابل انخفاض قراء الصحف المطبوعة أو الورقية.

كل هذا أثر بشكل واضح في مستقبل الصحافة الورقية ولقد رأينا كيف توقفت صحيفة (ذي لندن بيبر) المسائية المجانية عن الصدور بعد ثلاث سنوات من انطلاقها وتوزيعها نصف مليون نسخة يوميًا في مركز العاصمة البريطانية ومحطات القطارات، وكانت تتلقفها الأيادي من 700 موزع منتشرين في لندن مجانًا مساء كل يوم، فيما يتركها القراء في القطارات لغيرهم في تقليد عن شيوع القراءة بين المسافرين، كما ذكرت مصادر في إدارة الصحيفة التابعة لشركة الملياردير روبيرت مردوخ، أنها خسرت 21.2 مليون دولار أمريكي لغاية السنة المالية المنتهية في حزيران/يونيو 2008، وقالت إنها ستبلغ العاملين فيها والبالغ عددهم 60 موظفًا وصحفيًا بأمر



الإغلاق.

ويأتي خبر إغلاق صحيفة (ذي لندن بيبر) بعد الإعلان عن إغلاق أكثر من مائة صحيفة محلية في بريطانيا، بسبب تفاقم الأزمة الاقتصادية والمنافسة الحادة مع الإعلام الإلكتروني.

وتنوي المجموعة الإعلامية الأمريكية (نيوز كورب) التي أعلنت تسجيلها خسائر، فرض رسوم على قراء نسخها الإلكترونية، وهو قرار قد يدفع بحسب رئيسها روبيرت مردوخ إلى تعديل مبدأ مجانية الإعلام على الإنترنت.

وفي العالم العربي نرى مجلة (الأسبوع العربي) التي صدرت قبل 55 عاماً، علماً بأن بعض المجلات السعودية تصدر منذ 60 عاماً، ولكن تحول (الأسبوع العربي) إلى النسخة الإلكترونية كلياً، انسجم مع دورها كمجلة سياسية تتابع الشأن العربي، وتطوراته أولاً بأول، وبالمناسبة قرار التحول هنا جاء بعد تجربة عام كامل وطوال الـ 2013م، نتيجة المشاكل المالية وعوائد التوزيع والإعلان نتيجة تبعات (الثورات العربية) منذ 2010م وحتى اليوم، فبشهادة الصحفيين والعاملين في هذه المؤسسة الإعلامية العربية، كان هناك خيار الإغلاق الكلي، أو قرار التحول الإلكتروني بأقل الخسائر ودخول مضمار المنافسة مع مواقع إخبارية الكترونية عربية مماثلة؟!

وكذلك مجلة الآداب اللبنانية التي تصدر منذ 1953 توقفت عن الإصدار الورقي في عام 2012 وأصبحت تصدر فقط إلكترونيًا.

وقد لجأت مجموعة كبيرة من الصحف ذائعة الصيت إلى تقليص أرقام توزيعها وإلغاء آلاف الوظائف وتسريح عدد كبير من العاملين فيها، بينها صحف، واسعة الانتشار مثل (شيكاغو تريبيون)، و(بوسطن جلوب) و(أنجلوس تايمز)، وحتى المجلة الأوسع انتشارًا في العالم وهي مجلة تايم الأمريكية الشهيرة.

وثمة صحف أخرى، تحولت إلى صحف رقمية، مثل (كريستيان ساينس مونيتور) التي ألغت طبعتها الورقية منذ العام 2008، واكتفت بنسخة رقمية على موقعها على شبكة الإنترنت.

وأعلنت (مجلة نيوزيوك) الأسبوعية الأمريكية الشهيرة تسدل الستار على 80 عامًا كمجلة مطبوعة توقف نسختها الورقية عن الصدور وتفتتح عصرها الرقمي.

وكشفت مؤخرًا عن غلاف نسختها الأخيرة بالأبيض والأسود، وفيه يظهر مقرها الرئيسي في مدينة مانهاتن مع عبارة #Last Print Issue المستوحاة من نمط التغريدات في تويتر وفي ذلك إشارة إلى انتصار بمعركة جديدة للإعلام الرقمي على منافسه الورقي.



وستطل المجلة اعتبارًا من عام 2013 على قرائها بصورة رقمية وباسم جديد (نيوزويك غلوبال) مستهدفة متصفحي الويب عبر مختلف المنصات الرقمية وفقًا لما ذكرت رئيسة التحرير تينا براون.

كما أن هناك عاملان أساسيان ساهما في التحول الرقمي الذي نهجته (نيوزويك) أولهما تدني العائدات الإعلانية نتيجة لتحول جمهور القراء إلى الإنترنت ولحاق المعلنين بهم.

وثانيهما، عجز (نيوز ويك) عن تقديم محتوى أسبوعي تحليلي متميز عن الأخبار التقليدية الصرفة التي أصبح القارئ يجدها في ثوان على الإنترنت دون الحاجة إلى انتظار مجلة مطبوعة بشكل أسبوعي.

وسبق (نيوزويك) مطبوعات أخرى منها ما أغلق بشكل كامل مثل مجلة (لوس أنجلوس تايمز) ومنها ما تحول إلى الصيغة الرقمية مثل مجلة الكمبيوتر الشهيرة (بي سي ماغازين).

كما توقفت مجلة (يو أس نيوز أند ريبورت)، وهي الثالثة الأوسع انتشارًا في أمريكا في من العام 2010، إضافة إلى



المئات من الصحف المحلية الأمريكية، التي اختفت عن الوجود نهائيًا.

وتشير الإحصاءات، إلى أن عدد الوظائف في الصحافة الورقية الأمريكية قد تقلص بحوالي 30% منذ عام 2008، ومن المتوقع أن تستمر هذه العملية بوتائر أسرع في المستقبل المنظور.

ولم تقتصر الأزمة على الولايات المتحدة، ففي بريطانيا تم إغلاق صحيفة (ذي لندن بيبر) بعد الإعلان عن إغلاق أكثر من مائة صحيفة محلية لفشلها في التكيّف مع ظروف المنافسة الحادة مع الإعلام الإلكتروني، ويبدو، أن صحيفة (الغارديان) اليومية، واسعة الانتشار على وشك إيقاف القطاع المطبوع من الصحيفة وملحقها الأسبوعي الأوبزيرفر نظرًا لتكبد هذا القطاع خسارة تقدر بحوالي 44 مليون دولار سنويًا.

وقد رضخت ثلاث صحف تقليدية كبرى في لندن، إلى أن تعتمد مقاسات أصغر لصحفها، تماشيًا مع باقي الصحف الأخرى التي اعتمدت مقياس أقرب إلى مقاييس صحف التابلويد التصفيفية، كما اضطرت هذه الصحف إلى أن تعيد النظر في تبويباتها الصحافية لتواكب احتياجات سوق الجمهور من القراء.

وفي فرنسا، توقفت جريدة فرانس سوار عن الصدور منذ شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2011، واكتفت بنسخة على الانترنت، وكانت إلى عهد قريب مؤسسة إعلامية مرموقة، عمل فيها مجموعة كبيرة من الإعلاميين على مستوى العالم.

وفي إسرائيل، توقفت صحيفة (معاريف) عن توزيع طبعتها الورقية في الثالث من أيلول/سبتمبر العام الماضي مع استمرار نسختها الإلكترونية على شبكة الإنترنت.



الصحافة الإلكترونية مصداقيتها وقدرة المتلقي على التفاعل معها، فالخبر يقرأ، ثم يتم التعليق عليه والتعديل فيه أكثر من مرة إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وهو ما يتعذر حصوله بسهولة في الصحافة الورقية، لذا لجأت بعض الصحف الورقية إلى إخراج أكثر من طبعة من العدد الواحد من أعدادها (ثلاثة طبعات من العدد الواحد) وذلك في محاولة تطوير الأداء وتصويب بعض الأخبار إذا دعت الضرورة إلى ذلك.

إن البون الشاسع والفرق الواسع بين ما تقدمه الصحافة الإلكترونية في مجال الدعاية والإعلان واضح أشد الوضوح، فالمعلن يدفع 30 ألف جنيه في إعلان على الموقع الإلكتروني في مدة قدرها (15) ساعة، ليشاهدها مليون مستخدم للموقع، وهو حلم بعيد المنال لأي معلن في صحيفة ورقية، وهو ما دعا أحد علماء المستقبليات، وهو الأسترالي (داوسن) إلى توقع أن عام 2022 سوف تموت فيه الصحافة ورسم فيها سيناريو يوم الموت، وحدد بعض الدول التي سيحدث فيها ذلك ومبرراته، مؤكدًا أن المستقبل سوف يكون لأجهزة الكمبيوتر على شاكلة الآيباد، وأن ذلك سيكون هو البديل للصحافة المطبوعة، ولديه مبرراته، ومنها شدة المنافسة، وتغير لأذواق الناس.

من أهم ما يميز الصحافة الإلكترونية وهو ما يمكن الصحفي من التفاعل من خلال الآراء والتعليقات وردود الأفعال، كما تتسم الصحافة الإلكترونية بالمصداقية وشدة التوثيق، وإمكانية تصويب الخبر بعد نشره.

كذلك نلاحظ أن اللامركزية في الصحافة الإلكترونية



من الامور التي سهلت تدفق المعلومات، فالتواصل مستمر بين المحررين في الشوارع والساحات وموطن المعلومة وزملائهم في صالات التحرير.

وهو ما دعا مؤتمر (ألوان) الذي يصدر تقارير عن أهم ما ينتظر الناس من أحوال الصحافة في العالم إلى التأكيد - في آب/أغسطس 2010 - على أن ما يعادل 1.7 مليار شخص يقرؤون الصحافة الورقية في العالم، لكن في مقابل هؤلاء فإن هناك حوالي مليارين من البشر يتعاملون مع الإنترنت وصحافته الإلكترونية.

لا تستطيع الصحف الورقية مجـــاراة الصحف الالكترونية كوسيط نقل جديد للمعلومة والإعـــلان والتنافس مع مواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت - التي تجتذب مئات الملايين من المتصفحين مثل (تويتر)، و(فيسبوك) وغيرهما - في سرعة نشر الخبر للقارئ وقت حدوثه وتحديثه لحظة بلحظة، في زمن يتقادم فيه الخبر بسرعة بالغة، وإتاحة المجال للقراء للمشاركة في تحريرها والتعبير عن آرائهم ومناقشتها مع قراء آخرين بكل حرية على نحو لم يسبق له مثيلاً.

كل ما تقدمه الصحافة الورقية من محتوى مرة في اليوم أو الأسبوع، تقدمه الصحف الرقمية مجاناً وفوراً بكل سهولة، ولعل فوز الصحيفة الإلكترونية (هفنجتون بوست) بجائزة بوليتزر للصحافة لعام 2012 بعد أن تخطت صحفاً عريقة لتنال الجائزة الأهم في الإعلام الأمريكي، هو اعتراف صريح بالتفوق الرقمي على الورقي التقليدي.

ولا يقتصر الاختلاف بين الصحافتين على سرعة النشر والوسيلة المستخدمة لنقل المحتوى كما يظن البعض، فالصحافة الرقمية تقدم خدمات إعلامية كثيرة تعجز عنها الورقية منها الندوات وبرامج المحادثة (الشات) وشريط الاخبار المتحرك، إضافة إلى عدم وجود محددات لحجم المواد المنشورة وزمن العرض، وعلى خلاف الصحافة الورقية فإن الصحيفة الالكترونية بإمكانها تقديم المعلومة الجديدة بالحجم الكامل في أي وقت، كما تسمح شبكة الإنترنت بتراكم المعلومات وحفظها وأرشفتها، وبدلاً من إيراد مقتطفات من المصادر، فإن النشر الالكتروني يسمح للكاتب بوضع روابط لمصادر ومراجع المادة المنشورة سواء أكانت مقالة أو دراسة أو حتى كتاباً كاملاً، بذلك يقتصد الباحث أو الكاتب كثيراً في حجم البحث أو الدراسة.

وثمة إمكانيات فنية أخرى للصحف الالكترونية منها خدمة الانتقال إلى الإذاعات والقنوات الفضائية، وخدمات التعليقات، الردود الآنية، الربط بالمواقع الأخرى والإحصائيات الخاصة بالموقع الالكتروني (عدد القراءات لكل مادة صحفية وتوزيع القراء حسب البلدان والفئات العمرية والتحصيل العلمي وغيرها من البيانات)، التي تتيح للصحيفة الإلكترونية معرفة مواطن القوة والضعف في عملها من أجل التطوير اللاحق.

كتب أحد أبرز المدافعين عن الصحافة الورقية في العالم العربي وهو الصحفي المعروف الأستاذ عبدالرحمن الراشد مقالاً في جريدة الشرق الأوسط يقول فيها:

هل سيصبح مصير الصحف الورقية مثل مصير الحبر والبغال والخيول في زمن ظهور السيارة؟ هل فعلاً حان موعد تفكيك المؤسسات الصحافية والانتقال إلى الوسيلة الجديدة، المواقع الإلكترونية؟ رغم احتفاء الزميلات من المواقع الإلكترونية بأنباء وفيات الصحف المنتشرة في أنحاء العالم، كما لو أن وباء قد أصابها، فإنها قراءة خاطئة في نظري، وستثبت الأيام أن الصحف الورقية باقية لكن بلا ورق، وهنا يقع خلط، وربما تدليس متعمد، بإضافة كلمة الورقية إلى الصحف، فالصحيفة شكلاً ورقية لكنها في واقع الأمر محتوى، أي الأخبار والآراء، أي المنتج المكتوب سواء كان على ورق أو جدران، كما كان يفعل الصينيون في الماضي، حيث تعلق ورقة على لوح في الحي ليصطف الناس في طابور لقراءتها بسبب نقص الورق وكثافة السكان، أو مثل الصحيفة اليوم من خلال الصفحات الإلكترونية.

هذا الرأي – رغم احترامنا للكاتب – غير صحيح، لأن الصحافة الالكترونية تختلف عن الورقية ليس فقط من حيث الوسيلة المستخدمة لتقديم المادة الصحفية أو القراءة، بل من حيث المحتوى أيضاً، فالصحافة الالكترونية لا تقتصر على المنتج المكتوب، بل قدمت أنواعاً جديدة من طرق عرض الخبر مثل الفيديوهات، التي تنقل القارئ مباشرة إلى موقع الحدث بالصوت والصورة في الوقت الذي تكون فيه الصحيفة الورقية مضطرة لانتظار 24 ساعة لطبع الخبر وقد تكون أحداث أخرى قد جرت بعد ذلك، وبهذا تكون الصحف الورقية قد فقدت أهم عنصر من عناصر النجاح وهو ما يسمى بـ(السبق الصحفي).

ويقول مؤلف كتاب (النهاية الحتمية للأعلام الورقي) فيليب مايرز إن آخر مطبوع ورقي سيصدر في عام 2043.

كما تشير الدراسات الخاصة بمستقبل الصحافة الورقية إلى أن الصحافيين أنفسهم يعتقدون أنها ستكون أقل أهمية في الحياة العامة في السنوات القادمة.

ولكننا نعتقد أن تزايد قوة وفاعلية الصحافة الالكترونية، لا يعني بأي حال من الأحوال انقراض الصحافة الورقية المطبوعة في المستقبل المنظور، فما يحدث غالباً أن الوسائط الأكثر الحداثة، لا تؤدي بالضرورة إلى انقراض الوسائل القديمة، فالصحافة الرقمية لا تلغي دور الصحافة الورقية وأنهما يمكن أن يتعايشا مع بعضهما البعض، خاصة وأن لكل منهما قارئه الخاص به ومصدره في استقاء الاخبار.

وساهم في ازدهار الإعلام الرقمي انتشار الأجهزة اللوحية المخصصة لقراءة الكتب الإلكترونية مثل آيباد وكيندل من شركة أمازون التي غزت نمط الحياة اليومية للملايين، إضافة إلى التطبيقات المطورة خصيصاً لقراءة الكتب الإلكترونية.

لكن فريقاً آخر لا يزال يرى طول العمر في الصحف المطبوعة، ويرى أنها بناء صلب سيظل لها عشاقها المخلصون، وأن العلاقة بينها وبين الصحافة الرقمية يجب أن تكون قائمة على التكامل وليس التنافس.

لكن المد الرقمي سيستمر إلى كل المطبوعات الورقية التي لا تراعي تقديم محتويات تحليلية معمقة تستهوي متابعي الصحافة المطبوعة وخاصة مع استمرار اتجاه القراء نحو المادة الرقمية.

تاريخ تطور الصحافة الالكترونية

يرى بعض الباحثين أن ولادة الصحافة الالكترونية كان مع بداية السبعينيات، وظهور خدمة (التلتكست) عام 1976، كثمرة تعاون بين: مؤسستي: Independent Broadcasting and BBC

ولقد شهد عام 1979 ولادة خدمة (الفيديوتكست) الأكثر تفاعلية مع نظام Prestel على يد مؤسسة British Telecom Authority البريطانية. وبناءًا على النجاح الذي أحرزته هذه المؤسسات في توفير خدمة النصوص التفاعلية للمستفيدين، دخلت بعض المؤسسات الصحفية الأمريكية منتصف الثمانينيات على هذا الخط. وبذلك بدأ العمل على توفير النصوص الصحفية بشكل الكتروني إلى المستفيدين عبر الاتصال الفوري المباشر.

إلا أن هذه المحاولات لم تلق النجاح المطلوب، وتكبدت خسائر مالية قدرت حينها ب 200 مليون دولار أمريكي. لذلك توقفت مشاريع هذه المؤسسات الصحفية، ويرجع المختصون البداية غير الموفقة للصحيفة الالكترونية، إلى عدم توفر تقنيات متطورة بما فيه الكفاية لتسمح بوصول غير مكلف وسهل إلى المحتوى الالكتروني، زيادة على نقص الاهتمام بهذا النوع من الخدمات الإعلامية من قبل المعلنين و المستفيدين على حد سواء. لكن مع بداية التسعينيات تطورت تقنيات النشر الالكتروني، إضافة إلى حاجة المستفيدين إلى الخدمات الالكترونية. ولقد ارتبط نجاح خدمة التلتكست باعتمادها على جهاز التلفزيون، أما نجاح الصحيفة الالكترونية في انطلاقتها الثانية فمرتبط بتوفر جهاز الحاسب الآلي وتطوره.

وتعد صحيفة (هيلزنبرغ إجبلاد) السويدية أول صحيفة تنشر بالكامل على الإنترنت، وتلتها صحيفة (الواشنطن بوست) الأمريكية سنة 1994 والتي قامت بإعداد نشرة يعاد تحديثها فوريًا في كل مرة تتغير فيها الأحداث، مع وجود مراجع وثائقية و تاريخية وإعلانات. وقد أطلق على هذا النوع من النشر في بدايته الأولى مصطلح الحبر الرقمي.

وبالتالي، وقبل نهاية التسعينيات، كانت هناك عشرات الصحف في العالم وخصوصًا الكبرى منها قد سخرت إمكانيات معتبرة لتنشئ مواقع على شبكة الانترنت نظرًا لقلة التكلفة والسهولة، رامية بذلك المسعى إلى توسيع آفاق التوزيع والانتشار، لتتجاوز التقييدات المالية والنقل وبصفة خاصة قيود الرقابة.

إلا أنه سرعان ما اكتشف مسيرو هذه الصحف أن النسخة الالكترونية المشابهة للطبعة الورقية لم تعد تلبي احتياجات القراء، إذ أن المستخدم يبحث عن الجديد بعيدًا عن الطبعة الورقية على الإنترنت. وهكذا، بدأت الصحف بإنشاء إدارات تحري خاصة بمواقعها الالكترونية تتولى تحرير جريدة منفصلة عن النسخة الورقية. وبالتالي، أصبحت الصحف الالكترونية منافسة للصحف المطبوعة، كما أن الأهمية المتزايدة للصحافة الالكترونية أدى إلى ظهور اتجاه آخر من هذه الصحف يتمثل في ظهور مواقع إخبارية الكترونية، تتخذ مظهر صحيفة متكاملة من حيث المضمون والمسمى. ولكن تخضع للنمط الالكتروني وهي صحف الكترونية محضة لا علاقة لها بأي صحيفة ورقية، إذ نشأت في بيئة الانترنت وحققت نجاحا كبيرًا، حتى أن نجاحها شجع بعضها على الخوض في عالم النشر التقليدي الورقي، وهذا ما أصبح يعرف بعبارة (الهجرة المعاكسة).

نشأة الصحافة الالكترونية

تجدر الإشارة إلى أن التاريخ الدقيق لانطلاق أول صحيفة الكترونية من حيث متى وأين غير متفق عليه حيث تتباين الروايات بهذا الشأن. وعليه، ومع اتجاه المزيد من الناس نحو الإنترنت، كمورد ومصدر للمعلومات كان من الطبيعي لوسائل الإعلام أن تلتفت إلى فرصة الاستثمار هذه.

وبحسب رأي الباحث الأمريكي (مارك ديويز) في دراسة له حول تاريخ الصحافة الإلكترونية، فإن أول صحيفة في الولايات المتحدة دشنت نسخة إلكترونية لها على الإنترنت كانت (شيكاغو تريبيون) عام 1992 مع نسختها (شيكاغو أون لاين). وتوالى بعد ذلك ظهور المواقع الإخبارية والصحفية على الإنترنت، سواء التابعة للصحف والقنوات التليفزيونية أو المواقع الإخبارية

المستقلة التي تعد قناة صحفية إلكترونية مستقلة في حد ذاتها.

وقد بدأت الصحافة الالكترونية تلفت الأنظار إليها في أعقاب حرب الخليج الأولى عام 1991، عندما عرضت وكالات الأنباء العالمية صورة البطة البرية وهي تشرف على الموت بعد أن غرقت في مياه الخليج الملوثة بالنفط. وقد تعاطف الكثيرون في مختلف بلاد العالم مع هذه الصورة المؤثرة، وأدان ما حدث من اعتداء صارخ على البيئة والطبيعة، وتلويث شديد لمياه الخليج بسبب الأعمال الحربية التي تجاوزت كل الحدود الشرعية والمشروعة.

من جهة أخرى، يشير البعض أن الصحافة الالكترونية شهدت ازدهارًا كبيرًا بعد الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، الذي استفاق العالم فيه على وقع حدث مهول في أمريكا، إذ استطاعت الصحف الالكترونية والمواقع الإخبارية الالكترونية أن تنقل بالكلمة والصوت والصورة ذلك الحدث التاريخي بدقة وكفاءة نادرة، بينما تعثرت بعض الصحف والفضائيات التقليدية وأثبتت فشلها في تلك المهمة.

بينما يرى فريق آخر أنه مع عمليات التطوير في مجال استخدامات الانترنيت، بدأت شبكات الإذاعة والتلفزيون المشهورة مثل B.B.C و C.N.N والجزيرة تخصص مواقع مستقلة لها لتحمل ما يصلها من بيانات وأخبار لكل من يريد أن يتصفحها، أيضًا، بدأت الصحف الهامة هي الأخرى تظهر على شاشات شبكة المعلومات من خلال المواقع التي أعدتها لذلك، والتي لاقت إقبالاً كبيرًا من جانب رواد الانترنيت الذين وجدوا فيها ضالتهم المنشودة واستغنوا بها عن الصحف الورقية المأثورة، وفضلاً عن ذلك، بدأت الصحف الالكترونية البحتة أو الخالصة تظهر إلى حيز الوجود، سواء في الدول الأجنبية أو في البلاد العربية.

وتجدر الإشارة إلى أن الصحف الالكترونية لم تكن في البداية ذات عائد مادي كبير يشجع على الاستمرار أو الاستفادة منها، وذلك راجع لعدم معرفة أو اهتمام أصحاب الإعلانات بها، وعدم ثقتهم فيها كوسيط إعلامي مؤثر، غير أن مع تزايد استخدامات الانترنيت وكثرة رواد مواقع الصحف الالكترونية تنبه المعلنون لأهمية الإعلان عبر الانترنيت، وبدأت الصحف الالكترونية تحقق عائدًا ماديًا يتوقع تزايده في المستقبل بشكل كبير جدًا.

ولقد كانت بداية الصحافة الإلكترونية مجرد مواقع تحتوي على مقالات وموضوعات وأفكار وأطروحات ورؤى بسيطة، وتحديدًا انطلقت من منتديات الحوار، التي تتميز بسهولة تحميل برامجها وبساطة تركيبها، إذ يكفي أن تقوم بتحميل هذه البرامج المجانية في القالب ورفعها لموقعك في أقل من ساعة، ليبدأ بعدها الموقع بأداء في العمل المحدد له وفي اجتذاب عدد كبير من الزوار.

عوامل ظهور الصحافة الالكترونية وأسبابه

يرى بعض الباحثين أن هناك ثلاثة عوامل ساهمت في ظهور و تطور الصحافة الالكترونية، هي:

- الارتفاع المدهش في قدرات الإعلام الآلي لطاقات الكمبيوتر على تخزين ومعالجة المعطيات.
- التقدم في مجال ترقيم المعطيات فكل معلومة مشفرة في شكل رقمي، مما منحها لغة عالمية، حيث يمكن نقل و تبادل المعطيات رقمية من نقطة إلى أخرى من العالم بدون النظر إلى اللغة الأصلية التي كتبت بها.
- تطور تقنية ضغط المعلومات و إزالة ضغطها والتي تمكن من إرسال المعلومات بسهولة، بدل تخصيص مساحات كبيرة تعرقل من عملية إرساله.
- ظهور القارئ الرقمي الذي أصبح بفضل الاطلاع على الأخبار والمعلومات في المواقع الالكترونية، لما تتمتع به من خصائص فنية كأن يتم تحديثها باستمرار، وتوفرها على كم هائل من المعلومات ويتم اقتناؤها بطرق تفاعلية مختلفة.
- مواجهة الصحف المكتوبة على المستوى العالمي صعوبة كبيرة، بسبب غلاء مادة الورق والطباعة وقلة المادة الإعلانية التي فضلت التلفزيون و الانترنت.



وفي دراسة أجرتها (ميكروسوفت) تقول: «إن العالم سيشهد طباعة آخر صحيفة ورقية في عام 2018 على الأقل في الدول المتقدمة. لذا فإنه ليس من المبالغة أن نتحدث عن إمكانية حدوث توقعات ميكروسوفت طالما سارت الأمور على وتيرتها الحالية وطالما بقيت الصحافة المطبوعة تعنى بالخبر الذي "يحترق" عليها بلغة الصحافة قبل طباعته بأربع وعشرين ساعة.

- الصحفيون والتطورات التكنولوجية الراهنة

يرى (جون بافليك) John Pavlik في مقال له بعنوان «الرسول هو وسائل الإعلام: وسائل إعلام جديدة، قواعد جديدة» أن شبكة الانترنت تشكل تحديا ضخما لمؤسسات الإعلام التقليدية، وهو تحدي من نوع جديد يساعد الجمهور ويعيد تحديد دور الصحفيين في المجتمع و يضيف (إيدن وايت): «أن الصحفيين يجب أن يكونوا على حذر، وهم في عجلة للحاق بالأحداث المهمة، حتى لا يتأثرون بالتحيزات البغيضة للمتحمسين أو تخدعهم المعلومات الزائفة التي تنشر حول الانترنت».

لقد ألغى الصحافيون الجدد الذين اتخذوا من صفحات الواب مساحات لنشر أخبارهم كل القواعد التي قامت عليها الصحافة، كما أزاحوا من طريقهم كل النظريات التي توجه العمل الصحفي في مختلف وسائل الإعلام التقليدية.

- الصحف الإلكترونية (بوابات صحفية بلا صحف ورقية)

في عام 1999 ظهرت عبر الإنترنت موجة (الدوت كوم)، والتي يقصد بها الشركات التي ظهرت وتأسست لكي تعمل عبر الإنترنت فقط دون أن يكون لها نشاط أو وجود مادي على أرض الواقع، وظهرت مئات الشركات من هذا النوع في مجالات عديدة، شملت السياحة والسفر والتجارة الإلكترونية والمجالات العلمية والصناعية وأيضًا المجال الإعلامي والصحفي، فتشكلت شركات لم تكن سوى مواقع على الشبكة تعمل في مجال الصحافة والإعلام، وعرفت باسم بوابات الإنترنت الصحفية، وتخصصت في تقديم المواد الإخبارية والتحليلات الصحفية والمقابلات والحوارات والمحادثة والنشرات البريدية الإلكترونية وخدمات البريد الإلكتروني وخدمات البحث في الأرشيف، وحاليًا تجسد هذه البوابات نموذجًا للصحافة الإلكترونية التي تمارس عملها بالكامل عبر الإنترنت دون أن يكون لها أي نسخ مطبوعة، الأمر الذي يجعل منها مدخلاً جيدًا وغنيًا، يمكن الاقتراب منه وفقا للعديد من النقاط الخاصة بالتصميم ودورية التحديث وتنوع الخدمات، والجهات القائمة على الموقع وتوجهاته العامة والرؤية التي يحملها القائمون عليه.

أدوات الكتابة ومتغيراتها



د. أمير تاج السر

كاتب وروائي سوداني

«على الذين يكتبون أن يجددوا أدواتهم من حين لآخر، حتى يظل المشروع الكتابي بارزا ومؤطرا من ضمن المشاريع الحياتية الأخرى»

بديهي أن كل من يشتغل بالكتابة الإبداعية يملك ولو قليلا من الأدوات تؤهله للسير في ذلك الدرب الوعر، هناك من يصمد بشدة ويقاوم كل المحبطات الملازمة لذلك الدرب ليكوّن مشروعه الخاص الذي سيؤرخ له في يوم ما بالتأكيد، وهناك من ينتش سريعا ويفارق الدرب بلا نية في العودة إليه.

على أن الكتابة المؤثرة والتي تمتلك الوجدان وتجلس الناس مقرفصين في قلب معاناتهم تبقى، حتى لو كانت مجرد قصة قصيرة واحدة أو رواية يتيمة أو قصيدة شعر، أو مجموعة أعمال إبداعية قليلة، لا يتعدى حجمها مجتمعة حجم رواية واحدة غير مؤثرة.

ولدينا أمثلة كثيرة لتلك الإشراقات التي يزيدها الزمن بريقا، مثل رواية "موبي ديك" للأمريكي هيرمان ملفيل، الصادرة في عام ١٨٥١، وتحكي عن صراع تراجيدي بين حوت وإنسان، قرأ الروائي من خلاله طبائع البشر والمجتمعات.

وكذلك بقيت رواية "قلب الظلام" للبريطاني جوزيف كونراد الصادرة في بداية القرن الماضي، وحوت -بفصولها الثلاثة وعدد صفحاتها القليلة جدا- ما لم تحوه رواية ممتدة في مئات الصفحات. ولدينا في الأدب العربي مثلا، ما كتبه الراحل إبراهيم أصلان من أعمال قليلة غاية في التأثير، وما كتبه الطيب صالح طوال عمره، وجعل منه إحدى القامات الكبيرة المرجعية.

لقد قلت إن الدرب وعر، ويحتاج إلى شيء من الأدوات قبل بداية السير فيه، أدوات قد يمتلكها المبدع فطريا، وهي موهبته الفطرية التي ولد بها ولا مفر من اتباع إشاراتها والسير معها إلى حيث تسير، وذاكرته التي لا بد من تمرينها لتمتص كل ما يمكن أن يصنع عالما، وهذه يمكن تدريبها بكل تأكيد.

أي أن الذاكرة حتى لو كانت خامدة تبقى قابلة للتنشيط من قبل المبدع، وهذا يأتي بالاسترخاء ومحاولة تذكر أحداثا مرت وشكلت محورا في الحياة ذات يوم، أو أخرى عبرت في لحظات، ولكن أضافت شيئا.

أدوات أخرى يمكن استعارتها من الذين يملكونها، وهذه تأتي بمحاولة اكتساب المعرفة، ولا أعني بها التعليم النظامي، الذي يفرض مواد دراسية معينة ويمنح المتلقي في نهايته شهادة تؤهله لوظيفة، ولكن التعليم الخاص الذي يتلقاه المبدع في خلواته.

لا تكفي قراءة كتب الأدب وحدها وحفظ الشعر ونسيانه، كما كان يقال للشعراء المبتدئين قديما، وإنما قراءة كل ما يضيف إلى الموهبة ويطورها، وأقول بكل تأكيد إن قراءة الكتب الدينية وكتب التاريخ والجغرافيا وعادات الشعوب والأساطير والتراث العالمي، وحتى قراءة علم الفلك وكتب الحظ والأبراج، يمكن أن تضيف للمبدع أدوات يستطيع أن يستخدمها في درب الكتابة.

وأصف الأعمال العظيمة دائما بأنها تلك التي عمدت على الإنسان وما ابتكره من أجل البقاء، وما يستطيع أن يبتكره في كل يوم جديد، وما لم ترتبط الكتابة بذلك، لا أعتقدها تصمد، خاصة في هذا الزمن الذي أصبح فيه كل شيء مدروسا بدقة، ولا وجود لمشاريع عشوائية.

من أدوات الكتابة أيضا -وأعتبرها أداة مهمة للغاية- مسألة وجود رقيب داخلي للمبدع، وهو أداة يخترعها المبدع بنفسه، وتقوم (بفلترة) الكتابة أثناء اشتغالها في الذهن أو على الورق، وقبل أن تخرج إلى الناس.



هيرمان ملفيل



جوزيف كونراد

الرقيب هنا يترك ما هو صالح للنشر بالفعل ويقصي ما هو ضار، وبذلك تخرج الكتابة نظيفة وغير جارحة، ولا تترك لمن يتلقاها أي فرصة، لوصفها بواحد من تلك الأوصاف غير اللائقة، تماما مثل وظيفة الأمعاء في الجسم البشري، حين تحتفظ بما ينفع الجسم، وترسل ما لا ينفع في شكل مواد لا بد من التخلص منها.

بعض الذين يكتبون في الوطن العربي يهملون وظيفة الرقيب الداخلي، أو لعلهم يسجنونه في أعماق أذهانهم، فلا يصدر منه أي صوت معارض، هذه الحجة تقارن دائما بالنصوص التي تولد في الغرب، وتجد من يتحدث عن حرية الرأي وأن المبدع يكتب ما يريد بلا رقابة ولا حجر على إبداعه، ولن يظهر من يحاكمه على إيراد لفظ بذيء في رواية، أو إكثاره من المواقف الجنسية، أو حتى كتابة حماقات تمس الدين بشكل أو بآخر.

ربما كانت في الغرب حرية مثل هذه لا تقود إلى المحاكم، لكن تقود إلى محاكم أكبر، وهي المحاكم التي ينصبها القراء لمثل هذه الكتابة، وقد قرأت تعليقات كثيرة من قراء غربيين على روايات تجاوزت حدود الحشمة، وكانت تعليقات سلبية للغاية، وحتى رواية "مائة عام من العزلة" لماركيز، تم انتقادها من قراء كثيرين، بسبب مشاهد جنسية اعتبرت زائدة ولا ضرورة لها على الإطلاق.
وأذكر تلك الرواية الصينية المشهورة "طفلة شنغهاي" والتي صدرت لها طبعة عربية بجانب عشرات الطبعات بلغات أخرى، وكانت قد اعتبرت في الصين رواية غير لائقة بالمرة ولا تبرز من المرأة الصينية العظيمة المكافحة سوى جسد يتسول الجنس في كل لحظة. وقيل إن متعصبين جمعوا نسخا منها وأحرقوها، احتجاجا على كتابتها ونشرها.

لقد قرأت هذه الرواية، وأجدها خالية من الفن الكتابي– إلى حد ما– وكان التشويق فيها، هو تشويق الجسد المستفز ولا شيء آخر.
لو تجاوزنا عن أداة الرقيب الداخلي التي وصفتها، وذكرت أنها مطلوبة حتى في الغرب الحر، وتساءلنا عن ضرورات الكتابة، وهل كل ما يحدث في الحياة، يستحق أن نكتبه، ويمثل ضرورة؟

أعتقد أن القارئ، حين يمسك بكتاب، فهو يمسك بقطعة من مجتمعه، أو مجتمع آخر غريب عنه، هذا المجتمع فيه شخوص وحارات، وأزقة، وشوارع نظيفة ومغبرة، فيه ملابس تستر، وأخرى تعري، باختصار فيه كل شيء.

القراء هنا في معظمهم، يبحثون عن التسلية أو الدهشة، وتوجد أعمال إبداعية للتسلية، وأخرى للإدهاش، وسأتحدث عن كتابة الإدهاش، وأقول إنها الكتابة التي وصفتها بالخلود، والبقاء أطول فترة ممكنة في الذهن، ولن تكون الكتابة مدهشة إذا ما وصفت الأشياء بمسمياتها، إذا ما وصفت الحياة اليومية بكل سترها وعوراتها، فلا بد من بهارات من خيال الكاتب، تضيف ما يدهش، أو ما يستفز لممارسة فعل القراءة.

وأعتقد أن كتابة الجنس في كل سطر وصفحة، ليست بهارا جيدا، استخدام سباب الشوارع المعروف، ليس بهارا إطلاقا، وما لم تدخل جزئية خيالية، حتى في عناق عادي لحبيبين، أو موقف عادي من مواقف الشوارع المألوفة، فلن تدهش أحدا على الإطلاق.

أقول في النهاية، بأن الزمن تغير كثيرا، والكتابة من الأشياء التي طالتها التحديثات، فعلى الذين يكتبون أن يجددوا أدواتهم من حين لآخر، حتى يظل المشروع الكتابي بارزا ومؤطرا من ضمن المشاريع الحياتية الأخرى.

﴿ القارئ، حين يمسك بكتاب، فهو يمسك بقطعة من مجتمعه أو مجتمع آخر غريب عنه، هذا المجتمع فيه شخوص وحارات، وأزقة، وشوارع نظيفة ومغبرة، فيه ملابس تستر، وأخرى تعري، باختصار فيه كل شيء ﴾

﴿ من أدوات الكتابة مسألة وجود رقيب داخلي للمبدع، وهو أداة يخترعها بنفسه تقوم بفلترة الكتابة أثناء اشتعالها في الذهن أو على الورق، وقبل أن تخرج إلى الناس ﴾

﴿لن تكون الكتابة مدهشة إذا ما وصفت الأشياء بمسمياتها، إذا ما وصفت الحياة اليومية بكل سترها وعوراتها، فلا بد من بهارات من خيال الكاتب، تضيف ما يدهش أو ما يستفز لممارسة فعل القراءة ﴾

تعزيز الصحة



د. وليد فتيحي

﴿إن أعظم استثمار في أي مجتمع ودولة هو الاستثمار في الإنسان، فالإنسان هو مصدر الإنجاز والإبداع، وكل ما عدا الإنسان لا يعدو أن يكون أداة ومادة بين يديه، فإن أحسن مجتمعٌ الاستثمار في إنسانه استطاع أن يُفعِل المادة بين يديه، فلا يسع المادة إلا أن تستجيب لحركة الإنسان ليتحول التراب بها إلى ذهب، والصحراء الجرداء إلى أشجار وثمار وجنان.. إنها قصة الحضارات على مر العصور والأزمان.

إن الإنسان جسد وعقل وروح.. ثلاثية متكاملة، وإهمال أي منها سيعوق الإنسان عن أن يقوم بدوره في بناء الحضارة. وقد جعل الله الجسد قالب العقل والروح، فإذا القالب انكسر أو أصابه الضرر أثر سلباً على الإنسان بكليته.﴾

ولذلك أوصى الخالق الإنسان أن يحسن الاستخلاف في جسده الذي وهبه الله إياه، وجعل الأخذ بأسباب صيانته وحمايته ورعايته من المقاصد العليا للشريعة الإسلامية. ومما يسأل عنه الإنسان يوم القيامة "وعن جسده فيما أبلاه". ولذلك فإن المسؤولية عن صحة الإنسان تقع على عاتقه نفسه أكثر مما تقع على عاتق الطبيب والفريق الطبي.

إن ارتفاع وتضخم تكلفة علاج الأمراض في ازدياد مطرد في معظم الدول، وذلك نتيجة نمط حياة غير صحي وزيادة نسبة الأمراض تبعاً لذلك. مما ينذر أنه باستمرار هذا النهج في التعامل مع الصحة، فسيستنزف أكثر وأكثر من الدخل القومي وستعجز معظم الدول عن تقديم العلاج لمواطنيها. فما هو الحل؟ كيف يمكن أن نوقف هذا النزف والزيادة المطردة؟

ليس هناك من حل إلا بتطبيق مفهوم تعزيز الصحة والذي يعرف بأنه عملية تمكين الأشخاص من السيطرة على صحتهم، مما يؤدي إلى تحسينها. إنها تمكين الإنسان نفسه من أن يحمي نفسه ويقيها من أن يصبح مريضاً.

لقد أصبح تحقيق هذا المفهوم هو هاجس المخططين الجادين والمتقدين الصحيين في شتى أرجاء العالم.

آلاف الدراسات تؤكد أن برامج تعزيز الصحة فعالة جداً على المديين البعيد والقريب على السواء.

وبناء على دراسات مستفيضة تم تحديد مجموعة من التدخلات الوقائية التي كان لها أكبر مردود وعائد استثماري على المجتمع والفرد والدولة ومنها التدخين والسمنة والتطعيمات والفحص الدوري لبعض الأمراض كالأمراض السرطانية للثدي والقولون ففي دراسة نشرت عام 2011 في مجلة Journal Contemporary Economic Policy وجد بعد تحليل ودراسة المعلومات ما بين عامي 1991م و2007م أن دعم برنامج الحماية من التدخين والإقلاع عنه يمكن أن يوفر ما بين 14 و20 ضعف تكلفة البرامج، وذلك بخفض تكاليف العلاج والأمراض التي يسببها التدخين كالذبحات القلبية والجلطات الدماغية والأمراض الصدرية والسرطانية.

وفي دراسة نشرت في فبراير 2005م في مجلة American Journal of Public Health وجدت أنه لو تم استثمار فقط أقل مبلغ مقترح من قبل CDC -enter -for Disease Control فإن انخفاض التدخين في الشباب والمراهقين فقط سيخفض تكلفة العلاج بما يزيد عن 31 بليون دولار.

وبهذا الإدراك استطاعت بعض الدول الصناعية الجادة خلال عشرين عاماً ببرامجها الفعالة خفض نسبة التدخين من 45% إلى أقل من 20% والتركيز على المدخنين من الأطفال. ومثال ذلك أمريكا ففي عام 2014م بناء على إحصائيات CDC (Center for Disease Control) انخفضت نسبة المدخنين لتصبح 20% فقط في الرجال و14.5% فقط من النساء بعد أن كانت أكثر من 40% قبل عقدين من الزمن.

وفي دولة مثل أستراليا حيث عدد سكانها أقل بقليل من عدد سكان المملكة العربية السعودية، بينت دراسة أسترالية نشرت في 21 أغسطس عام 2008م أن كل دولار يستثمر في البرامج المكثفة في مكافحة التدخين أدى إلى خفض تكلفة العلاج الطبي بأكثر من سبعين دولاراً على مدى العمر، وأنه لكل عشرة آلاف يقلعون عن التدخين يتم وقاية 500 شخص من سرطان الرئتين و600 شخص من الذبحات الصدرية و130 شخصاً من جلطات الدماغ و1700 شخص من أمراض الجهاز التنفسي والرئتين.

وكذلك الحال في السمنة التي تؤدي إلى الإصابة بمرض السكري من النوع الثاني والذبحات الصدرية والجلطات الدماغية وكثير من الأمراض السرطانية.

وصلت النفقات الطبية المرتبطة بالسمنة في أمريكا إلى 90 بليون دولار في السنة أو ما يعادل 9% من مجموع الإنفاق على الصحة وإلى أكثر من 270 بليون دولار في السنة إذا أضفنا إلى الرعاية الصحية الخسارة في الإنتاج بسبب الأمراض والوفيات الناتجة عن السمنة.

وفي دراسة تحليلية عرضت في المؤتمر الذي عقد في واشنطن تحت رعاية CDC (Center for Disease Control) وباحثين من جامعة ديوك Duke University بينت أن تحقيق انخفاض في نسبة السمنة بـ 1% فقط سيؤدي على مدى عقدين من الزمن إلى خفض تكلفة العلاج الطبي بما يزيد عن 85 بليون دولار. علماً بأن أعلى نسبة سمنة في العالم هي في الكويت وأمريكا والسعودية بناء على إحصائيات منظمة الصحة العالمية لعام 2011م فإن 70% من الرجال و80% من النساء في الكويت، و80% من الرجال و76% من النساء في أمريكا، و63% من الرجال و66% من النساء في السعودية مصابون بزيادة الوزن.

وفي مسح ميداني قام به فريق من الحملة الوطنية لمكافحة السمنة في جامعة الملك سعود في السعودية بمراجعة إحصائيات السمنة في المملكة بين عامي 2009م إلى 2011م أظهرت الدراسة ارتفاعاً ملحوظاً في نسبة السمنة وزيادة الوزن في السعودية حيث إن 18 مليون سعودي مصابون بهذا الداء. أو بنظرة أخرى، فإن

المصابين هم 3 أشخاص من كل 4 أشخاص.

وتنفق السعودية أكثر من 19 مليار ريال على علاج المرتادين للمستشفيات لعلاج الأمراض التي تسببها زيادة الوزن والسمنة.

وأوضحت الدراسة أنه بالرغم من أن السمنة ومضاعفاتها في السعودية تؤدي إلى 20 ألف وفاة وخسارة أكثر من 19 مليار ريال سنوياً إلا أنه لم يبدأ بعد الاستثمار في محاربة السمنة، ولا توجد خطة وطنية شاملة لمحاربة السمنة في السعودية.

وفي دراسة قام بها مركز فيليبس Phillips Center على الصحة في الإمارات في عام 2010م وجد أن هناك تناقضاً كبيراً بين إدراك الإنسان لمظهر جسده وحقيقة هذا المظهر، فـ 75% من الأشخاص في الدراسة أجابوا بأن أوزانهم طبيعية، في حين أن 30% منهم فقط أوزانهم طبيعية والباقون مصابون بزيادة الوزن، وقد عزا الباحثون أحد أسباب ذلك إلى الزي العربي كالثوب والعباءة اللذين يسهمان في حدوث سمنة متبطنة مختبئة.

إن ما يجعل الأمر أكثر خطورة في العالم العربي هو أن الأطفال يمثلون الشريحة والفئة الأكبر عدداً، حيث تصل نسبتهم إلى 50% من عدد السكان في بعض الدول، فإذا كانت نسبة السمنة والتدخين في العالم العربي من أعلى الدول في العالم، فماذا سيحدث عندما يتحول سكان هذه الدول من أطفال إلى بالغين ويتحول البالغون إلى مسنين على مدى العقدين القادمين من الزمن؟ بالطبع ستتضاعف الأمراض الناتجة عن السمنة والتدخين مثل الذبحات الصدرية والجلطات الدماغية والأمراض السرطانية، مما سيؤدي حتماً إلى استحالة تغطية علاج هذه الأمراض، وبذلك ستستنزف موارد الدخل القومي في علاج الأمراض.

إن مفهوم تعزيز الصحة هو المفهوم الشامل الصحيح للتعامل مع صحة الإنسان. إنه تمكين الأفراد من زيادة قدراتهم على التحكم في صحتهم والمحافظة عليها مع الدعم الاجتماعي والاقتصادي والبيئي من خلال عمليات تمكين تعاونية تشاركية وسياسات وخطط عمل وبرامج وأنشطة متكاملة تشمل البيت والمدرسة والجامعة والشارع لتحويل المعرفة والمعلومة والثقافة الصحية إلى سلوك وأسلوب ونمط حياة، وبذلك فهو أشمل وأعم من مفهوم التوعية الصحية القديم. إنها الاستثمار في الإنسان لتعزيز الأنماط الصحية في حياته لتصبح جزءاً من طبيعة سلوكه وثقافته. وكيف لا يكون هذا أكثر الاستثمارات عائداً للفرد والمجتمع والدولة، علما بأن 80% من الأمراض تكمن في السلوك الإنساني غير الصحيح من غذاء غير صحي وسمنة وتدخين وإهمال الحركة والرياضة والنظافة، والجهل في التعامل مع التوتر والإجهاد وغيرها كثير.

لقد غيرت منظمة الصحة العالمية تعريف الصحة ليصبح حالة من المعافاة الكاملة بدنياً ونفسياً وروحياً واجتماعياً، ولم يعد تعريف الصحة يقتصر على الخلو من المرض أو العجز كما كان في السابق.

وبالرغم من كل الدراسات والإحصاءات التي تؤكد خطورة عدم الأخذ بأسباب تطبيق مفهوم تعزيز الصحة على مستقبل الفرد والمجتمع في الدول، إلا أننا نجد أن كثيراً من الدول العربية ما زالت تعيش في عالم التعريف القاصر السطحي الضيق للصحة فتضخ جل ميزانياتها لبناء المستشفيات لعلاج الأمراض، وكلما انتهت من بناء مجموعة أدركت أن التسارع في الطلب قد تعدى قدرتها على بناء المستشفيات وتغطية العجز بغض النظر عن ضخامة ميزانياتها، بل وكذلك سرعة تنفيذها للمشاريع.

إن العجز الحقيقي هو في فهم وتطبيق مفهوم تعزيز الصحة لبناء ثقافات صحية لعلاج السلوكيات غير الصحية في المجتمع وتفادي الأمراض قبل حدوثها، وهذا هو المفهوم الوحيد الذي سيحدُّ فعلا من التسارع لبناء المستشفيات لعلاج الأمراض الناتجة عن السلوكيات غير الصحية.

إنه التحول من مفهوم علاج المرض إلى المحافظة على الصحة، ومن عيادة المرضى إلى عيادة الأصحاء.

كل دولة تحتاج خطة شاملة لتعزيز صحة إنسانها وتوجه استراتيجي للوقاية من الأمراض المزمنة التي يمكن الوقاية منها، والإصابات التي يمكن تفاديها عن طريق توجيه سلوكيات إنسانها إلى سلوكيات صحية وخلق بيئة صحية تساعد على تحقيق ذلك.

وبذلك لا تكون الشريحة المستهدفة هي الأشخاص المرضى فحسب، وإنما الأصحاء عامة، والمحافظة على صحتهم والمهددون بالأمراض المزمنة والإصابات بسبب سلوكياتهم وعاداتهم غير الصحية.

إن بناء شراكات قوية متعاونة هو نقطة محورية ومركزية من أجل تطبيق الخطة الاستراتيجية لتعزيز الصحة.. شراكات تُدعَمُ بتطبيق سياسات صحية على جميع المستويات، وتفعيل قطاعات واسعة في المجتمع كالصناعية والتعليمية والترفيهية ومنظمات غير حكومية وكل قطاعات ومستويات الدولة وسن القوانين ووضع النظم والتدخلات الاقتصادية لتكوين بيئة معيشة وعمل وحياة تدعم السلوكيات والعادات الصحية.

ومن أمثلة هذه الشراكات دور وزارة التعليم في تضمين مفهوم تعزيز الصحة في جميع مناهجها الدراسية، ودور وزارة الإعلام بتكثيف برامج التعليم والتثقيف والتوعية الصحية بطرق مبتكرة وفعالة، وكذلك دور وزارة التجارة في وضع سياسات وقوانين تكافئ العادات الصحية (كالمطاعم التي تمنع التدخين تماماً) وتغرم العادات غير الصحية (كرفع الضرائب على السجائر)، وتخصيص عوائد هذه الضرائب بالتنسيق مع وزارة الإعلام في التوعية والتثقيف والتحذير من مضار التدخين ومحاربته.

ودور الكليات الطبية في تعديل المناهج لجعل جوهرها تعزيز الصحة من أجل أن نغير نمط التفكير التقليدي عند الأطباء المتخرجين من خلال المناهج التقليدية.

ودور وزارة الصحة في مكافأة الطبيب المعالج على النتائج الصحية التي حققها مع مرضاه كما تفعل الصحة في بريطانيا، كمثال ربط المكافآت السنوية بمعدل ضغط زيارات المرضى، وكذلك مؤشرات الصحة الرئيسية الأخرى، ولا ننسى دور الوالدين والتركيز عليهما في برامج التوعية الصحية.

ومن أهم الأهداف القومية الأخرى، العمل على رفع إحساس إنسان المجتمع بقيمته، فالاهتمام بالصحة هو انعكاس لهذا الإحساس، وكذلك إنشاء بنك ومركز معلومات صحي قومي، ففي غياب المعلومة الصحيحة الدقيقة سيصعب التشخيص والتقييم الدقيق ومن ثم العلاج والتقويم الصحيح.

إن أهم نقطة في هذا التطبيق هي وضع أهداف من أجل خفض الأمراض المزمنة والإصابات وقياس الإنجاز مقارنة بمؤشرات الأداء والإنجاز الرئيسية المحددة مسبقاً، وإلزام القائمين عليها في الدولة بتحقيق هذه المؤشرات التي تم تحديدها والموافقة عليها مسبقاً لتصبح هدفاً واتفاقية قومية، وتقييم فعالية كل تدخل لخفض الأمراض المزمنة والإصابات باستخدام معايير كمية أو نوعية (كيفية) أو كلاهما حسب التدخل المراد قياسه وتقييمه.

فعلى سبيل المثال قد يكون أحد مؤشرات الإنجاز خفض التدخين بنسبة 35% خلال خمسة أعوام بمعدل 7% كل عام، وفي كل عام يتم تقييم الإنجاز وتعديل التدخلات بناء عليه.

إن التعامل مع صحة الإنسان على مستوى أي دولة يبدأ بإدراك أن المشاكل الصحية معقدة، لأنها نتاج تأثير البيئة الاجتماعية والثقافية والمادية الطبيعية على السلوكيات، ونظرة الإنسان لنفسه وتقييمه لذاته، لذلك فلا بد للحلول أن تكون شاملة ومتكاملة ومحددة في خطط طويلة المدى ومشاركة فاعلة حقيقية أبعد بكثير من الدائرة الصحية المباشرة.

إنها معادلة واضحة جلية إن لم نفهمها اليوم ونطبقها فسندفع ثمن تقاعسنا غالياً في المستقبل القريب، بل إننا ندفعه اليوم وسيدفعه أبناؤنا وستدفعه أوطاننا أضعافاً مضاعفة، وسيؤدي لا محالة إلى خنق التنمية واستنزاف خيرات الشعوب التي غفلت عن الاستثمار الصحيح في مراحله المبكرة. إنه الاستثمار في البشر قبل الحجر.. فلنبدأ بالإنسان.

لمشاهدة ومحياي (نهضة التعليم)
اضغط هنا
أو
اضغط هنا

العقل الهادئ



محمد بن عبدالله الفريح

كاتب ومفكر

@malfriah

نحتاج في كثير من الأحيان إلى الهدوء والسكينة والإنصات بمهارة لنستطيع سماع صوت من نحب واحتواء بعضنا، والقضاء على خلافاتنا وتعدد آرائنا بقليل من هذه المهارات التي منحها لنا الخالق في هذا الكون.

اكتشف مزارع ذات يوم أنه فقد ساعته اليدوية في مخزن الحبوب. لقد كانت تلك الساعة غير عادية، إذ أنها ذات قيمة عاطفية خاصة بالنسبة له. بعد تفتيشه وتنبيشه في التبن لمدة طويلة لم يعثر على شيء، توجّه طالبًا مساعدة مجموعة من الفتية، الذين كانوا يلهون ويمرحون بالقرب من المخزن، وعد المزارعُ بمكافأةٍ من سيعثر عليها، وهكذا أسرع الفتية وولجوا المخزن وأخذوا بالبحث الحثيث عن الساعة في كل ركن وزاوية، لكن دون جدوى.

عندما كان المزارع على وشك الاستسلام واليأس من إيجادها، تقدّم فتى صغير من المزارع طالبًا منحه مهلة أخرى للبحث. ألقى المزارع نظرة على الفتى وقال في نفسه: لم لا؟ يظهر أنه جادٌ ومخلص فيما يطلب. وهكذا بعث المزارع الفتى لمخزنه، وبعد هنيهة عاد الفتى والساعة بيده، فرح المزارع بها فرحًا شديدًا وقد بدت عليه علامات الدهشة سائلًا الفتى: كيف نجحت في هذه المهمة في حين فشل أقرانك الآخرون؟ ردّ الفتى قائلًا: لم أعمل شيئًا سوى الجلوس على المصطبة وإرهاف السمع، في مثل ذلك الجو من الهدوء والسكينة، تناهت إلى مسمعي تكتكات الساعة فقمت وبحثت عنها في ذلك الاتجاه فوجدتها!!.

تعجبت كثيرًا عندما قرأت هذه القصة، كيف للهدوء الداخلي والخارجي عندما يجتمعا أن يحدثا المعجزات في حياتنا فهذا طبيب القلب عندما يضع سماعته على قلب المريض ينصت بخشوع شديد وكذلك من حوله من الطاقم الطبي وبشكل تلقائي

لمنح الفرصة للطبيب للاستماع لضربات القلب ليتأكد من انتظام ضرباته.

وهذا مهندس السيارات يصغي بأذنيه وجوارحه لسماع صوت محرك السيارة وهي دائرة ليتأكد من مكمن الخلل بها، ويستطيع بالتالي ضبط إيقاعها من جديد.

وهذه الحيوانات والطيور بكل أنواعها تخضع نفسها وفصائلها لساعات الهدوء والسكينة وساعات الإنصات المتالية لتتأكد من عدم وجود الأعداء بالقرب منها، بل إن الكثير منها ينجو بحياته بسبب هذه الخصلة الجميلة التي أودعها الخالق جلت قدرته في كل مخلوقاته.

كما نرى المفترسات من الحيوانات والجوارح لا تستطيع صيد فرائسها دون الخضوع للعمل بهدوء شديد، وبسكينة تمتد لساعات أحيانًا، وتحرص جميع الكائنات على إكساب فصائلها هذه المهارة الهائلة منذ نعومة أظفارها لإدراكها أن نتائج إتقان هذه المهارة ستكون استثنائية بكل أبعادها.

في كثير من الأحيان نحتاج إلى الهدوء والسكينة والإنصات بمهاره لنستطيع سماع صوت من نحب واحتواء بعضنا، والقضاء على خلافاتنا وتعدد آرائنا بقليل من هذه المهارات التي منحها لنا الخالق في هذا الكون.

ويزيد هذه الصفات جمالاً وبهاءً ما ذكره الخالق عز وجل في كتابه العظيم عن متقني هذه المهارة حين أثنى عليهم بقوله:

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٨﴾ سورة الزمر (18)

وتذكر دائمًا أن:

من لا يتقن فن الاستماع في الغالب الأعم لا يجيد فن الحديث.

خاطرة:

السكينة الداخلية هي على وجه التحديد التي ستغير العالم وتنقذه.

إيكهارت تول.

سعودي ولون دمي سعودي



شعر :

إبراهيم عمر صعابي

سعودي ولون دمي سعودي   ولي في البدء فاتحة الخلود

سعودي.. أجل .. نبضي سلام   وعاصفتي أعز بها حدودي

لصوت الحزم ترتعد الزوايا   فتبتسم الحقيقة من جديد

أنا لغة الجمال إذا تغنت   تصيخ لعازفي أذن الوليد

أنا السلم المباح لكل قلب   وإيماني به زكى وجودي

أنا الصبر الجميل بكل خطب   وأحلم حلم مكلوم رشيد

نبي الله مولده بأرضي   وفيها أنزلت آي المجيد

سعودي وأفخر بانتمائي   إلى وطن التلاوة والسجود

غزلت له من الأهداب مأوى   وكل جوارحي كانت شهودي

تبادلني بلادي فيض حب   بهي ملؤه عزم الجنود

أقلد جيد قافيتي جمالا   يصوغ النصر في عقد فريد

تسطر رايتي في الأفق وعدا   يعيد الشمس للوطن السعيد

إذا عصفت بنا نار المنايا   حملنا الماء في كف الشهيد

عزفت له حديث الروح عشقا   فلم تحضر سوى لغة الورود

فمن عرف الشهادة واشتهاها   فقد آوى إلى ركن شديد

سأحمل في يدي روحي وألقي   بها في وجه زنديق عنيد

وأسمع كل ذي صمم بأني   سعودي ولون دمي سعودي

الحداثة من أين وإلى أين ؟!



محمود أسد - سوريا

من مدة والأحاديث لا تنتهي عن الحداثة في المنتديات والصحف والمجلات والمقالات، وكأنها قضية الشرق الأوسط الشائكة. فالمشاركون بين مؤيّد منداز ومتطرّف لها، وبين معارض مكفّر لأصحابها. وقلّة قليلة مَنْ فهم حركة التاريخ والحياة. واستوعب تجارب الأقدمين وفتح عينه بدراية ووعي لما يجري. وهذا أمر متوقّع وطبيعي، وليست المرة الأولى التي نسمع فيها مثل هذه المعارك الأدبية فالمعارك النقدية القديمة والحديثة تحمل الكثير من التجنّي، والكثير من الأمزجة والخلافات، وهذا أمر فيه عافية ولصالح تطور الحركة الأدبية والنقدية إن حسنت النوايا.

بدوري أدلي بدلوي في هذا الغمار الشائك، يدفعني عشقي للأدب وحبّي للشعر بشكل خاص، ولأنّي متابع مهتمّ لما يجري على الساحة الأدبية.

بداية أشير لأسئلة تحتاج لأجوبة. وهذه الأسئلة تشير من قريب أو بعيد حول ما يجري. لماذا الحديث والخلاف حول تجديد الشعر فقط ؟ فالمعارك مرتبطة بالتجربة الشعرية. وكأن الأجناس الأدبية لا علاقة لها بذلك ؟! ولماذا تكثر التصريحات في المرحلة الراهنة حول سيادة الرواية على الأجناس الأدبية. وإن الشعر يحتضر ويلفظ أنفاسه الأخيرة.؟ ومَنْ وراء هذه الأقاويل؟ وهل تُقال بحسن نيّة ؟ ولماذا نعطي هذا الموضوع هذه الأهمية ونعتبره فتحًا جديدًا على حساب موروثاتنا؟ وكأن الساحة الأدبية والفكرية فرغتْ من القضايا الحسّاسة والهامة؟

ما أراه من دعوة للحداثة وبشكل كثيف جعلني أكثرَ تمسُّكًا بجذوري. لأني وجدت قسمًا كبيرًا ممّن فهم الحداثة بشكلها الخاطئ يدعو لنسف الجذور والمرتكزات الأساسية. والأخذ بمستجدّات الحياة وفتح النوافذ للتجديد المتطرّف. وهناك من تطاول وهو لا يستطيع فكّ حرف أو تقطيع بيت من الشعر الموزون. بل ينظرون بعدوانية إلى النحو والقواعد.. في أكثر من أمسيّة أبدى بعضُهم تذمُّره من نقد المتابعين لعثراتهم النحوية واللغوية. ومنهم من عبّر عن رؤية قاصرة فاعتبروا القصيدة العربية جامدة متجمّدة. وإنها ما عادت تصلح لزمن سريع متجدّد يسابق فيه الإنسان الزمن. ويقيني لو أنّها جامدة كما تصوروا لماتت من زمان لأن الجمود موت وعدم. وهي ما زالت تقارعُهم، وتقرع في آذاننا. فالشعر العربي لم يكن في يوم من الأيام جامدًا باستثناء حالات معروفة. فقد واكب تطورات الحياة ومستجدّاتها. وتعايش معها من العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي والأموي فالعباسي المتفتح والعصر الحديث وما فيه من الشعر المهجري وقصيدة التفعيلة والشعر المسرحي.

التجديد يأتي نتيجة التفاعل مع الحياة ولا يأتي قوالب جاهزة. فكيف إذا كان في مجال الإبداع الذي يمتزج فيه الفكر والإحساس والخيال..؟

تضايقوا من أوزان الشعر وشكله الفني واعتبروهما قيودًا. تقف في وجه المبدعين التوّاقين إلى الحرية. والإبداع مصادم للقيود. لأن المبدع طاقة لا تقيَّد بوزن أو عائق. وهو فوق القيود بتفجيره للطاقات غير المألوفة وتوليده للمشاعر والانفعالات والصور المتولّدة والمركّبة. هذا كلام معسول وجميل ونبغيه في الأدب. ولكن المقاييس

وهناك من تطاول وهو لا يستطيع فكّ حرف أو تقطيع بيت من الشعر الموزون. بل ينظرون بعدوانية إلى النحو والقواعد..

لا بد منها فلا بدّ من ثوابت وأسس وحولها تحوم وتُبنى المستجدّات. فالتجديد ضمن حدود وإمكانات ثابتة وممكنة لا تمسُّ الأساسيات. فالعلم حقيقة مطلقة ولكن في إطارها الكثير من العلوم المتداخلة. فالطبُّ غير الصيدلة. وكلاهما في خدمة الإنسان وعلاجه. والهندسة المدنيّة غير الهندسة المعماريّة. بينهما اتفاق في نقاط وخلاف في نقاط كثيرة. إن الإبداع سنّة الكون. والتجديد أمر حتميٌّ شاء الإنسان أو رفض. ولكن الإبداع مرهون بشروط ومعطيات. من حق المبدع أن يجرّب وأن يبحث عن صيغ جديدة ولكن التجربة لا تعني الحقيقة المطلقة التي تؤهّله لرفع سيف القمع في وجه من يخالفه الرأي. فدعاة الحداثة ومُروّجوها قليل منهم من استطاع الربط بين التراث والمعاصرة وكان معتدلاً في نظرته. فالغالبية منهم فهمت تراثنا بأنه عائق وقديم. يقف أمام قدراتهم الفنية وأدواتهم التعبيرية الحديثة وهذه الأدوات تطرح تساؤلاً أُوجدتْ للهدم أم للبناء؟!

أرى بقولهم هذا مهربًا من الحدود والقواعد المنظّمة والضابطة للعمل الإبداعي. فالرياضة فنٌّ وإبداع. وبرغم ذلك تخضع لقواعد وحكّام ونقّاد. فلمَ لا ندعو لتحطيم القيود وعندها نرى الملاعب كيف تصبح ؟! فالإبداع الحقُّ المتميّز يكون ضمن قواعد تعطيه مساحة للإبداع.

إن الشعر لا يخضع لتعريف ثابت بل تسيّره مفاهيمُ متطورة. فلماذا لا نسمي القطارَ حافلة؟ وكلاهما يحمل الركاب والأمتعة ويؤدي الغرض؟ والجواب لأن القطار برغم تطوّره المستمرّ بقي محافظًا على شيء نسميه الخط الحديدي. وكذلك الشعر فهو يُبنى على الإيقاع والوزن فتطوُّر القطار والطائرة والآلات لا يلغي تميُّزها عن بعضها. وهذا هو حال الشعر بالنسبة للأجناس الأدبية. المحدَثون يدْعون لتجاوز الحدود والأوزان والمفاهيم. حتى تطاولَ الجاهلُ والأمي. وضاقت به الحدود فأصبح حديقة جميلة دون سياج يحميها. ترتع فيها الذئاب والنعاج والأطفال. ولكمْ أن تتصوّروا النهاية. وهذا حال الشعر المحدَث .ألغاز وغيوم وسراديب وسرقات وضياع. فانعدمت الرؤية وضعف خيطُ التواصل بين المتلقّي والمبدع.

الشكوى من الحداثة والتحديث تراها من الدكاترة والمختصّين بالنقد الحديث. قلّة منهم من يصّرح بأنه لا يفهم هذا الشعر الذي يدرِّسه في الجامعات. وقد أبدى مثل هذا الدكتور (عبدِ القادر القط) فلماذا نفهم الحداثة شكلاً ويغيب عن بالنا تجربة الشاعر العربي اليمني عبد الله البردّوني الذي يقدم لنا وجبة أدبية حديثة بوعي ودراية وهذه التجربة تستحقّ أن نعتمدها نموذجًا؟!

وانعدم الاتصال والفهم. وأصبح الشعراء عندنا أكثرَ من رمال صحرائنا الممتدة. فالشكوى من الحداثة والتحديث تراها من الدكاترة والمختصّين بالنقد الحديث. قلّة منهم من يصّرح بأنه لا يفهم هذا الشعر الذي يدرِّسه في الجامعات. وقد أبدى مثل هذا الدكتور (عبد القادر القط) فلماذا نفهم الحداثة شكلاً ويغيب عن بالنا تجربة الشاعر العربي اليمني عبد الله البردّوني الذي يقدم لنا وجبة أدبية حديثة بوعي ودراية وهذه التجربة تستحقّ أن نعتمدها نموذجًا؟!

يتضايق شعراء الحداثة من المباشرة والنمطية في الشعر القديم وربّما لهم في ذلك بعض الحق. ولكن ماذا نسمي ظاهرة التكرار في شعرهم والتلاعب في الجمل والقصائد التي بدأت تتكرّر لدى أكثر من شاعر بتغيير طفيف؟ وماذا نقول عن المباشرة في الإباحة والألفاظ العارية من الحياء التي أخذت تجرح مشاعرَنا في الصحف والمنتديات؟! في القديم نسمّيها مباشرة، وفي الحداثة نسميها جرأة. لكل علم أسسُه ومبادئه التي تميّزه عن غيره، وهذه هويّة تميّزه عن غيره. فأين المرتكزات والأسس التي تبني الحداثة نفسها عليها ؟ إذا قلت لك: في بلد ما مدينة أو بناية سابحة في الفراغ دون أعمدة أو أسس. لا شكّ أنك تتهمني بالمسّ والجنون. ستقول أن أمرًا ما أصابه، وهذا حقٌّ لأن البناء يحتاج إلى أساس ومخططات ولبنات وهذا حال الشعر...

أقرأ نصوصًا من الحداثة، بعضُها يعجبني ولكن إذا عرفت ما يريد الكاتب المحدَث فأنت عبقريُّ زمانك، وستكون من قراء النخبة الذين يفوقونه فهمًا. أطلب تعريفًا للحداثة أو مشروعًا لها. وأسأل عن تعريف الموسيقى الداخلية، وعن توليد اللغة ومن يشرح له فله الأجر والثواب. إذا لم يشرح لي لغزًا بلغز وإذا لم يصحبْني إلى السراديب.. الجديد سيكون قديمًا. وهذا ما عبّر عنه ابن قتيبة في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء) وهذه حقيقة لا مهرب منها فماذا بقي لنا من تجربة بشار وأبي النواس وأبي تمام وخليل مطران والسياب ونازك..؟

لم يبق لها إلا مرتكزاتُها وثوابتُها التي لا تتنافى مع ثوابت الفن والإبداع.. من الروعة أن نجدِّد ضمن أصول. ورائعٌ أن تصل القديم بالحديث، ولكنّ أن تفهم المعاصرة هضماً للقديم بثوب جديد.. و تجاوزاً لأوزان الخليل وشكله الفني ونوع الأداة والتفعيلات. جرِّبْ أدواتك الخاصة والعامة ولكن بوعي. وعليك أن توضّح نظريتك وأسسَك.. فالشعر إيقاع. وحرية الإبداع لها قيود وضوابط وكوابح منظَّمة وُجدت لتحفظ حدوده كما يحفظ جدار بيتك حرمتك وحقوقك.. يؤلمني أن أرى ذلك الصراع الذي لا أساس له...

فنحن مع الجديد والتجديد والتحديث. سمِّه ما شئت ولكن عليك أن تميّز الصنف الأدبي. فالأدب شعر ونثر وبينهما مسافات، تقترب حينًا وتبتعد أخرى... لست من المتشدّدين الذين بحسن نية وعفويّة تمسّكوا بالأصالة والتراث. ودافعوا عنها وبوركت مساعيهم لأن التراث هويتنا القومية. وهو مُستهدَف من أعدائنا فتعصّبهم غيرة عليه، فعندما يكون خصمُك صريحًا وجريئًا في نهجه يكشف عمّا في أعماقه فما عليك إلا أن تكون قويًا أمامه وصريحًا وعنيفًا في بعض الأحيان ضمن أسس الحوار والديمقراطية والاحترام لرأي الآخر.. فليس من حقّ الغيورين على تراثهم أن يغلقوا الأبواب على أنفسهم. عليهم أن ينفتحوا ويتجاوزوا عقدة القديم والإعجاب به لقدمه والنفور من الجديد لكونه جديدًا كما جرى قديمًا لعمرو بن العلاء في العصر العباسي مع أبي تمام. لأولئك الشباب المقبلين على الدنيا وعلى عالم الأدب والإبداع حقُّ الإبداع والتجديد إلى جانب الاعتزاز بالأصالة والثوابت التي هي من مقومات البقاء والاستمرار. فالخيمة دون أوتاد تلعب بها الرياح، وتقتلعها قبل أن تثبت. ولن أقول من جذورها لأنها بالأساس لا جذور لها. ومن يقبلُ السكن في بيت واهن لا أساس له ؟ لا شكّ أنكم استسهلتمُ الطريق والوصول. فالدعوة للنقاش ظاهرة حضاريّة وإنسانية. فالشعر يتطوّر بتطور الحياة، وما تدعون إليه من تفجير للمعاني والمفردات والصور المركّبة والمدهشة وما وراء الإدهاش. فإني أدلّكم لقصائد متفجرة في زمانها هل قرأتم قصيدة لقيط بن يعمر الإيادي وهو يستصرخ قومه؟

أمامكم ديوان عنترة وملاحمه وشعر أبي تمام والمتنبي والشريف الرضي وشعر الخوارج وخليل مطران والسياب ونازك الملائكة...

ليس الانمكاشُ والتشبُّث بالقديم المطلق يفيدنا. وليس التجديدُ المفرطُ المبنيُّ على تجاوز الحدود والقواعد التي تميّزه نقبل به. ورحم الله امرأ غار على تراثه غيرته على وطنه، فأخذ المناهل العذبة أينما كانت. ويخطر على بالي سؤال واستفسار يراودني. هل فكّرنا بانتماءات وهويات وعلاقة المتعصّبين للحداثة لدرجة الهوس؟ يقيني أن السؤال يوصلنا إلى حقيقة جوهريّة تكشف الكثير من الجوانب المبيّتة تجاه تراثنا وأمتنا ولغتنا العربية التي نعتز بها. فقضيّة الحداثة والتجديد قضيّةٌ إشكاليّة متجدّدة، وأعتقد أنها لا تحتاج لهذه الثورات العارمة. أراها مفتعلة. وهناك من يوقدها كلما اقتربت من الخمود. إن الكاتب

علينا أن نبحث عن نص شعري جديد مفهوم قريب من همومنا ومعاناتنا. نستشهد به ونحفظه وندّرسه بعد أن أتعبتنا المصطلحات النقدية الغربية المتداخلة والغامضة وغير المبوبة والمفهومة. أراها مستوردة من المجلات الأجنبية دون دراية لإرضاء عقدة الغربي.

الذي يدّعي الحداثة قد يفرح عندما ينشر قطعة أدبية، ولن أسميَها شعرًا. سوف يتألم أكثر عندما لا يجد من يسمع به أو حفظ له أو درسَه. هذه نقطة هامة في درب المبدعين. فالجري يحتاج لجواد بارع، وليس لجواد جامح، لا يكترث بمن فوقه. فالأدب لمن يكتب؟ ولمن يعبّر؟ وهذه مسألة هامة تستحق النظر. فعلينا أن نبحث عن نص شعري جديد مفهوم قريب من همومنا ومعاناتنا. نستشهد به ونحفظه وندّرسه بعد أن أتعبتنا المصطلحات النقدية الغربية المتداخلة والغامضة وغير المبوبة والمفهومة. أراها مستوردة من المجلات الأجنبية دون دراية لإرضاء عقدة الغربي. وما أكثر السرقات عن الترجمات والمصطلحات التي نسبَها الجهابذةُ لأنفسهم.. القصيدة النثرية أين أسسها ومرتكزاتها؟ أسئلة تحتاج لأجوبة تمنحها الحقَّ الشرعي. ومن القضايا التي أخذت تضايقني وللحداثة دور أساسي فيها غيابُ قصيدة المناسبة التي طالما كانت تهزُّ وجداننا وتثير مشاعرنا من سباتها؟ فما أكثر الفواجع التي تحيط بنا وتلاحقنا في كل صباح ومساء! فعين الشعر غفلتْ لأن شعراءها سوف يتّهمون بالمباشرة. وهذه سبّة لا تغتفر لهم. فغابتْ أسماءُ المدن والأبطال والمعارك وحلّت محلها الألغاز والسباحة في الرمز وما بعد الرمز. أرى أن العودة ضروريّة لقصيدة المناسبة وضرورية لإحياء دور الشعر بتواصله مع الجماهير، بعد أن داهمتْها القنواتُ الفضائية والرياضية. وجاءت الحداثة لتقطع ما تبقى من خيوط واهنة. أتساءل عن القصيدة التي تحفر في القلوب، وتثير النفوس من غفلتها. أليس هذا دور الشعر ورسالته السامية؟! أسئلة كثيرة تراودني. ذكرتُ القليل، وتركْت الكثير، ولكني أدعو بإلحاح للإجابة عنها لأني كغيري بحاجة لمن يرشدني وأقول :

أحبُّ لشعر ترياقا لغمّي
يرافقني إذا ما اشتدَّ خصمي
أريد الشعر قنديلا لشعب
وشــوكا في مســارات الأصمِّ
فأين الشعرُ مغموسا بجرح؟
وأين الشـعـر منسوجا لقومي ؟

الثقافة التاريخية في الوطن العربي



د. أشرف صالح محمد

عضو هيئة التدريس - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة ابن رشد - هولندا

ترجع أهمية الثقافة التاريخية إلى أننا نعيش اليوم في مجتمع طرأت عليه تطورات اجتماعية واقتصادية وتكنولوجية كثيرة، واقتحمته تيارات ثقافية متباينة، فأدت إلى انفصام اجتماعي وثقافي خطير ولاسيما بين فئات الشباب، لهذا فإن الحاجة ماسة إلى وجود ثقافة تاريخية تساهم في تأصيل الانتماء لدى هذا الجيل من الشباب، وتجعله قادرًا على التعامل مع القضايا والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تواجهه بأسلوب يتسم بالوعي.

ويقصد بالثقافة التاريخية وجود قدر كاف من المعرفة التاريخية لدى الإنسان والتي تشمل: (الحقائق، المعلومات، المفاهيم) وتُعَدّ بمثابة البعد المعرفي للثقافة التاريخية.

مأساة "التاريخ" في العالم العربي

هناك الكثير الذين ينظرون إلى تخصص التاريخ على أنه علم يبحث في عالم الأموات بالتنقيب عن مآثرهم، وانتصاراتهم، وهزائمهم، وسلبياتهم، ويروي حكايات وقصصًا عفا عليها الزمن، وهو باختصار قصة الماضي الذي توارى خلف الزمن ولن يعود، ومن المؤسف أن هذه النظرة ترسخت وأصبحت هي الفكرة السائدة عن "علم التاريخ".

ظُلم "التاريخ" وظُلم معه مَنْ اهتم به، فالتاريخ كعلم يصوغ التجربة الإنسانية باتجاهات ومدارس تشكلت عبر دورات زمنية ومحطات توقف، أخذت من باحثين ومفكرين جهدًا ووقتًا، وقادهم هذا التعمق إلى بناء نظريات والانطلاق برؤى تحمل أبعادًا مختلفة للتجربة الإنسانية.

مما لاشك فيه أن استلهام أحداث الماضي يساعد إلى حد كبير في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل، وهي رؤية تتسم بالحيوية والحركة وليست ثابتة في مكانها أو جامدة، تعتمد على فهم وتحليل تفاصيل الوقائع والأحداث الفريدة التي مضت وانقضت، فالماضي يلعب دوره الواضح في تحريك الحاضر. فالتاريخ أساس لتثقيف المجتمع وإرشاده لقواعد السلم والحرب وإدارة شئون الدولة والتخطيط لمستقبلها، من هنا يتحول مفهوم التاريخ من نطاق العلوم النظرية إلى العلوم العملية، لأنه علم يرتبط بوجود الدولة وعناصرها المتمثلة في الأرض والشعب والسلطة السياسية ويعبر عنهم جميعًا بأنهم هوية الوطن ووجوده.

المجتمع والثقافة التاريخية

إذا أردنا أن نصدر حكمًا على مدى رقي وتقدم أي مجتمع من المجتمعات فعلينا أن نرى أولاً مدى حرص هذا المجتمع على الاهتمام بتاريخه، وكذلك مدى صدق المنهج في عرض هذا التاريخ قديمًا أو حديثًا، ذلك لأن الثقافة التاريخية التي يستوعبها الطلاب في أي مجتمع من المجتمعات تساهم وبشكل واضح في تشكيل شخصية هؤلاء الطلاب، وكذلك في تكوين التوجهات المختلفة سواء منها السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، وبالإضافة إلى تأثيرها على الجانب الخلقي وما يحتويه من قيم واتجاهات وميول. ولعل ما سبق يشير إلى خطورة ما يقدم من الثقافة التاريخية لأجيالنا وهذا ما يدفعنا إلى أن نقف لنرى مدى صحة ما يقدم من معلومات تاريخية ضمن مناهج المراحل الدراسية المختلفة وكذلك الموضوعات التي يتم تناولها ومدى مناسبتها للطلاب.

فيدرس الطلاب في المدارس ما يطلقون عليه "التاريخ"، مادة لا بد للطالب أن يحفظ كل ما جاء فيها من معلومات بلا نقاش، محتفظًا بأسئلته، إن وجدت، لنفسه، أو لأسرته إن كانت لديهم القدرة والإمكانية لتشجيعه على البحث عن حقائق مختلفة عما تقدمه له الكتب الدراسية، وهذا ما دفع طه حسين إلى أن يقول للطلاب بطريقة غير مباشرة اعتمدوا على أنفسكم إذا أردتم معرفة التاريخ، في مقدمته لكتاب "فصول مختارة من كتب التاريخ" والذي كان مقررًا على طلاب الصف الثالث الثانوي (1952)، قال: "الحادثة التي تحدث منذ قرون طوال ثم يسجلها المؤرخون إثر وقوعها، ثم يأخذها عن هؤلاء المؤرخين جيل آخر من كُتّاب التاريخ، ثم تتناقلها الأجيال وتصورها في الكتاب، لا تصل إليك خالصة من كل شائبة، مبرأة من كل أثر لهؤلاء من الذين تناقلوها، ولحظوظهم المختلفة من الدقة في النقل، والصدق في الرواية، ومن حسن الفهم، وصواب الحكم، وبراعة التصوير والتعبير".

إن الإنسان المثقف تاريخيًا يمكن وصفه بأنه ذلك الشخص الذي يمتلك صورة شاملة عن بنية التاريخ من معلومات واتجاهات وتعميمات ونظريات ومهارات واتجاهات تساعده على الفهم والتفسير لكل ما يتصل بهذا المجال، كذلك يمكن وصف الشخص المثقف

تاريخيًا بأنه القادر على نقل المفاهيم التاريخية إلى مستوى التطبيق في الحياة اليومية، بل ويصبح قادرًا على التخطيط واختزال المعرفة، وعلى هذا لا يكون حفظ المعارف واستيعابها ونقلها إلى العقول هي الغاية المرجوة، وإنما قدرة الطلاب على استخدام المعرفة التاريخية وتطبيقها في الحياة اليومية.

مميزات الثقافة التاريخية

ويمكن القول: إن من مميزات الثقافة التاريخية بشكل عام أنها وعاء للفعل الحضاري، وميدان تنزيل القيم على الواقع، وذاكرة الأمة ومحل تجربتها وعبرتها، وهي مخزون غني يورثه الآباء للأبناء والأحفاد، ونهر متدفق يتجه من الماضي، ويمر بالحاضر، ويصب في المستقبل، ولذلك لا غنى عنها لكل العاملين في مجال التربية والتعليم، والثقافة، والإعلام، ولكل رواد الإصلاح لعالم الغد.

ولعل من أبرز ميزات الثقافة التاريخية أنها توسع اختبار الإنسان وتعمقه، وكذلك تُعَدّ بمثابة سبيل لإدراك الذات، أفرادًا وأمة وإنسانية، وهذه الثقافة تبعث في النفس اعتزازًا بالأجيال الماضية، من شأنها بناء الفرد والأمة، وتوطيد كيانهما، على أن تكون معرفة الذات المؤدية إلى احترام الذات، وتقدير الماضي، هي أيضًا نقد للذات وللماضي.

وأخيرًا؛ فإن الثقافة التاريخية تنمي الحكمة، التي يولدها عمق الاختبار وسعته، والتي تلح على الإنسان في التساؤل حتى يصل إلى الأعماق والجذور. إن الإنسان الحي الفاعل صانع التاريخ، ليس مستقبليًا مطلقًا، سائحًا في الأحلام، ولا حضاريًا مطلقًا، غارقًا فيما حوله من مشكلات، ولا تاريخيًا مطلقًا، يحن إلى الماضي ويبغي أن يرجعه كما كان، وإنما يعيش بإدراك متزن صحيح، وشعور دقيق نافذ بين الحاضر والماضي والمستقبل.

المراجع:

- دلال بنت مخلد الحربي، افتتاحية العدد: "كيف نقدم التاريخ؟" .- دورية كان التاريخية (علمية، عالمية، مُحَكَّمة).- العدد الخامس والعشرون: سبتمبر 2014. ص8.

- عمار علي حسن، "حكمة التاريخ والنبوءة".- الوطن (www.elwatannews.com).- منشور بتاريخ 18 فبراير 2014.

- ياسر عبد الحافظ، "احجز مكانك في كتاب التاريخ".- أخبار الأدب.- ع1108: أكتوبر 2014. ص5.

الجينات اللغوية بين لغات الأرض



د. أمير العزب

جامعة قطر

سبق لغوي أماطت دراسة لغوية "بكر" بجامعة لندن اللثام عن حقيقة علمية دامغة تعزي أصول اللغات جميعًا إلى العربية، حقيقة أغرب من الخيال أذهلت جهابذة باحثي اللسانيات في مختلف أرجاء المعمورة، حيث قلب هذا الاكتشاف طاولة البحث العلمي رأسًا على عقب في خضم هذا الميدان وتم تفنيد الكثير من النظريات السائدة، والجدير بالذكر أن أول من أشار إلى هذا الكشف العلمي الفريد هو عالم اللسانيات الأشهر "ديفيد كريستال" في كتابه الماتع "موت اللغة". حيث طالب الباحثين بضرورة البحث عن "اللغة الأم" التي انبثق من رحمها كافة لغات الأرض قاطبة، فضلاً عن إسهامات اللغوي الفذ "جرينبرج" في كتابه الرائع "اللسانيات الوراثية"، وكانت المفاجأة من طراز العيار الثقيل حيث أثبت د. سعيد الشربيني - أستاذ فقه اللغة بجامعة لندن - هذه الحقيقة بالدليل العلمي لا الديني وقبلتها الجامعة دون تحيز أو محاباة أو عنصرية، ولكن مازال هناك إلى الآن تعتيم ما حول القضية لأنه غرد خارج السرب وفكر خارج الصندوق! هناك جين وراثي لغوي سائد في العربية موجودة بصماته بين الأنسجة الصوتية لكافة لغات العالم أجمع، فلا تزال توجد مقاطع صوتية مماثلة للعربية في أصول أحشاء كلمات اللغات الأخرى، ولكن حدث تحريف فونولوجي وفونيمي في باقي مقاطع الكلمات وتوزيع أصواتها عند انتقالها من لغة إلى أخرى، فهناك عوامل كثيرة أدت إلى تغيير بنية الكلمة وصوتها المتعارف عليه كالعوامل الجغرافية وصعوبة النطق الناتجة عن التواصل والاحتكاك التجاري بين القبائل والشعوب المختلفة عبر الأزمنة السالفة، ولكن نتاج هذا التزاوج أثمر عن ميلاد لغة جديدة تحمل موروثات لغوية هجينة تعكس الصفات اللغوية الوراثية لكلا الأبوين فكلمة "Sugar" في الإنجليزية أصلها "سكر" من العربية وكلمة "Camel" أصلها "جمل" وكلمة "Alcohol" أصلها "الكحول"، فهذا التشابه الموجود في النسيج الصوتي للكلمات له دلالة واضحة على أن العربية هي أم اللغات، وهذا - بدوره - لا يقدح في أهمية اللغات الأخرى كما يتبادر للأذهان، فاختلاف الألسن آية من آيات الله في الكون البديع، وهذا إضاءة من إضاءات التفسير. فكم هي رائعة لغتنا الجميلة! المعين الذي لا ينضب والذي نشم عبق نسيمه من ملايين السنين.

عام من العزلة و الرحيل المدوي



بقلم حمزة شباب

ناقد فلسطيني

الموت والأدب شريكان لا ينفصلان. يقدمه الأديب كوجبة دسمة يطرح فيه عصارة فكره و نتاجه الأدبي لمرحلة تأمل قوية لطالما حدثته روحه بالبحث عنها. ويخوض في تفسير جدلية الوجود والموت بناء على نظرته للأعمال التي قدمها لتلقى مصيرها المجهول بعد أن يجف الذهن وتنضب منابع الإبداع. و يضع نفسه نصب قنائه ليجعل أعماله المتمركزة حول ذاته وسيلة يدافع فيها عن البقاء حتى وإن وافاه غده المنتظر باللاحياة المادية في مقابل الحياة الروحية التي قد يلقاها عند محبيه. لأن الإنسان لا يموت ما حيي ذكره كما قال الشاعر. ثم إن الأدباء كانوا ولا زالوا يبحثون عن تفسير لهذه النهاية الحتمية كغيرهم من علماء الإنثروبولوجيا وما يرافق ذلك من مشاعر القلق والحرمان على آثارهم التي سيتركونها بعد حين. إلا أنهم قد برعوا في تصويره والسخرية منه. بل وجعله طريقًا لاكتشاف الذات. فالموت فكرة تختمر في عقلية المبدع ولها إرهاصات داخلية تمنعه من بوحها في بداية مشواره نحو الإبداع. لأن الحديث عنه في تلك المدة يعد عائقًا في سبيل تحقيق المجد والتغني بالانتصارات. وبما أن الموت موضوع واضح المعالم ومشترك الخصائص في هذا العالم فمن الطبيعي أن يكون مائدة المبدع التي يتحدث عن عالمه كيف يشاء. ومن الطبيعي أيضًا أن يكون فكرًا مبنيًا على جدار من العالمية دون أن يحتوي على أيدولوجيات أو نظريات مرتبطة بجوانب سياسية أو اجتماعية أو تاريخية.

ظهر أبو العلاء المعري في قصيدته "غير مجد في ملتي واعتقادي . . ." متناولاً الموضوع بقدر من السوداوية البحتة لنهاية المطاف الدائر حول موت الإنسان حيث لا

فالموت فكرة تختمر في عقلية المبدع ولها إرهاصات داخلية تمنعه من بوحها في بداية مشواره نحو الإبداع، لأن الحديث عنه في تلك المدة يعد عائقا في سبيل تحقيق المجد والتغني بالانتصارات

ينفع نوح ولا ترنم لأن صوت الحمامة المبني على النواح خلق ليزيد في التفكير فيه ولا يشكل أي معنى لموت أو حياة. أما الشاعرة الأمريكية سيلفيا بلاث التي مثلت واقعًا أدبيًا في شهادتها على الموت بعد أن واجهها الاكتئاب، وكانت ترويه كأنه أنشودة للحياة الأخرى. فالوصول إلى كمال المرأة – وليس جمالها الذي سينتهي في حياتها – هو غاية الوصول. فتقول في قصيدتها "الحافة": (أدركت المرأة كمالها أخيرًا / جسدها الميت/ يحمل ابتسامة التحقق/ وهم قدر إغريقي/ ينساب بين طيات ثوبها / قدماها العاريتان كأنهما تقولان /كثيرًا مشينا. كفى). وقد كتب محمود درويش جداريته على أنقاض التفكير بالموت في حالته المرضية التي فرضت على أوتار ديوانه إيقاعًا خاصًا بمواجهته مواجهة شرسة لإثبات الأنا. أما على صعيد الرواية فما أن يشرع الروائي في رسم الخطوط الأولية لروايته حتى يعود في تأمل نهايتها المناسبة لحياتها التي أوجدها بفكره. غير أن الروائي الحاذق هو من يطرح الموت بسردية عالية مع تنام تام للأحداث وفق ما يقتضيه المآل. وليس من يخلقُ الموت للتخفيف من عبء السرد فيحاول إنقاص شخوصه وإزاحتها بعد أن تعددت السطور والأوراق التي خدمت روايته فينكر جميل شخصية ما صنعت الأحداث بفرضه عليها. فلا ينبغي له

غير أن الروائي الحاذق هو من يطرح الموت بسردية عالية مع تنام تام للأحداث وفق ما يقتضيه المآل، وليس من يخلق الموت للتخفيف من عبء السرد فيحاول إنقاص شخوصه وإزاحتها بعد أن تعددت السطور والأوراق التي خدمت روايته فينكر جميل شخصية ما صنعت الأحداث بفرضه عليها

أن يجد في الموت ملاذاً للخلاص، بل أن يتخذه عنصراً فعالاً في تعجيل الرواية لكسب عقلية القارئ، ونرى في أعمال فرانز كافكا مثالاً على الاهتمام الوجودي به وما يعتري النفس من حالات الإنطوائية والتقوقع حول الذات في مواجهته – رغم حكمه عليها بالموت حرقًا – كروايته القصيرة التحول (المسخ)، ونرى في المسلسل الإيطالي "اعترافات زينو" عام 1966 م المأخوذ عن رواية للكاتب إيتالو سفيفو ما يحاول إبقاءه على طبيعته، لتدور الأفكار حوله بخطوط بيانية طبيعية تبدأ من لحظة الولادة فيعلو السهم ويرتفع، ثم يدنو ويهبط في مرحلة الضعف والموت مما يشكل قصر الحياة ويخلص إلى نتيجة لا جدواها. لكنه يعود بفعم صفحات الرواية عبقًا شديدًا كما في "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي التي تبدأ بفقد البطل لأحد أطرافه في ظاهرة تمثل الموت الجزئي لعنصر رئيس في الرواية التي لا تلبث إلا أن تتوسع دون التفكير بمحاكمة الجاني (الكاتب) الذي يزج الموت في وجوه تلك الشخصيات كأغاثا كريستي التي ارتكبت أكثر من ستين جريمة في رواياتها.

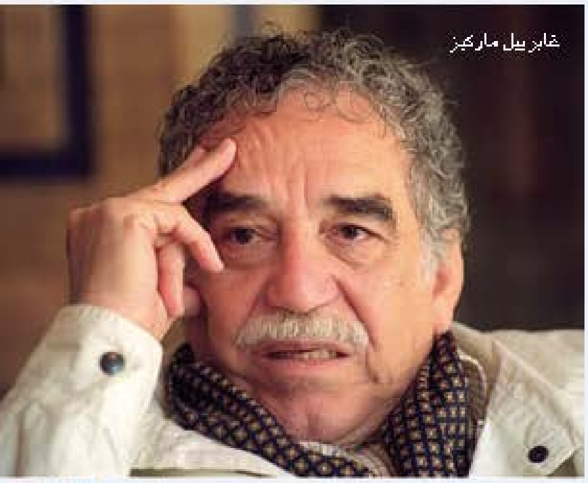
أطلق الناقد الفرنسي رولان بارت فكرة موت المؤلف لبلورة منظور جديد من البنيوية القائمة على عزل النص عن ظروف إنتاجه، فما وجدناه من أعناء بعد مضي عام من العزلة الأدبية والرحيل المدوي لشخصيات ألهبتنا أشعارهم، وأثارتنا أقلامهم، وطافت بأروقة الصفحات أنظارنا باحثين عن عقلية مبدع أغنى الأدب العالمي بنماذج راقية من المشاعر والأحاسيس والانفعالات التي تجسدناها في يومياتنا، وإن كانت القضية النقدية موت المؤلف ضمنيًا فكيف سيكون المشهد بعد وفاته الفعلي، وهل دللنا كقراء أننا عشنا معهم؟

عام 2014 كان أكثر الأعوام دموية في رحيل الأدباء، فقضى نحبه عدد كبير منهم على فترات متقاربة، وتساقطت أوراق غالبيتهم في تشرين، رحل "غابرييل غارسيا ماركيز" تاركًا أعوامًا من عزلته المئة، ورحل "أنسي الحاج" رائد قصيدة النثر العربية، ورحل "سعيد عقل" بعد قرن من الإبداع، ورحل شاعر الرواية العربية "محمد ناجي"، ورحلت قيثارة فلسطين التي ستخرج من صورتها ذات يوم رحل "سميح القاسم"، ورحل "سيجفريد لينز" في دقيقة من الصمت، ورحل صاحب طرب هذه ليلتي "جورج جرداق"، وما يكاد العام يلفظ

عام 2014 كان أكثر الأعوام دموية في رحيل الأدباء، فقضى نحبه عدد كبير منهم على فترات متقاربة، وتساقطت أوراق غالبيتهم في تشرين

أنفاسه الأخيرة حتى رحلت صاحبة ثلاثية غرناطة في جزئها الأخير "الرحيل"، رحلت رضوى عاشور، ولعلي لم آت على ذكرهم مرتبين لهول الرحيل، وقد كررتها لفظًا ومعنى لأنهم شكلوا تراثًا فريدًا وتاجاً عظُم بيانه عند جمهور القراء والمثقفين، فأفردت لكل منهم كلمة الرحيل للتعبير عن وقع مدوٍ، وخبر تجاوز الأسماع ليخاطب الوجدان الثقافي في مرحلة يكتنفها الحزن على الأنساق المختلفة لهؤلاء الأعلام.

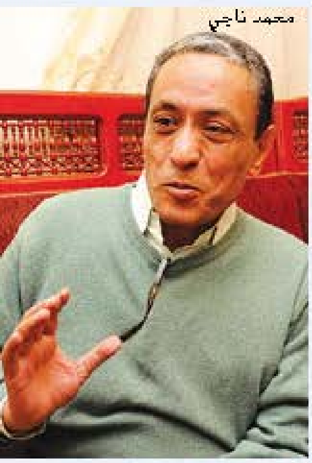
لعل القضية التي تنشأ بعد رحيل الأديب هي سياسة تكريمه بناء على الواقع الذي قدمه وتأثيره في المجتمع، ولا يعد ذلك من باب (البرستيج) لأن هذه الشخصية قضت إلى حياة مختلفة تمامًا عن عالم مادي، وإن تعلق الأمر بالأحياء فتجيب محفوظ رفض مكافأة جائزة نوبل ومنحها لزوجته كي تتصرف بها، كما رفض عباس العقاد جائزة الدولة التقديرية لأنها تضعه في خانة تحد من إبداعه، مع الأخذ بعين الاعتبار المفارقة الشاسعة بين تكريم الغرب والعرب للأدباء، فمهما تعددت أشكال التكريم في بناء التماثيل ووضع الصور على العملات والطوابع ذات المظهر الغربي أو تسمية اسم شارع باسم ذلك المبدع في التقاليد والأعراف العربية فإنها لا تنحو منحى ثقافي تبرز الخوف على تراث الأدب العالمي لفقد قلم قد لا يتكرر إنتاجه، وظاهرة قد تمحى معالمها في إطار مدرسة نقدية جديدة تدعو إلى التجديد في مرحلة تطلق على نفسها ما بعد بعد وبعد بعد الحداثة، ومهما اختلفت الطرق المتبعة في إقامة حفلات التكريم الغربية والعربية في إيجاد بيئة حية للإبداع يقوم على أساسها شكر الأديب على صنيعه، وتوفير الصيت الأفضل له خاصة مع سرعة تأسيس المؤسسات الثقافية التي تأخذ على عاتقها تكريم أديب/ة بناء على جهد روائي واحد أو قصيدة مترفة استغلت شعورها بظل مسابقة ثقافية مادية، وهذا يقودنا نحو حقيقة بناء أنطولوجيا لكيان ذلك المبدع تقديراً لنشاطه الإبداعي بتناسب وحجم إنتاجه وتنوعه في خدمة الأدب باعتباره مفهومًا عالميًا وليس قوميًا ضيقًا، والمعنى الحقيقي لذلك التقدير هو إعطاء المبدع حقه من التقدير ثقافيًا كي لا نعيش في حالة من الاغتراب الممنهج فيظن الذين سيأتون من بعدنا أن ماركيز كان لاعب كرة قدم أو رضوى عاشور كانت نائبة معارضة في إحدى البرلمانات العربية، حريّ بنا أن ننظر للتكريم كرسالة شكر وتقدير ثقافي وليس كواجب عزاء بيروقراطي يقودنا إلى أعوام من العزلة بعد هذا الرحيل المدوي.

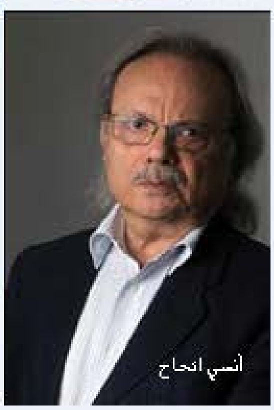

غابرييل ماركيز


سعيد عقل


سميح القاسم


جورج جرداق


محمد ناجي


أنسي الحاج


رضوى عاشور

حين يجتمع الإيديولوجي والجمالي في القصة!
سيميائية العنونة للقصة لدى سعيد تقي الدين

سُمية عزّام

المعهد العالي للدكتوراه - الجامعة اللبنانية

إن الأسلوب، كما عُرّف، هو طريقة استعمال اللغة استعمالاً خاصًا وفريدًا مختصًا بكاتب ما، من خلال اختيار مفرداته وصياغة عباراته وصوره؛ وذلك لإحداث أثر ما في المتلقي واستمالته، أو إقناعه... ما يعني أن للأسلوب بعدًا سوسيولوجيًا . خلف العنوان، والأسطر الأولى، والكلمات الأخيرة، وخلف بنية النص القصصي الداخلية، ثمة منظومة من الإحالات المرجعية والجمالية، باعتبار "الأسلوب قائمًا في مجمل العلاقات، وفي التكافؤ والانسجام والتناسب بين الأبنية الكبرى والصغرى"، بحسب رومان جاكوبسون R. Jakobson .

فما الذي يميّز أسلوب سعيد تقي الدين (1904-1960)؟ وما الذي يجعل الجمال فيه جميلاً بدءًا بالعنوان- العتبة الأولى للنص القصصي؟

وفق نظرية ابن طباطبا (في كتابه عيار الشعر) فإن الطرب المتأتي عن "الفهم" أشدّ إطرابًا من الغناء.

ثمة من أولى العنوان أهمية بيّنة في مقاربة النصوص، منهم جينيت G.Genette الذي حدّد وظائف أربع أساسية للعنونة، وهي: الإغراء، والإيحاء، والوصف، والتعيين. ويضيف جميل الحمداوي إلى ما تقدّم وظيفة تناصّية. كما وصفه جاكوبسون بأنه عبارة عن «رسالة مسنّنة بشيفرة لغوية ذات وظيفة شاعرية أو جمالية قابلة للتفكيك والتأويل بلغة واصفة». أو بأنه مسند إليه والخطاب النصي بأفكاره مسند، كما يرى جون كوهن J. Cohen.

ليس بعيدًا عن هذه التصوّرات، نرى أن سعيد تقي الدين يختار عناوينه مؤثرة ودالّة، ودلالة عناوينه أرادها أن تكون ليس من طريق الكشف والإيضاح، إنما عبر الاستنطاق والتأويل، حيث يقول: «عنوان القصة يجب أن يكون، عدا عن جماله، لغزًا... وحذار أن يفضح عنوانك قصتك». شرطان جدليان إذًا، في العنونة: الجمالية والغموض.

من هنا، تأتي أهمية فك الشفرات الجمالية والإيديولوجية لعناوين المجموعات القصصيّة الأربع لديه: الثلج الأسود (1946)، موجة نار (1948)، غابة الكافور (1951)، وربيع الخريف (1954).

أ- الثلج الأسود:

البنية العميقة لهذا العنوان تكشف عن علاقة تناقض وتنافر بين الموصوف وصفته، وفي العرف الاجتماعي، بات الثلج –الأبيض- رمزًا للطهر والنقاء، لفعله التطهيري للطبيعة، وفي توليداته – بما يتركه في النفوس البشرية- من معاني السكينة والدعة؛ وما يحيل إلى أفعال التضامن الاجتماعي حين يحلّ وأينما يحل، فتبرز المعاني الإيجابية لهذه اللفظة، إنما باقترانها بالسواد، يقع اللبس واللامعقولية واللامنطق السببي، إلا أنه يظهر التحول من الإيجاب إلى السلب، لأن السواد في جوهره مجموعة من اللاءات: اللالون، اللانور، اللارؤية البصرية، وهو علامة رمزية- عُرفية، تشير إلى الظلمة وانحجاب الرؤية، وانسداد الأمل، مع كل ما يولّده من مشاعر بالفزع والوحدة والانكفاء، وما يُستخدَم لوصف الفساد والظلم... فالسواد إذًا، ينفي البياض، وينفي "اجتماع الألوان الأساسية" في تشكيلها للأبيض ينتج عنه" انعدام اللون" الذي هو الأسود. وهذا ما يعدل بنية النص القصصي الموسوم بالتحوّل القيَمي على المستويين الاجتماعي والسياسي.

الثلج الأسود صيغة مجرّدة ومكثّفة، قلقة، وسوداويّة - بما توسم به من مدلولات للوثنين المشفّرين اجتماعيًا وسياسيًا- في حركتها من البياض إلى السواد، من السكينة إلى السكون، من النقاء والطهر إلى الظلمة والمجهول. عنوان يحمل في طيّاته هذه الدلالة للتحوّل في الوضعيات والمفاهيم في القصص، ويرسم خط النهايات المأساوية أو التشاؤمية، وهذا التنافر يثير السخرية أيضًا، معنى ذلك أنه محمّل برؤية نقدية لاذعة ترصد التحوّل وتهزأ به، ومحذّرة من مغبّة الانعزال وفعل العزل ورفض التعدّدية والاختلاف المفضي إلى العدم.

ب- موجة نار:

مركّب إضافي نكرة، يضمّ عنصرًا من عناصر الطبيعة، ومن مكوّنات الوجود بحسب الفلسفات القديمة، وهو النار؛ موسومة بلفظة تختصّ بعنصر طبيعي آخر هو عنصر الماء: "موجة"، وبحسب تعيينها المعجمي، هي ما ارتفع من الماء على سطحه وهاج واضطرب. والنار برموزيتها تحمل مدلولات متناقضة، وهي لهيب وإشعال وتدمير، ومصدر نور وإشعاع ودفء، كما توسَم العواطف الإنسانية المتباينة بها عبر الانزياح، من حب ملتهب واندفاع وحميّة، وعنفوان وحماسة، وغضب. والموجة، بمعناها الضمني، هي "الصحوة" التي تهزّ الكيان وتثير حواسه، وتوقظه. هذه التعدّدية في الاحتمالات، تضفي على العنوان جاذبيته وقوته التأثيريّة، فهو عنوان انفعالي بامتياز، بوصفه "ملفوظة حالة" تحيل إلى الذات البشرية، وحَرَكي متدفق، يأتي تارةً، على كل شيء بطريقه، وطورًا ينير ما أظلم في خبايا النفس. عنوان مكثّف وكاشف في عموميّته وتنكيره وتجريده، يفترض حركة مرسومة من السلب إلى الإيجاب ابتغاء التغيير والتحوّل نحو الأفضل.

ج- غابة الكافور:

يحمل هذا العنوان دلالة التعيين في إشارة إلى مكان بعينه، إلى عنصر طبيعي خيّر هو الأشجار عندما تتكاثف مشكّلةً غابة، والكافور هو شجرة أريجيّة/ من فصيلة الغاريات، أوراقها دائمة، وأزهارها بيضاء ضاربة إلى الصفرة، يُستخرج من الكافور مادة عطريّة، والغابة هي الطبيعة البكر في مدلول أول، وربما تتدخّل يد الإنسان في تشكيلها عن طريق الزرع والغرس والعناية، وهي أفعال إيجابية مُنتجة، فيتواءم العمل الإنساني مع الناموس الطبيعي، فلا تنافر بين الطبيعة والثقافة، إنما تلاؤم وانسجام، والغابة بمفهومها الإشاري، تحيل إلى علاقة احتواء واحتضان في بُعد أول، وعلاقة شعورية بالغموض والدهشة الأولى حيالها وإيحاء بالفطرة والعزلة في أبعاد أخرى، غابة الكافور عنوان ترميزي يغلب فيه العنصر الطبيعي والبكارة، والحنين إلى العودة إلى زمن الفطرة، يشيع جوًا عطرًا مستمَدًا من رائحة الكافور المسكيّة، كما يوحي بالتكثير والإخصاب والانتشار في تعادل دلالي بنيوي- فونيمي، بتكثير المد في لفظتيه، فيضفي سحرًا بمؤثراته البصرية والشمّيّة والشعوريّة، من خلال تراسل الحواس في بنيته.

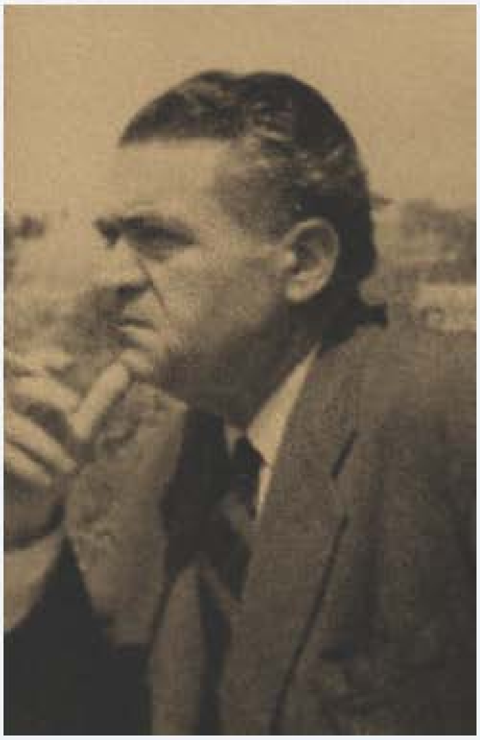
د- ربيع الخريف:

يجمع هذا العنوان ظاهرتين زمنيّتين طبيعيّتين، تحيلان إلى دلالة تحويلية تأثيرية متناقضة، وفي الوقت عينه، ثمة تماثل بين الانقلابَين اللذين يميّزان المناخ المعتدل، فالانقلاب الربيعي هو تحوّل من قسوة في الطقس إلى اعتدال فيه، كما الانقلاب الخريفي يؤثّر في تغيّر المناخ من التطرّف إلى الاعتدال، والربيع هو ولادة جديدة لعناصر الطبيعة، يحمل دلالة العفويّة وصخب الحياة والإخصاب، والأمل بترميز لحالة الإنسان، إذ يحاكي الطبيعة ومظاهرها في هذه المرحلة الزمنية، والخريف، على النقيض من ذلك، يمثّل حالة الكهولة والاندثار والتناثر؛ ويرمز إلى نهاية المطاف من عمر الطبيعة، كما بالنسبة إلى عمر الإنسان تمثيلاً. غير أن الفجاءة والغرابة تكمن في إضافة الربيع إلى الخريف، وهكذا تكون حركة هذه المرسَلة بين نقطتين معلومتين — بداية ونهاية — في خط تصاعدي متنام، فهذا المركّب المشفّر بأبعاده الزمنية والتماثليّة يحيل حكمًا إلى حالة — وضع، فيحمل تاليًا مدلول بداية النهاية، وهنا مكمن الجمال، ربيع الخريف عنوان الأمل والنهوض واليقظة، يتضمّن دلالات ثقافية/ موضوعية وشعورية/ ذاتية، يحجب بتكثيفه المعاني ويكشف برموزيته المعلومة.

من هنا، فإن العناوين الأربعة تتضمّن عناصر وظواهر طبيعيّة، ما يحيل إلى مذهب الرومنسية القائل بالعودة إلى الطبيعة، بعد إعلان التمرّد الفردي والثورة على الواقع، إنما هذه النزعة الفردية تعبّر عن شعور إنساني ذاتي وعام في الوقت نفسه، أي أنها محمّلة برؤية شخص تخطّى فرديته في نزوعه الإنساني الثوري، كما أنها مزيج من ألوان متباينة وحائرة في تشكيلة من انزياحات هذا التآزر الحسّي، أو ما يُسمّى بتراسل الحواس يضفي حركة وديناميّة على هذه "النصوص الموازية" -أي العناوين .

وهي، إذا جُمعت معًا بحسب تسلسل ظهورها الزمني، في تدرّجها الدلالي - من نقد ساخر لوضع يتحدر في تحوّله، إلى دلالة واصفة لحالة الصحوة والغضب، فإلى إحالة مكانية من الفطرة والإخصاب والاحتضان، ومن ثم إلى دلالة زمنية تحويليّة ناهضة- تنمو في مشهد تصاعدي درامي لتروي حكاية، حيث إن الوضع الأول في لحظة مفارقة، إيجابي؛ والوضع الأخير لدى التحوّل النهائي إيجابي مع كل ما يمرّ به المشهد من نكوص وارتداد، فنقمة ومن ثم ثورة وانتفاضة براغماتيّة من أجل تصحيح الأوضاع. هذا التماهي المُحكَم بين دورة الطبيعة ومراحلها، وحياة البشرية وصعود الحضارات وانحدارها / العمران البشري، يبرز تكتيكًا أسلوبيًا مؤثّرًا لدى الكاتب ويظهره بنّاءً بارعًا، بل لغويًا يتنقّل بين لعبة الإخفاء ولعبة الكشف.

حمل سعيد تقي الدين السخرية شعارًا حكميًا يسرّبه إلى ما يكتب ويصوّر، وهو القائل: «إن السخرية حكمة لأنها تنسف الحياة قوةً إذ هي تستخفّ بكل قوة... والحياة وقد أخصبت في نفسي تجاربها وأهوالها ومخاطرها، نعيمها وجحيمها، ما تركت في نفسي إلا الهزء بنفسي وبكل ما مرّ بي ومَن مرّ بي». فتقاطع إذ ذاك، الفني والفكري في أدبه القصصي، فحفل بالجمالي، ولم يستطع الإيديولوجي إقصاء الشاعرية عنه، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على قدرة الكاتب على بناء القضايا الشخصية والوجودية — العامة — بناءً أدبيًا.



سعيد الدين تقي

في العرف الاجتماعي، بات الثلج –الأبيض– رمزًا للطهر والنقاء، لفعله التطهيري للطبيعة، وفي توليداته – بما يتركه في النفوس البشرية– من معاني السكينة والدعة، وما يحيل إلى أفعال التضامن الاجتماعي حين يحل وأينما يحل. فتبرز المعاني الإيجابية لهذه اللفظة. إنما باقترانها بالسواد، يقع اللبس واللامعقولية واللامنطق السببي.

إن العناوين الأربعة تتضمّن عناصر وظواهر طبيعيّة، ما يحيل إلى مذهب الرومنسية القائل بالعودة إلى الطبيعة، بعد إعلان التمرّد الفردي والثورة على الواقع. إنما هذه النزعة الفردية تعبّر عن شعور إنساني ذاتي وعام في الوقت نفسه، أي أنها محمّلة برؤية شخص تخطّى فرديته في نزوعه الإنساني الثوري.

في مفهوم التَّناص



رشيد الخديري - المغرب

يُمكن تَلَمّس ظاهرة التناص الشعري في مراحل تطور النظريات النقدية العربية منذ نشأتها، وإن كانت ظاهرةً وسمتْ بـ"معنى قدحي" بعيدًا عن إمكانية التعايش والتجاور داخل كل إنتاج نصّي، ربما، أن القراءة تختلف من مرحلة إلى أخرى، باختلاف السياق المعرفي، والخصوصيات التي تميز طبيعة كل مرحلة من مراحل سيادة المصطلح، ذلك أنّ كل توصيف لهذه الظاهرة يَمُرّ- بالضرورة -عبر مراحل تطور آليات النقد من جهة، ثم مع الخصوصيات الثقافية والجمالية والتاريخية والمعرفية لكل مرحلة من

جهة أخرى، فمن مصطلح " السرقة الأدبية" الذي شاع في الشعرية العربية القديمة، مرورًا باصطلاحات " عصر النهضة" كالتقليد والمحاكاة كنوع من التراجع عن"قدحية" مصطلح "السرقة، وُصولاً إلىَ اصطلاحات أخرى بدأت في الانتشار والتداول على نطاق واسع مع التحولات التي شهدتها القصيدة العربية مع رواد " الشعر الحر" في مطلع خمسينيات القرن الماضي، كـ "توظيف التراث"، "والنص الغائب"، و أخيرًا " التناص".

فهذه العودات المستمرة إلى التراث الإنساني، - وإن إختلفت التسمية- ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالذاكرة الثقافة العربية، سواء كمصطلح" تهجيني" - سرقة- أو كمصطلحات أكثر مرونةً وتهذيبًا مثل" التعالقات النصية" أو " التناصات"، وإن كان مصطلح " التناص" أكثر ملاءمة لطبيعة الاقتراض الشعري، إذا سَلَّمْنَا -ضمنيًا- بأن حتمية السيرورة تُؤمن بمبدأ " لا نص يُولد من فراغ"، صحيح، أن " التناص" له أصول غربية، مرتبط بـ" ثورة النص" عند النقاد الفرنسيين أمثال " جوليا كريستيفا" و" رولان بارث" وجماعة" شعر"، إلا أنه ظهر عند العرب كتعبير اصطلاحي، ثم أخذ في الانكماش والتراجع نتيجة " الثورات " في مفهوم النص، وانتقاله من المعنى الواحد إلى معنى متعدد، حافل بالإشارات والرموز، وهذا ما يُفَسّرُ " طاقاته التفجيرية- الانفجارية- في التفاعل مع غيره من النصوص الأخرى، وقد أشار سعيد علوش في كتابه" المصطلحات الأدبية المعاصرة" إلى مجموعة من التعاريف لمفهوم التناص عند النقاد الغربيين، فبارث مثلاً يعتبر أن" أهم قانون يميز التناص لا نهائيته"، ثم ميشيل فوكو يرى" بأنه لا وجود لتعبير لا يفترض تعبيرًا آخر، ولا وجود لما يتولد من ذاته، بل من تواجد أحداث متسلسلة و متتابعة، ومن توزيع للوظائف والأدوار"، في حين يرى سولير أن" التناص في كل نص يتموضع في ملتقى نصوص كثيرة بحيث يعتبر قراءة جديدة"، ليخلص سعيد علوش في النهاية إلى تعريف شامل له، وهو أنه " يُكَوّنُ طبقات جيولوجية كتابية تتم عبر إعادة استيعاب غير محدد لمواد النص، بحيث تظهر مختلف مقاطع النص الأدبي عبارة عن تحويلات لمقاطع مأخوذة من خطابات أخرى داخل مكون إيديولوجي شامل"[1].

إن النص الشعري- أي نص- هو أولاً و أخيرًا كتلة من الأصوات المندغمة مع بعضها البعض، أو بمعنى آخر هو شبكة تلتقي فيها عدة نصوص، تكون بمثابة ذاكرة معرفية و ثقافية للشاعر، تظهر في كتاباته علنًا أو سرًا، وعيا أو لا وعيًا، رغم ما قد يُقال من ثبوت جناية" السرقة" تستوجب محاكمة كفكاوية، أو أن هذا الأمر مقبول ومحمود جماليًا، كـ " بنية محتجبة" داخل النص الشعري كتبرير لهذه الآثار الخفية كما يشير إلى ذلك رشيد بنحدو[2]، والواقع، أن هذه" البنيات المحتجبة" داخل كل نص شعري، تظهر وتختفي كثعلب محمد زفزاف، تغيب وتحضر في تشكيل كل النصوص الأدبية مهما بلغ شؤوها، لأن تدخُلُ ضمن إواليات التلقي، وشرط من شروط الكتابة، تتحصّن بالذاكرة الثقافية والجمالية لكل شاعر، ومع ذلك فإمكانية الانفجار تختلف من شاعر إلى آخر، بتنوع روافده وخلفياته ودرجة تمثله للأشياء والقدرة على التخييل والغوص في السراديب السفلي للذات، ثم نقل تلك الشحنات الوجدانية إلى معاني ودلالات على أساس" الامتصاص" كأعلى درجة من التناص الشعري، ومهما يكن، فالتناص لا يفقد النص الشعري "صوته الخاص"، بمعنى آخر، تفاعل النص مع النصوص الأخرى لا يفقده جماليته وشخصيته، لكونه كتابة إبداعية جديدة، مغايرة لتلك النصوص الأخرى، ثم أن ذلك التفرد لا ينطلق من فراغ، أو من الداخل فقط، بل هناك خارج يفرض ذاته كمرجعية، يتصادى مع الداخل، يحدده، ويؤثر فيه، وصفوة القول، فوجود النصوص الغائبة في النص الشعري، يكتسي طابع التكيف مع البنيات الأسلوبية والبلاغية و الدلالية لباقي النصوص، لكون العلاقة بينهما علاقة مركبة وعميقة، وتحتاج إلى جهد جهيد من أجل اكتشاف أبعادها وسبر أغوارها، وهذا لا يتم بمعزل عن الإحالة إلى نص سابق أو عدة نصوص محتجبة وراء بنيات وشفرات مضمرة.

هوامش:

1- للتوسع يمكن مراجعة كتاب"المصطلحات الأدبية المعاصرة"، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبريس، البيضاء، ط 1، 1985، ثم كتاب" ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب" محمد بنيس، دار التنوير، بيروت، المركز الثقافي العربي، البيضاء، ط 2، 1985.

2- راجع مقال" كشف المستور وما تحت السطور"، عن البنيات المحتجبة في النص الشعري، رشيد بنحدو، مجلة الرافد، يوليوز 2014، ص 61 - 64

في البِدءِ كُنتِ أغْنيتِي و ملْحمَتِي...



شعر

عباس محمود عامر - مصر

الشّك سيّدتي
بلا عنْوَانْ ..
فكتابُكِ المُزوقُ /
أخْيِلةُ الصّبَا /
آهاتُ طائرِكَ الجريحْ ،
وحكايةُ الحظّ المُخَادِعْ ..

❋ ❋ ❋

ياليْتَنِي عانقتُ فيكِ بواكرَ
الأحْلامِ
فى مهْدِ الرّبيعْ
قبلَ الأوَانْ ..
ياليْتَنِي أحْرقتُ أوراقَ الرّزِيئةِ
بالشُّعاعِ المجْتَلى فى صدْرى
المحْروم
فى ذاكَ الزّمانْ ..

❋ ❋ ❋

فى البَدءِ يا ذَا الحُبِّ حقّاً
كُنتَ أغْنيتِي
حطّ الغيابُ على مشَارِقِ وجْهكِ
السَّمحِ ،
فنشقْتُ رائحةَ الجزَائرِ والمُدنْ
كى أشْتهِى فيها روائحَكِ
التى أدْمنْتَها ..
حَاورتُ فيْروزَ السَّواحلِ والمُحيطْ
يومَ انْتظرتُ على روابِى المنْتهى
دقّاتِ ناقُوسِ الحُضورْ ،
ونبوءةَ النَّجمِ البَشيرْ ،
ومواكبَ الطّيرِ المهَاجرْ ..

❋ ❋ ❋

فأعودُ
أجترُّ اللُّجاجَاتِ الرَّزِينةَ
فى ذيولِ القهْرِ والتغْريبْ ..
تنْكسرُ المجَاديفُ الهزَالْ ،
والعَومُ يسْعفنِي ..

❋ ❋ ❋

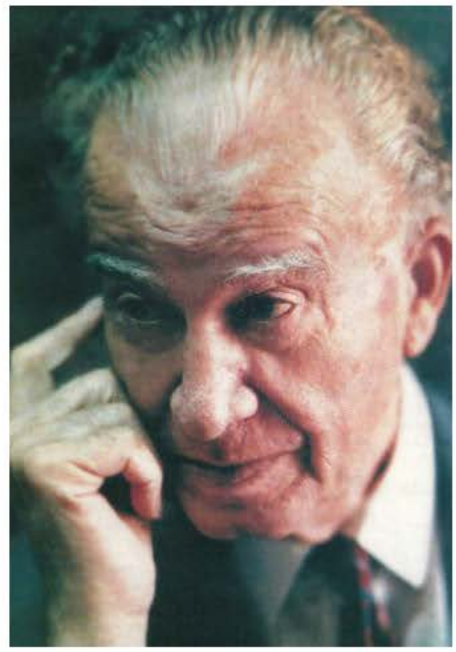
فأراكِ
أسْفرَتِ النَّهارَ لكوكبٍ ثانْ
منْ قبْلِ يَا ذَا الحُبِ دوْماً
كُنتَ أغْنيتِي ،
وملْحَمتِي ..

❋ ❋ ❋

أهْديتَه القيْثَارَ
لا يهْوى الغنَاءْ
لم يحْسنْ العَزفَ الفَريْدَ
فمزّقَ الأوتَارْ ...

❋ ❋ ❋

عمر أبو ريشة .. الشاعر الدبلوماسي



يعد عمر أبو ريشة من كبار شعراء وأدباء العصر الحديث وله مكانة مرموقة في ديوان الشعر العربي وهو الإنسان الشاعر الأديب الدبلوماسي الذي حمل في عقله وقلبه الحب والعاطفة للوطن وللإنسان وللتاريخ السوري والعربي وعبر في أعماله وشعره بأرقى وأبدع الصور والكلمات والمعاني.

ولد عمر أبو ريشة في 10 نيسان/أبريل 1910 في عكا بفلسطين أثناء زيارة أمه لأهلها الذين كانوا يقيمون هناك. وكان والده شافع أبو ريشة يعمل قائمقامًا للسلطات العثمانية في مدينة منبج السورية.

وعندما اكتشف الأتراك أن للوالد شافع اتصالات سرية مع الثوار السوريين مثل شفيق مؤيد العظم وشكري القوتلي وعبد الوهاب الإنكليزي اعتقلته وأرسلته إلى أستنبول ليواجه محاكمة كانت ستؤدي حتمًا إلى إعدامه. إلا أن مفتي الجيش التركي الشيخ أسعد الشقيري والد أحمد الشقيري والمقيم في عكا تدخل لحماية شافع أبو ريشة بضغط من من جد الشاعر الشيخ إبراهيم اليشرطي.

عاد والد عمر بعد الحرب العالمية الأولى إلى حلب وأقام فيها. وكانت عائلته قد سكنت في عكا طيلة سنوات اعتقاله. وفي عكا أتم عمر أبو ريشة تحصيله الإبتدائي ثن انتقل إلى حلب ثم انتقل إلى المدرسة النموذجية الإبتدائية .

يتحدث عن جانب مهم منها، هو جانب الصوفية، فيقول: «عالم من الأنوثة زاخر بالحب مضيء بالرقة والحنان. غلبت عليها النزعة الصوفية، تشعر بالألم فتغني بصوتها الرخيم لتبدد الألم. أحبت من الشعراء المتصوفين علي وفا وبحر الصفا وعبد القادر الحمصي وحسن الحكيم». ويضيف: «لقد اتسع حديثها دائماً للحب المحدود والحب المطلق للذات الكبرى، وعلاقة الإنسان بها».

ومما هو جدير بالذكر أن أم عمر كانت تروي الشعر وبخاصة الشعر الصوفي.

وقد عرف عمر أبو ريشة التصوف منها، وكذلك أخذ عنها نظرته إلى الدين والحياة والحب، وكذلك مفهومه للتصوف، وكلفه بالجمال، وصداقته للموت.

يذكر عمر أن والده ألحقه بعد عودته من المنفى بمدرسة النموذج الابتدائية في حلب، كما يذكر سامي الدهان أن عمر التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت سنة 1924 ، وكان عمر التلميذ يُعَرِّفُ بالخطيب والشاعر والمؤلف المسرحي قبل أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره.

وكان من بين أساتذته الجامعيين بعض فحول اللغة العربية آنذاك مثل أنيس المقدسي وجبرائيل جبور فاستفاد منهم كثيراً، حتى أنه بدأ يكتب الشعر مقلداً شعراء الجاهلية والعصر العباسي وبخاصة في شعر المديح والاستجداء والتقليد. وفي هذه المدة الزمنية من حياته كان يقرأ التراث الأدبي القديم بنهم واستعاب فاستقامت لغته وبدأت أدواته التعبيرية تتجه نحو الإبداع والخروج عن إطار الموروث عبر التجديد والتحديث.

كما أدرك أبو ريشة الشعراء الثلاثة الذين أنجبتهم الجامعة الأمريكية، وهم "إبراهيم طوقان"، و"حافظ جميل"، و"وجيه البارودي" عن طريق الندوات التي كان يجتمع فيها إليهم أو عن طريق إدراكه لآثارهم أو بقايا شعرهم الغزلي المشترك.

حاول الأب أن يثني عمر عن الشعر والأدب فأرسله إلى إنكلترا سنة 1929 ليدرس كيمياء الأصباغ والنسيج في مانشستر، لكنه على ما يبدو انصرف إلى الشعر يقرأ عيون الشعر الإنكليزي، وعلى الخصوص شعر شكسبير، شلي، كيتس، ميلتون، تنيسون، براونينغ، بو، غراي. كما أنه درس بودلير بوصفه شاعره المفضل، بالإضافة إلى بو.

عاد عمر إلى حلب في سنة 1932 واستقر فيها ودخل معترك السياسة فانتمى إلى (الشباب الوطني) الذي كان فرعاً من الكتلة الوطنية التي ضمت عددًا من كبار السياسيين السوريين المطالبين بإنهاء الانتداب الفرنسي. غير أن انضمامه إلى الشباب الوطني لم يطل إذ خرج من هذا التنظيم سنة 1936 بعد رفضه للمعاهدة المنقوصة التي وقعها رجال الكتلة الوطنية مع الفرنسيين. ولم ينتم إلى أي حزب بعد ذلك. لكنه تحول إلى الشعر الوطني والقومي مهاجمًا الاستعمار، محرضًا الجماهير.

وعن بدايته الشعرية وتأثره بوالديه في طفولته فيما كانا يتلوانه من الشعر الصوفي. وهو يقول في ذلك: «في البيئة المتصوفة، حيث نشأت، أُتيحَ لي الإصغاء، وأنا بعد طفل إلى أناشيد لم أكن أسمع مثلها في غير تلك البيئة، فأرددها برفقة أهلي، وأصدقاء أهلي، دون أن أدرك أبعاد معانيها».

كان الشاعر قد بدأ بعيون الشعر العربي ينهل منها ويتمثلها، إلا أن مصدرًا جديدًا أغنى ثقافته أثناء إقامته في بريطانيا، وفي هذا نسمعه يصرِّح: «خلال إقامتي في بريطانيا، أُتيحَ لي مجال التعمق في دراسة الشعر الإنكليزي بصورة خاصة والشعر العالمي بصورة عامة».

والمصدر الأخير الذي يشير إليه د.جميل علوش، فهو تجربته الدبلوماسية التي جعلته على احتكاك بعدد من الأمم والشعوب، مما هيأ له مناخًا ليطّلع على لغات جديدة، ويذكر البعض أنه كان يتقن ست لغات أو أكثر، وأنه كان يرفض قراءة الشعر مترجَمًا، فيصرّ على قراءته بلغته، وبالتالي مكّنَته هذه اللغات الكثيرة التي أتقنها أن يطّلِع على إنتاج أدبي وافر ومتنوع.

انتخب عمر أبو ريشة في المجمع العلمي في دمشق سنة 1940 وعين في السنة نفسها محافظًا لدار الكتب الوطنية في حلب. وفي سنة 1942 حكمت عليه السلطة الفرنسية بالإعدام بسبب قصيدة عنيفة هاجم فيها المستعمر. وكانت القصيدة في رثاء صديق أعدمه الفرنسيون.

التحق عمر أبو ريشة بالسلك الخارجي السوري سنة 1949 وعيّن سنة 1949 مفوضًا في البرازيل ثم نقل بعد ثلاثة سنوات إلى الأرجنتين ومنها إلى الهند سفيرًا ومنها نقل إلى فيينا فواشنطن وأعيد مرة ثانية إلى الهند سنة 1964.

وعن تجربته في احتكاكه بالأمم والشعوب وأثرها في ثقافة الشاعر من جهة وشعره من جهة أخرى، ما يذكره أ. عبد الإله الملاح: «كيف كانت الحكومات البريطانية في الهند تقفل معابد كاجوراو في وجه العامة، بدعوى فحش منحوتاتها وانحطاط تماثيلها، إلى أن استطاع سفيرنا أبو ريشة في الهند إقناع السيد جواهر لال نهرو، رئيس مجلس الوزراء هناك، بفتحها أمام جماهير الفنانين والمتفرجين، وكيف تمت بعد ذلك تسمية إحدى القاعات فيها باسم عمر أبي ريشة اعترافاً بفضله».

أحيل سنة 1971 على التقاعد، وجعل بيروت مقرًا له، ولكن تفاقم الأحداث فيها حال دون ذلك، فسكن مدة في دمشق، ثم انتقل إلى الرياض في المملكة العربية السعودية.

حصل الشاعر الكبير عمر أبو ريشة على أوسمه ن البرازيل، الأرجنتين، النمسا، لبنان وسوريا، وآخر وسام ناله وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى وقد منحه إياه الرئيس اللبناني إلياس الهراوي .وكرم في العديد من المؤتمرات العربية والدولية والعالمية.

توفي الشاعر عمر أبو ريشة في الرياض يوم السبت الثاني والعشرين من ذي الحجة عام 1410هـ، الموافق 14/7/1990م بعد إصابته بجلطة دماغية، لزم الفراش على أثرها لمدة سبعة أشهر في مستشفى الملك فيصل في الرياض. وتم نقل جثمانه ودفن في مدينة حلب في سوريا.

ترك عمر أبو ريشة شعرًا مبعثرًا في أكثر من وجهة إلى أن جُمعت قصائده في مجموعة كاملة في بيروت.

عودي

قالتْ مللتُكَ . إذهبْ . لستُ نادمةً — على فِراقِكَ .. إن الحبَّ ليس لنا
سقيتُكَ المرَّ من كأسي . شفيتُ بَها — حقدي عليك .. ومالي عن شقاكَ غنى !
لن أشتهي بعد هذا اليوم أمنيةً — لقد حملتُ إليها النعش والكفنا
قالتْ .. قالتْ .. ولم أهمسْ بمسمعها — ما ثار من غُصصي الحرى وما سَكنا
تركْتُ حجرتها .. والدفءَ منسرحاً — والعطرَ منسكباً .. والعمر مُرتهنا
وسرتُ في وحشتي .. والليل ملتحفٌ — بالزمهرير . وما في الأفق ومضُ سنا
ولم أكد أجتلي دربي على حدسٍ — وأستلينُ عليه المركبَ الخشِنا
حتى .. سمعتُ .. ورائي رجعَ زفرتها — حتى لمستُ حيالي قدَّها اللدِنا
نسيتُ مابي ... هزتني فجاءتُها — وفجَّرَتْ من حناني كلَّ ما كَمُنا
وصِحتُ ..يا فتنتي ! ما تفعلين هنا ؟؟ — البردُ يؤذيك عودي ... لن أعود أنا !

وداع

قفي ، لا تخجلي مني فما أشقاك أشقاني

كلانا مرَّ بالنعمى مرور المُتعَبِ الواني

وغادرها .. كومض الشوق في أحداق سكرانِ

قفي ، لن تسمعي مني عتاب المُدْنَفِ العاني

فبعد اليوم ، لن أسأل عن كأسي وندماني

خذي ما سطرتْ كفاكِ من وجدٍ وأشجانِ

صحائفُ ... طالما هزتْ بوحيٍ منك ألحاني

خلعتُ بها على قدميك حُلم العالم الفاني!

لنطوِ الأمسَ ، ولنسدلْ عليه ذيل نسيانِ

فإن أبصرتني ابتسمي وحييني بتحنانِ

وسيري ، سير حالمةٍ وقولي .... كان يهواني!

رواية المحاكمة: الجميع مذنب[1]

بقلم: ميلان كونديرا



ترجمة: د.سعيد بوخليط

مراكش - المغرب

تقديم: كافكا ورواية المحاكمة

فرانز كافكا (1883-1924)، ولد في براغ وسط عائلة يهودية بورجوازية. أنهى دراساته بالحصول على دكتوراه في القانون، ثم اشتغل في قطاع التأمين. لكنه سيكرس وقته الشاغر للكتابة. أنجز القسم الأكبر، من كتاباته باللغة الألمانية. لن تصدر إلا بعد وفاته. من بينها رواياته: أمريكا، المحاكمة، ثم القصر، على الرغم من رغبته التي أوصت، بحرق جميع مسوداته.

ترصد رواية "المحاكمة"، حكاية شخص اسمه "جوزيف ك" joseph.k، اعتقل ذات صباح، بسبب جريمة يجهلها ولا يعرف عنها شيئًا، بعد نهاية وقائع المحاكمة، سيقتل "مثل كلب".

نص روائي، يبدو للوهلة الأولى عبثيًا، استمر دائمًا في إثارة تأويلات جد متنوعة، قد يكون تبليغًا، عن لا-إنسانية البيروقراطية، وتحذيرًا من التوتاليتارية، أو تعبيرًا مجازيًا عن مناهضة السامية، بين هذا وذاك، سيتم النظر أكثر لرواية "المحاكمة" باعتبارها رافعة للمزاج العبثي، بل السوريالي.

بالنسبة لميلان كونديرا، ف "جوزيف ك" ليس بريئًا ولا متهمًا، ما يفصح عنه كافكا، من خلال هذه النزوة "فوق-الواقعية"، أن "الشعور بالذنب"، يشكل جزءًا من الوضع البشري.

2 - جوزيف "ك"، بطل على غير المعتاد:

تراكمت صفحات عديدة حول فرانز كافكا، مع ذلك، بقي (ربما بالضبط نتيجة لهذا الكم الهائل من الصفحات) الأقل فهمًا من بين كل الكتاب الكبار المنتمين للقرن الماضي. المحاكمة، روايته الأكثر شهرة، شرع في كتابتها سنة 1914، بمعنى عشر سنوات بالضبط، قبل صدور أول بيان للسورياليين، لم يكن له أدنى فكرة عن هاجس يتجاوز الواقع، لكاتب مجهول يسمى كافكا، ستصدر رواياته بعد مرور فترة على وفاته.

من الواضح، أن رواياته تلك التي لاتشبه شيئًا، ستظهر بمثابة نصوص خارج روزنامة التاريخ الأدبي، متوارية داخل حيز ينتمي فقط إلى مؤلفه، مع ذلك، وبالرغم من هذا التفرد، فمستجداتها الجمالية، التي نضجت قبل موعدها، تعكس حدثًا لا يمكنه إلا التأثير (ولو متأخرًا) في تاريخ الرواية، بهذا الخصوص، أخبرني ذات مرة غابرييل غارسيا ماركيز، قائلاً: «لقد جعلني كافكا، أفهم أن رواية ما، يمكننا كتابتها بكيفية أخرى».

اختير كافكا أبطال رواياته، بطريقة خاصة جدًا، مثلما يمكننا ملاحظة ذلك بوضوح في "المحاكمة": لم يقل كلمة واحدة عن المظهر الفيزيائي ل "ك"، وحياته قبل وقائع الرواية، بل ولم يشر إلى اسمه، وجعلنا نكتفي منه بحرف واحد، في المقابل، سيركز كافكا كليا ابتداء من الفقرة الأولى وحتى نهاية العمل، على الوضعية الوجودية لشخصية "ك".

تشير رواية "المحاكمة"، إلى وضعية متهم، اتهام، تجلى أولاً بطريقة غريبة: شخصان عاديان جدًا، يأتيان ذات صباح عند "ك" الذي لايزال مستلقيًا على سريره، كي يخبرانه عبر سجال ممتع حقيقة، أنه متهم وينبغي له أن يتوقع فيما يخص الاستقصاء حول حيثيات قضيته، مدة لن تكون هينة، سجال عبثي، بقدر عجائبيته، لذلك

عندما قرأ كافكا هذا الفصل للمرة الأولى، على مسامع زملائه انتابهم جميعًا موجة من الضحك.

الجريمة والعقاب؟ آه لا. مفهومًا دستويفسكي، لا مكان لهما هنا، وإن ظنها شراح كافكاويون، بمثابة التيمة الأساسية لرواية المحاكمة. ماكس برود، صديق كافكا الوفي، لم يكن له أدنى شك، بخصوص حضور خطأ مهول، يخفيه "ك" ، معتقدًا بأن الأخير، متهم ب "العجز عن الحب" .

بدوره، "إدوارد غولدستوكر" ، كافكاوي آخر مشهور، يدين "ك" : «لأنه سمح لحياته، الاتصاف بالميكانيكية والآلية، وجعلها بالتالي مستلبة، فاعتدى على القاعدة: «التي خضعت لها البشرية قاطبة، وتقول لنا: كن إنسانا».

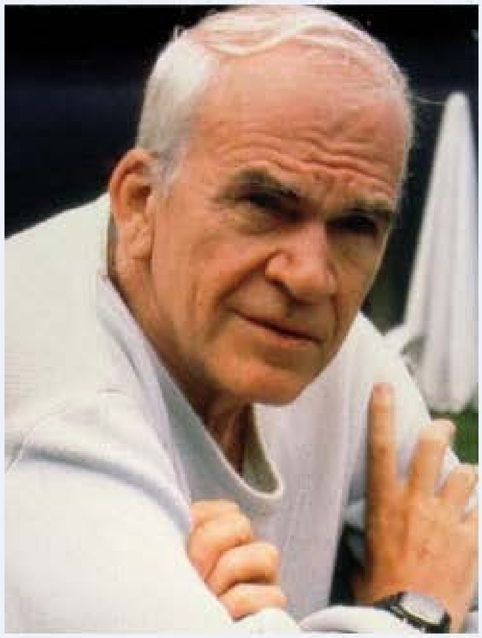
أيضًا، التأويل الأكثر تواترًا – وأضيف كذلك أكثر بلاهة- هو تفسير لكافكا مخالف تمامًا، يستند على مرجعية تستحضر "أورويل" تحسب أن: "ك" اضطهد، قبل الآداب، من طرف مجرمي سلطة توتاليتارية، موقف جسده مثلاً الإخراج السينمائي للرواية، الذي قام به أورسون ويلز سنة 1962 .

لكن "ك" ليس بريئًا ولا متهمًا، إنه شخص يشعر بالذنب، وهو وضع مختلف جدًا. عندما أتصفح المعجم، أجد أن فعل: "أذنب" ، قد استعمل لأول مرة سنة 1946 . أما وصف "شعور بالذنب" ،فتأخر تداوله كثيرًا وبالضبط انتظرنا إلى غاية 1968 . النشأة المتأخرة، لهاته الكلمات، يؤكد أنها لم تكن مبتذلة: تفهمنا بأن كل شخص (إذا أمكنني أيضًا التلاعب بالألفاظ الجديدة)، هو مذنب، وأن الإحساس بالذنب، يشكل جزءًا من الوضع الإنساني.

إذن، سواء بسبب طيبوبتنا، التي تأبى أن تجرح الضعفاء، أو نتيجة لجبننا الذي يتحاشى إثارة غضب من هم أقوى منا. فالشعور بالإثم، يصاحبنا باستمرار.

كافكا، لم يبلور قط تأملات مجردة، حول قضايا الحياة الإنسانية، لأنه رفض دائمًا إنشاء نظريات، والقيام بدور الفيلسوف، بحيث لا يشبه سواء سارتر أو كامو. ملاحظاته الحياتية، تروم على الفور نحو تخيل شعري، وقصيدة نثرية.

ذات يوم، استدعي "ك" هاتفيًا من طرف مجهول، كي يحضر الأحد المقبل إلى إحدى منازل أطراف المدينة، بهدف إجراء تحقيق صغير معه، وحتى لا يعقد مجريات محاكمته، متوخيًا عدم إطالتها بدون جدوى، قرر الإذعان وبالتالي الذهاب مسرعًا، وإن لم تقيده الدعوة بساعة محددة. فكر أولاً، في ركوب الترامواي، ثم تراجع ثانية عن الفكرة كي لا يتعرض لسخرية قضاته، بسبب



ميلان كونديرا

امتثاله الطيع جدا لدقة الموعد، لكنه في الآن ذاته، يتمنى عدم إطالة مسار محاكمته، هكذا شرع يجري ويجري ثم يجري، لأنه يريد المحافظة على كرامته، وإدراك الموعد في لحظته، مع أن ساعة الحضور غير محددة.

هذا التداخل بين الجسيم والطفيف، الكوميدي والمأساوي، المعنى واللا-معنى، سيصاحب النص الروائي، حتى صدور حكم الإدانة في حق "ك" ، فتجعلت إستيتيقا غريبة لامثيل لها، أبتغي حقًا تبين ملامحها، لكني أعترف بعجزي على هذا المستوى.



فرانز كافكا

المحاكمة، روايته الأكثر شهرة، شرع في كتابتها سنة 1914، بمعنى عشر سنوات بالضبط، قبل صدور أول بيان للسورياليين، لم يكن له أدنى فكرة عن هاجس يتجاوز الواقع، لكاتب مجهول يسمى كافكا، ستصدر رواياته بعد مرور فترة على وفاته.

اختبر كافكا أبطال رواياته، بطريقة خاصة جدًا، مثلما يمكننا ملاحظة ذلك بوضوح في "المحاكمة": لم يقل كلمة واحدة عن المظهر الفيزيائي ل "ك"، وحياته قبل وقائع الرواية، بل ولم يشر إلى اسمه، وجعلنا نكتفي منه بحرف واحد.

كافكا، لم يبلور قط تأملات مجردة، حول قضايا الحياة الإنسانية، لأنه رفض دائمًا إنشاء نظريات، والقيام بدور الفيلسوف، بحيث لا يشبه سواء سارتر أو كامو. ملاحظاته الحياتية، تروم على الفور نحو تخيل شعري، وقصيدة نثرية.

1-Le nouvel observateur .Hors-série.juin-juillet.2013.PP53- 54

التاريخ في مهب الريح:

التنوع المنهجي وإشكالية قراءة وتفسير التاريخ



د. مولاي المصطفى البرجاوي

باحث في علوم التربية (تخصص ديداكتيك العلوم الاجتماعية)

في حمأة التردّي والنكوصيّة يتم اللجوء إلي التاريخ: إمّا لصبّ جام الغضب عليه، بأنّه مرحلة ولّت، ويجب قطْع الصّلة بها، والشروع في البدء والانطلاق من نقطة الصفر (التاريخانية) (historicisme)، وإمّا الاحتماء به كآليّة للتخفيف من وطْأة الفقر العلمي والتكنولوجي، وإنتاج عقليّة محنطة تراوح مكانها (التيار الماضوي)، وبين هنا وذاك فريقٌ وَسَطٌ يأخذ الدروس والعبَر منَ الماضي، يعمل جاهدًا لصهره وتَنقيته منَ الشوائب للتّعامُل مع الداضر بطريقة شرعيّة، مُعقْلنة لاستشْراف المستَقْبل...

من ذلك ما قد يتُبادر إلى الذّهن من أسئلة متشابكة: هل ضاع التاريخ بينَ أحضان التجاذُبات؟ هل التّاريخ لقيط العلوم؟ هل التاريخ مرض العصر لمَا يُغلّفه من تزويرات وتأويلات، مصداقًا لقول الشّاعر:

فَمَا ما كُتُبُ التّأريخ في كُلّ مَـا رَوَتْ
لِـقُرَّائِهَا إلاّ حَدِيثٌ مُلَفَّقُ
إنْ نظرنا لأمْرِ الحَاضِرِينَ فَرَابَنَا
فَكَيْفَ بِأمْرِ الغَابِرِينَ نُصَدّقُ

أو وسيلة وذاكرة يستحيل مَحوُها واقتلاعها؟ ووسيلة إثبات في الوقت نفسه، ولسان حال التّاريخ الفلسطيني يقول: "لَئِنْ كَسَرُوا جُذُوعِي، فَلَنْ يَقْتَلِعُوا جُذُورِي"، أي: تاريخ فلسطين المُحْتَل، الذي يُحاول الكيان الصّهيوني الظالم - بكلّ ما أوتيَ من علم ومكيدة وتَجبُّر - طمْس تاريخها، لكن أغلب المحاولات باءتْ بالفشل.

مُساءلة التاريخ مُساءلة للغة في نصاعتها ومَكْرِها، في حيثها وجُمودها، مساءلة التّاريخ مساءلة للفكر في يقظته واستقامته، في غفوته واعْوجاجه؛ ومن ثَمّ فالتّاريخ فكر يقظ، وعين لاقطة، وحاسّة واعية، إذا استلْهَمَتْ ذلك من شَرْع ربّها، وما على الإنسان إلاّ أن يعيشَ وقائعَه بهدْي ربّانيٍّ ونبويٍّ، باعتباره المُستفيد منهما.

بصفة عامّة، فالإنسانُ الحي الفاعل صانعُ التاريخ، ليس مستقبليًّا مُطلقًا، سائحًا في الرُّؤى والأحلام، ولا حاضريًّا مطلقًا، غارقًا فيما حوله من مشكلات، ولا تاريخيًّا مطلقًا يحنُّ إلى الماضي، ويبغي أن يرجعه كما كان، وإنّما يعيش في توتُّر دائم بين الحاضر والماضي والمُستقبل، تتفاعل قُواها وعناصرُها في ذاته، بإدراك متّزن صحيح، وشعور دقيق نافذ، فيكون من أثر هذا التفاعل العملي تاريخيًّا مبدعًا؛ (نحن والتاريخ - قسطنطين زريق).

في مُحاولة مُعالجة الموضوع من زواياهُ المتعدّدة، أو من خلفيّاته الأيديولوجيّة؛ فالتّاريخ في مُجمله تتَحكّم فيه آليّات، تُكوّن ما يطلق عليه الدورة الحلزونيّة المتمثّلة في الأسئلة الثلاثة التي يستحضرها المُؤرّخ في تدوينه التاريخي، وهي: متى؟ أين؟ لماذا؟ وكيف؟ أو كما يقول الدكتور محمود إسماعيل: «إنّ الخلافَ الدّائر بين المُؤرّخينَ ودارسي التاريخ يكمُن في مسألة التفسير: أي: معرفة الأسباب والعِلَل الكامنة وراء أحداث التاريخ ووقائعه، ذلك أنّ المؤرّخ حين يُؤرّخ لموضوع ما، عليه أن يُجيبَ عنْ أسئلة ثلاثة هي: ماذا حَدَث؟ وكيف حَدَث؟ ولماذا حَدَث؟ والإجابةُ عن السؤالين الأوّلَين لا تُثير أيّ خلاف، إنّما يشجر أيّ خلاف أصلاً في الإجابة عن السُّؤال الثّالث، لا لشيء إلاّ لأنّها تعكس منظور أو "مخيال" المؤرّخ، الذي هو نتاج ثقافته وأيديولوجيته».

وهنا تتدخل لأتصرّف في الثالوث التاريخي، الذي سيُطر ويُسيطر على فكر المؤرخين، ودارسي التاريخ، لأُحدث تغييرًا طفيفًا في شكل الصيغة التّالية: ما الحدث التاريخي؟ وكيف وَقَعَ الحدث؟ لِمَنْ؟ ولصالح مَن أوّرّخ؟

وبصيغة أخرى، فإنّ المؤرّخين يتّفقون في غالب الأحيان على وقوع حَدَث تاريخي ما، وتاريخ وقوعه، لكن تفسير المعلومات التّاريخية يختلف من مؤرّخ إلى آخَرَ؛ من هنا تتَدخّل الذاتيّة والموضوعيّة في التاريخ والأيديولوجيّة، والبُعد الثقافي والتغريب.

قد يخضع المُؤرّخ أثناء كتابته التاريخيّة لشتّى أنواع الضّغوط الشخصيّة، أو الاجتماعيّة، أو السياسيّة، وبالتّالي تكون كتابتُه صورةً مشوّهة لمَا حَدَث، فقد تُملي عليه تحيُّزاته أو تعصُّباته الشخصيّة إغفالَ أشياءَ مُعيّنة مِنَ الحَدَث، لا تتّفق مع ميوله أو رغباته، أو قد يتصوّر أشياء وهميّة لا وجود لها، مما يحمله على الزيادة أو النقصان، ظَهَر ذلك جليًّا في الحرب الأخيرة التي كانتْ بين حزب الله الشّيعي وإسرائيل، والتي نَظَرَ لها البعضُ من منطلَق التّعصّب العِرْقي وثقافة التّعاطُف مع المستضعَف على أنّها انتصار للبنان، رغم التّدمير الكبير الذي أتى على الأخضر واليابس فيها، وهو ما يؤثّر بالطّبع على دقّة تسجيله للأحداث، وقد يكون الجوُّ السياسي أو

الاجتماعي العامُّ الذي يعيش فيه حائلاً.

على ضوء ما سَبَقَ يُمكن التَّمييز بين أربعة تَصَوُّرات فكريَّة مُعاصرة، في التَّعامُل مع المشهد التَّاريخي:

- **الرُّؤية التَّجزيئيَّة للتَّاريخ:** لها مثالبها وإيجابيَّتها؛ فأهمُّ العيوب والثُّغرات التي تعتريها التركيزُ على الجانب السياسي، وكأنَّ التَّاريخ وَضَع بُوقًا دعائيًّا لأصحاب النُّفوذ والسُّلطة. أمَّا الطرف الإيجابيُّ في التاريخ ذي الموضوع الواحد، فيَتَجلَّى في تَخصُّص كلِّ مؤرخ في دراسة ظاهرة معيَّنة، والتفصيل فيها، التي تتوزَّع على المكان أكثر من توزُّعها على الزَّمان؛ أي: (الطريقة الأفقيَّة)، في مقابل (الطريقة العموديَّة)، التي يتولَّى فيها المؤرِّخ تدوين الأحداث التاريخيَّة منذ الخليقة حتى ينتهي بِعَصْره، وهي طريقةٌ - كما نرى - لها بدايةٌ ونهايةٌ، يُحاول من خلالها المؤرخ طَرْقَ أكبر عدد منَ المحطَّات التاريخيَّة، ويكلِّفه ذلك جُهدًا مُضنيًا، دون مُلامَسة جوانب أكثر أهميَّة؛ أي: التَّركيز على الكَمِّ منَ الأحداث، دون مُراعاة مدى صحَّتها وإخضاعها لميزان العدالة التَّاريخيَّة، أو علم الجرح والتَّعديل، على تعبير علماء الحديث.

وقد صوَّر ابن خلدون - رحمه الله - ذلك بأسلوب رائع ورقْراق؛ حيث يرى أنَّ: «التَّاريخ في ظاهره لا يَزيد عنْ أخبار الأيَّام والدُّول والسوابق منَ القرون الأُولى، ولكنَّه في باطنه: نَظَرٌ وتحقيقٌ وتعليل لكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيَّات الوقائع وأسبابها عميق؛ فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، جديرٌ بأن يُعَدَّ في علومها خَليق» (المقدِّمة).

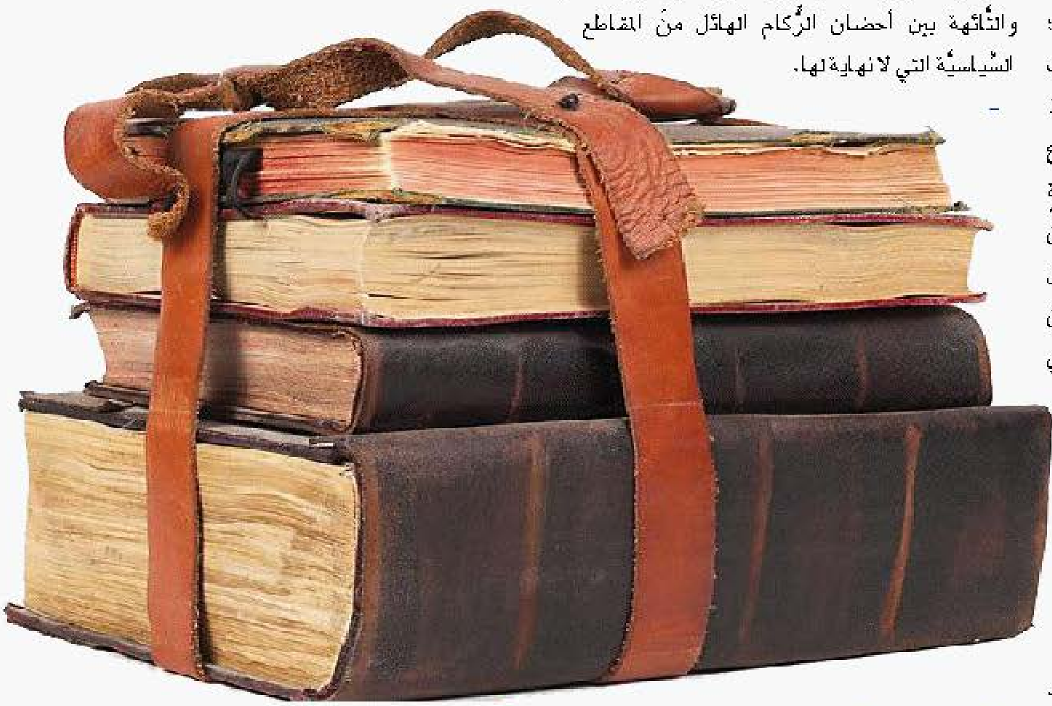
كما زكَّى هذا الطرح المؤرِّخ المغربي المعاصر محمد زنيبر - رحمه الله - بقوله: «إنَّ النصوص التاريخيَّة لها ظاهر وباطن، وهذا شيء لا يعرفه إلاَّ مَن تَمَرَّس بها، وَوَقَفَ عندها ومعها وقفات طويلة، فالظَّاهر هو تلك المعلومات التي يلتقطها القارئ العجلان التقاطًا يكاد يكون ميكانيكيًّا، وأمَّا الباطن فهو ما تدفع إليه تلك المعلومات من استنتاجات وعمليَّات استكشافيَّة؛ أي: من اقتناص المجهول منَ المعلوم، فإذا عرَفْنا كيف نستخرج بطريقة الاستنطاق المنهجي ما يَكْمُن في النصِّ من خبايا، نكون آنذاك قد نفذْنا إلى باطنه» (محمد زنيبر: حفريَّات عن شخصية يعقوب المنصور، مجلة كليَّة الآداب والعلوم الإنسانية، ع: 5 - السنة 1982، ص: 23).

لذلك يبقى التَّقويم والنَّقد البنَّاء في صناعة التَّاريخ جزءًا لا يَتَجزَّأ من عملية البناء الفكري والتربوي والأدبي والثقافي، وإنَّ النَّاقد والمنتج شريكان في العمل.

ومن أهمِّ ما استَحْدَثَ البَيْرُوني في مجال المنهج، بخُصوص المَرْجعيَّات، يقول: «فليس الخبر كالعيان؛ لأنَّ العيان هو إدراك عين النَّاظر المنظور إليه في زمان وُجُوده، أمَّا الخبر فيكون عن الشَّيء الممكن الوُجُود».

وهذه بصفة عامَّة أهمُّ المعايير والمُؤَشِّرات التي استعملَها المؤرِّخ النَّاقد بتَوْجيه مسار كتاباته التاريخيَّة؛ نظرًا لطغيان التاريخ التجزيئي (التاريخ السياسي - التاريخ المتعصِّب الإثني..)، سعيًا منه للحُصُول على بعض النُّتَف التي توصِّله إلى القضيَّة والإشكاليَّة الجوهريَّة الغائبة، والتَّائهة بين أحضان الرُّكام الهائل منَ المقاطع السِّياسيَّة التي لا نهاية لها.

-



الرُّؤية الإسقاطيَّة:

وهي الخطَّة التي يتَّبعها مجموعةٌ منَ المؤرِّخين، الذين يُحاولون الظُّهور بمظهر جديد ومقزِّز في نفس الآن - حسب اعتقادي - من خلال استبدال واستنْبات مصطلح ميَّزت ثقافة معيَّنة بمفاهيمَ لها ظروفُها التَّاريخيَّة، (الثَّورة الفرنسيَّة، النهضة الأوربيَّة، البرجوازية ...)، كما يقال: «النخلة العوجاء بطاطُها في حوْض غيرها»، أو تطبيق ما يسمى بـ(عالميَّة التَّاريخ الأوربي)، وكأنَّ العالم مُختَصَر في قارة واحدة، وهي القارة الأوربيَّة، وما ميَّزها من ضروب الأحداث التاريخية.

وحتَّى تتَّضحَ الصورة أكثر للقارئ الكريم؛ أضْربُ لذلك أمثلة ساطعة وناصعة، فلَمَّا نَجد نقدًا وتصويبًا من قبَل دارسي التَّاريخ والمهتمين بالبحث التاريخي؛ ويتعلق الأمر بما يَجْتَره أغلب الباحثينَ في التحقيب التاريخي، من إسقاط وإلصاق المحطَّات التاريخيَّة الأوربيَّة على العالم العربي والإسلامي، وهي:

ونعني مَبدئيًّا توضيح ما يعد مُسَلَّمًا به عند الدَّارسينَ للماضي، وهو تقسيم هذا التاريخ إلى عصور وحقب مُعيَّنة، ونعني بذلك أيضًا نَقْدَ هذا الاتجاه المألوف، وظهور اتجاهات تَسْعى جاهدةً لاصطناع تحقيب جديد، يُواكب مستجدات العصر.

فالتَّحقيب المُعْتَمَد حاليًّا في الدراسات التاريخية العربيَّة والإسلاميَّة - وإنْ خرجت من أسْر التحقيب الأوربي، فقد انغمَسَت في الرُّؤية السياسيَّة؛ مثل الذي قسم التاريخ وَفقًا للأسر الحاكمة؛ مثل المؤرخ المكناسي محمد المنوني - اجترار للتحقيب الأوربي.

مُساءلة التاريخ مُساءلة للغة في نصاعتها ومَكْرها، في حيلتها وجُمودها، مساءلة التَّاريخ مساءلة للفكر في يقظته واستقامته، في غفوته واعْوجاجه؛ ومن ثَمَّ فالتَّاريخ فكر يقظ، وعين لاقطة، وحاسَّة واعية، إذا استَلْهَمَتْ ذلك منَ شرْع ربِّها، وما على الإنسان إلاَّ أن يعيشَ وقائعَهُ بهَدْي ربَّاني ونبويٍّ، باعتِباره المستفيد منهما.

قد يخضع المؤرِّخ أثناء كتابته التاريخيَّة لشتَّى أنواع الضغوط الشخصيَّة، أو الاجتماعيَّة، أو السياسيَّة، وبالتَّالي تكون كتابتُه صورة مشوَّهة لما حَدَث، فقد تُملي عليه تحيُّزاته أو تعصُّباته الشخصيَّة إغفال أشياءَ مُعيَّنة منَ الحَدَث، لا تتَّفق مع ميوله أو رغباته

والغالبُ في التَّقسيم السائد عند أغلب المؤرِّخينَ نلمس فيه النظرة الأوربيَّة الغربيَّة للتاريخ، مثل: سقوط الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة على يد القبائل الجرمانيَّة سنة 476م، ومثل: سقوط عاصمة الإمبراطورية البيزنطيَّة القسطنطينيَّة في يد الأتراك العُثمانيينَ سنة 1453م، أو سقوط غرناطة سنة 1492م، وظهور الثورة الصناعيَّة في القرن 18م، وعلى هذا الأساس فالمُؤرِّخون يُقسِّمون التاريخ إلى ثلاثة أقسام كبرى، وهي:

أولاً: حقبة التاريخ القديم، ويعالج فيها ماضي الإنسانية قبل سقوط الإمبراطورية الرُّومانيَّة 476م.

ثانيًا: حقبة التاريخ الوسيط، الذي يمتد من سُقُوط الإمبراطورية الرُّومانيَّة (476م)، إلى نهاية القرن الخامس عشر (1453م، أو 1492م.)

ثالثًا: حقبة التاريخ الحديث: ويمتد منَ القرن 15 إلى اليوم، وإن تَمَيَّزت بمرحلتين: عصور حديثة، ومرحلة معاصرة، وهذا التقسيم هو السائد والمُتَّبَع في الدراسات التاريخية الأوربيَّة والمقلدة لها، مع العلم أنَّ الانتقال مِن إحدى هذه المراحل الثلاثة إلى القسم الذي يَليه، لا يتم بصورة فجائيَّة وتامة؛ لأنَّ التاريخ مستمرٌّ الحلقات، لا انفصامَ في أحداثه.

والواقع أنَّ التاريخ مُتَرابط ومتَّصل الحلقات، وينتج عن ذلك أنَّ فهم حاضر أمة يستوجب معرفة ماضيها القريب والبعيد، ومِن أجْلِ أن يفهمَ المرء دقائق التاريخ يلزمه أن يأخذ بعين الاعتبار العلاقات المكانيَّة، والعلاقات الزَّمنيَّة.

فالتقسيم الثلاثي للتاريخ (قديم، وسيط، حديث)، تقسيمٌ أوروبي، اعتَمَدَهُ الأوربيون؛ لأن التقسيم السابق واتخاذ الأعوام 476م، و1453م، أو 1492، تواريخ ضابطة للفصل بين عصر وعصر، فإنَّ رؤيتهم كانتْ ملائمة لحياتِهمُ الدِّينية والثَّقافيَّة، ويعني هذا أنَّ هذا التقسيم جاءَ من مؤرخينَ غربيينَ نصارى، ومِن ثَمَّ عَدُّوا سقوط روما هزيمةً للنصرانية في الشرق والغرب، وهذا المنظور الذي طَبَّقوه عندما سقطتِ القُسطنطينية في يد العثمانيين المسلمينَ.

من هنا نستخلص أنَّ التحقيب التاريخي المُهيمن في أغلب الدِّراسات التاريخيَّة، هو نتاج تَدَخُّل الكنيسة الغربيَّة في توجيه العقليَّة الغربيَّة.

إذًا يجب في الدراسات التطبيقية التاريخية الاعتمادُ على رؤية علميَّة شرعيَّة في مجال التقسيم التاريخي، بالتركيز على الدراسات القرآنية، والجوانب الحضارية للمجتمع والثقافة، التي أُمِرْنا بالإبداع فيها وتطويرها؛ لِتُواكِبَ مستجدات العصر.

وهناك مَن سعى إلى تحقيق اليوتوبيا الشيوعية، فسَطر (كارل ماركس) تحقيبًا مادِّيًّا يُخالفُ التحقيبَ النصراني السابق، باعتماده وحدة العامل الاقتصادي لِدراسة المراحل التي يمُر منها تطوُّر المجتمع، وهذه المراحل هي:

الواقع أنَّ التاريخ مُتَرابط ومتَّصل الحلقات، وينتج عن ذلك أنَّ فهم حاضر أمة يستوجب معرفة ماضيها القريب والبعيد، ومن أجْلِ أن يفهمَ المرء دقائق التاريخ يلزمه أن يأخذَ بعين الاعتبار العلاقات المكانيَّة، والعلاقات الزَّمنيَّة.

1 - المشاعية البدائية.

2 - نظام الرق (العبودية)

3 - النظام الفيودالي.

4 - الرأسمالية.

5 - الاشتراكيَّة.

هذا التحقيبُ الكرونولوجي جاء نتيجة محطات التَّسلُّط في التاريخ الغربي: مِن رِقٍّ، واستعباد، ورأسمالية متوحِّشة، هَضَمَتْ حقوق المستضعفينَ في الأرض.

كما يستوقفنا في هذا المجال (التحقيبُ التاريخي)، الذي أنجزه المؤرِّخ الفَرنسي (فرناند بروديل (Braudel، حول تاريخ حوض البحر المتوسط في القرن السادسَ عشرَ، الذي فَكَّر في التَّخَلِّي عن الكرونولوجية السابقة المحنطة، والمنمطة، والمستَهلَكة، والتي يتم اتِّباعها في المؤسسات التعليميَّة، وللأسف حتى في المراحل الجامعية، كأنها طريقةٌ مُقَدَّسة، ولا يمكن مُساءَلتُها، والتَّصَرُّف فيها، حيث أبدع طريقة تخالف المألوف، والتي تَتَمَثَّل في:

- زمن جغرافي ثابت (الجغرافية التاريخية).
- زمن حضاري، اجتماعي، ثقافي بطيء التَّغَيُّر.
- من سياسي متقلب وسريع.

هذا عن نقل فكرة التحقيب التاريخي الأوربي إلى البيئة الإسلامية؛ سواء في المؤسسات التعليمية الإعدادية، أم الثانوية، أم الجامعية، أمَّا عمليَّة الإسقاط المُوالية في التاريخ؛ ما أقدم عليه بعض المؤرخين المعاصرين العرب، وهذا ربَّما السَّعي لاكتشاف اللامألوف منَ المطروق منَ البحوث التاريخية، مِن تزييف وتطاوُل على الفرسان في الفكر التاريخي العربي والإسلامي، يظهر ذلك جليًّا في كتابات المُفَكِّر والمؤرخ الماركسي المصري محمود إسماعيل، الذي حاول نفي المجهود الضَّخم الذي أنتجَهُ المؤرخ ابن خلدون، من خلال الضجة الفكرية التي أطلق صيحاتها في كتابه (نهاية الأسطورة.. نظريَّات ابن خلدون مُقتَبَسة من رسائل إخوان الصفا)، الذي أشار فيه إلى ما قام به ابنُ خلدون مِن عملية النقل - وإن شئتَ السَّرقة - من كتابات إخوان الصفا، دون الإشارة لصاحبها، وهنا على ماذا يدل هذا الإجراء؟ هل هو تعصُّب أو محاولة الانتقاص مِن قيمة الترسانة الفكرية، التي جادَتْ وما زالتْ تجود بها العقليَّة الخلدونيَّة، التي استخلصَتْ أغلب نظريتها - خاصة علم العمران، وفلسفة التاريخ ؟ أم هي (ثقافة المُفرقعات)، والخروج عن المألوف؟ أم هي الأركيولوجية الجديدة؟ أو هو فتح جديد كما قد يُتَوَهَّم؟

بالرُّجوع إلى كتاباته نجدها حبلى بمصطلحات غربيَّة؛ فمثلاً كتابه: (الحركات السِّرية في الإسلام)، حاول عَبَثًا إطلاق تسميات نَبَتَتْ من سُحْت المجتمع الغربي على محطات تاريخية في الفكر الإسلامي، مثال: أرستقراطية إسلامية، تيوقراطية الحكم الفردي في العصر العباسي، أضف إلى ذلك ما يسعى إليه البعض من معالجة الأحداث التاريخية المحلية، من زاوية نظر مركزية، ويَتَعَلَّق الأمر بالمقارَنة التي وضعها المفكر المغربي عبد الله العروي في كتابه: (ثقافتُنا في ضوء التاريخ)، بين ابن خلدون وميكافيللي، وشَتَّان بين الثَّرى والثُّريَّا، وهي حسب اعتقادي أصبح المفكر الغربي وسيلة للحُكم على الأسود في العقيدة الثقافية الإسلاميَّة، لله دَرُّ الشاعر إذ يقول:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ
إِذَا قِيلَ أَنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا

وهنا يُطْرَح سؤال: لماذا الإصرار على "ثقافة الاجترار"، رغم ما تَتَخَبَّط فيه مصداقيَّة البحث التاريخي في أعتى دول العالم المركزي الغربي، مِن تزوير للحقائق، وتشويه للتفاصيل؟!

وهذا يظهر جليًّا في الرؤية المُوالية، التي تحاول نفض الغبار، وإزالة السِّتار عن عُيُوب المنهج التاريخي المركزي، أم المغلوب مولع بتقليد الغالب على حد تعبير ابن خلدون، ألَم يكن منَ الأجدى التفكير في رؤية تنطلق منَ الذات، دون نسيان المحيط العالمي، ومن ثَمَّ الحكم على تجاربه.

هنا تَحْضرني مقولةُ لابن رشد بقَوْله: «إنا أَلْفَيْنا لِمَن تقدمنا مِنَ الأمم السالفة نظرًا في الموجودات واعتبارًا لها، بحسب ما اقْتَضَتْه شرائط البُرهان، أن ننظُرَ في الذي قالُوه من ذلك، وما أَثْبتُوه في كُتُبهم، فما كان منها موافقًا للحقِّ قَبِلْناه منهم، وسررنا به، وشَكَرْناهم عليه، وما كان غير مُوافِق للحق نَبَّهْنا عليه».

وفي نفسه: لماذا لا يتم الأَخْذ بالرؤية اليابانيَّة، التي انطلَقَتْ مِن ثقافتها في تغيير المعالم الاقتصاديَّة؟ يقول براتراند راسل: «كانت اليابان دولةً مَتَخَلِّفة اقتصاديًّا، إلاَّ أنها لم تكنْ تشعر أبدًا أنها دولة متخلِّفة ثقافيًّا».

- الرؤية الذَّاتيَّة "اللُّوبيَّة":

وَيَتَمَثَّل في هذا العصر ما تقدم عليه، وما تُمارسه الدول التي تَتَبَجَّح بالدِّيمقراطية مِن مُضايقات في حقِّ المؤرخينَ الموضوعيينَ المنصفينَ.

القائمة طويلة في هذا الباب، لكن سَنُرَكِّز على الحَدَث القريب منَّا جدًّا، ألا وهو محاكَمة المؤرخ البريطاني (دافيد جون تاوديل إيرفينغ)، الذي حكمتْ عليه المحكمة النِّمساويَّة بثلاث سنوات سجنًا؛ إثر تَشْكيكه في وُجُود غُرَف للغاز، وقضاء ستة ملايين من يهود أوروبا فيها (الهولوكست)، بناء على تلك الحقائق الجديدة التي طَفَت على السطح، باعتبار مهنية وتخصُّص هذا المؤرِّخ في تاريخ الحرب العالمية الثانية، يقول روبرت هاريس في

حقّه: «ليس هناك مؤرخ متخصّص في الحرب العالمية الثانية يُمكنه أن يجهلَ إيرفينغ. فالمعاصرون لا يُضَاهونَه في عِلْمه بدقائق وتفاصيل الحرب العالمية الثانية».

حرية التعبير هاته التي أصبح يُفعل بها، ولا يُحتمى بلوائها إلاّ إذا كانت تخدم المصالح الذّاتية للدول المنضوية تحت لواء الردع الإسرائيلي. عندئذ تطرح أسئلة متقابلة: هل بعد هذه العَنْجَهيَّة والتَّسَلُّط على الفكْر التاريخي من هَرْولة وراء أذناب المركزية الأوربيَّة؟ أو ثقافة الاختراق التي عَبَّرَ عنها المُفكِّر المغربي محمد الجابري هي التي ألْقَتْ بظلالها، وأمسكتْ بالتواجد على طرح بعض مُثقَّفينا؟

-النَّظرة الشمولية في الدِّراسات التاريخيَّة:

تَتَمَثَّل في مدرسة الحوليَّات، التي حاولت تقزيم ما كان مُضَخَّمًا في مرحلة منَ المراحل؛ أي: إعطاء كل جانب حقه منَ التحليل. وقبل ظهور هذه المدرسة طفا على سطح المصادر التاريخيَّة بأنواعها الأوَّليَّة؛ أي: الكُتُب المعاصرة للأحداث التاريخية، أو الثانوية، كتب تُؤرِّخ لمرحلة لم يتم مُعاصرتها، الحوادث السِّياسيَّة، وأميط اللِّثام عن جوانب أخرى أكثر أهميَّة، باستثناء بعض كُتُب الرَّحَّالة والجُغرافيينَ من قبيل ابن بطوطة في كتابه (عجائب الآثار)، وابن حوقل في (وصف الأرض)، وأصحاب (المسالك والممالك) (الإصطخري)، التي تَنَاوَلَتْ بعض هذه النُّتَف التي يعتمد عليها الباحث في دراسة مثلاً موضوع غير مطروق بشكْل موسَّع: (تاريخ العوام بالمغرب، ظاهرة الأوبئة، المشكلة الدِّيمغرافيَّة).

ففي السابق كان جُلُّ تركيز المؤرِّخينَ يُغطِّي الأُسَر الحاكمة، ويُهَمِّش المجتمع العادي، وما كان يعانيه، وكأنَّ التاريخ ما وُضِعَ إلا لِيُلَبِّي رغبات وطموحات السلطان. يقول أحدُ المشاركينَ في بروز ولَمَعان مدرسة الحوليَّات، وهو (أريس): «إن كل ما ننفق فيه الوقت في دراسة الحوادث التاريخية - التاريخ السياسي، تاريخ الأشخاص، الأبطال، النجم...- ربما لا يكون في الواقع إلا الواجهة الظاهرة للتاريخ، وإنَّ التاريخ الحقيقي يقع وراء ذلك في حياة الناس العاديين، وآمالهم وآلامهم، ومخاوفهم....

ذلك أنَّ التاريخ إذا انقلب ليصبح مجرد حروب ومعاهدات وسِيَر أشخاص، ومواريث حُكم، بعيدًا عن التاريخ الدِّيني والثقافي والحضاري، واستِكْناه حقائقه وموجهاته، قد لا يستحق المعرفة والجهد؛ لأنَّ ذلك لا يضيف شيئًا يُذْكَر، وقد يكون مضيعةً للأجر والعمر معًا.

فالتَّعامُل مع الأحداث من زاوية ضَيِّقة وتهميش قضايا أكثر وقعًا وديناميكية، يُساهم في تسطيح وتخدير الوعي البشري، فيصبح عقلاً منَ الدَّرجة الثالثة، والرابعة، والعاشرة؛ يقول مَن يسمى بـ(فيلسوف عصر الأنوار)، مبتكرُ مصطلح (فلسفة التاريخ) سنة 1756 في كتابه الموسوم بـ(طبائع الأمم وفلسفة التاريخ): «ولكني بعد

> **ومنها ما صُنِّفَ فِي التَّأريخ لأصحاب التصانيف العلميَّة، بغضِّ النَّظر عن طبيعة ما سطروه من علومٍ، وعمَّا يعتقدونه من عقائد، ومنها ما صَنَّفَهُ العلماء في تاريخ الفِرَق، والمذاهب، والمِلَل والنِّحَل، وما طرأ عليها من تطورات عِبر العَصور، سواءٌ كانت التطورَات الفكرية، أم المكانية، أم غيرها**

قراءة وصف ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف معركة، وبضع مئات منَ المعاهدات، لم أجدْ نفسي أكثر حكمة مما كنتُ قبلها، حيث لم أتعرف إلاّ على مجرد حوادث لا تستحق عناء المعرفة» (أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، الأسكندرية ص180 و181).

فلو رَجَعنا إلى تراثنا الإسلامي، لَوَجَدْناه زاخرًا بما هو أنفع وأقوم من ذلك، يقول الإمام السبكي: «إنَّ أهل التاريخ ربما وَضَعوا من أناس، أو رفعوا أناسًا، إمَّا لتَعَصُّب، أو جهل، أو لمجرد اعتماد على نقل مَن لا يوثَق به». وقال: «والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل، وكذلك التَّعَصُّب، قلَّ أن رأيتُ تاريخًا خاليًا منه»؛ (الإعلان بالتوبيخ لِمَن ذم التاريخ): للسخاوي 73 - 76.

ويقول ابن خلدون: «كثيرًا ما وَقَعَ المؤرخون والمفسِّرون وأئمة النُّقل في المغالط والحكايات والوقائع؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النَّقل غَثًّا أو سمينًا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسُوها بأشباهها، ولا بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النُّظر والبصيرة في الأخبار» (مقدمة ابن خلدون).

-الرُّؤية العربية والإسلامية:

بلا شك أنَّ التاريخ الإسلامي ليس تاريخًا معصومًا، ويخطئ مَن يعتقد عكس ذلك؛ إذ تَأرجَحَ بين الصعود والنزول كما أنَّ تاريخ الأمَّة الإسلاميَّة لا يمكن بتاتًا تجزيئه وتمزيقُه، فهو وَحدة متكاملةٌ، فتشريحه إلى وحدات منفصلة أمرٌ طارئ، إمَّا لظروف عدائيَّة خارجية، أو دعائية داخليَّة.

أمَّا عمليَّة التاريخ العربي والإسلامي، إن كانت قد اتُّبعت -في غالب الأحيان - منهج الحوليَّات العمودية؛ فإن المصنفات في التاريخ الإسلامي كثيرةُ المناهج، فمنها التواريخ المرتَّبَة على السنين بذكر أهم الأحداث، وأهم الوَفَيات، ومنها التواريخ المرتبة على الحروف، ومنها التواريخ الموضوعية التي تهتم بظاهرة معينة عبر التاريخ، ومنها التواريخ التي تُعْنى بطوائف معينة منَ المجتمع: كالأدباء، والأطباء، والأذكياء، والمعمرين، وأصحاب العاهات... إلى غير ذلك من التواريخ الموضوعية، ومنها التواريخ الجغرافية - إن صَحَّ التعبير - وهي التي صُنِّفَت في البلدان، والمدن، والقرى، وهي تَعْرض لتاريخ تلك المدن، وطبائع أهلها، وتقلباتها عبر الزمن، وأحوال أهلها الاقتصادية، وأنشطتهم المهنية، وغيرها، ومنها ما صُنِّفَ في التأريخ لأصحاب التصانيف العلميَّة، بغضِّ النُّظر عن طبيعة ما سطروه من علوم، وعما يعتقدونه من عقائد، ومنها ما صَنَّفَهُ العلماء في تاريخ الفِرَق، والمذاهب، والمِلَل والنِّحَل، وما طرأ عليها من تطورات عبر العصور، سواء كانت التطورات الفكرية، أم المكانية، أم غيرها، ومنها ما كان من تأريخ لظواهر اجتماعية معينة، كالبخل، أو كوارث ونكبات لها مردودها على حال المجتمع في كافة جوانبه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدِّينية وغيرها، كالطاعون، إلى غير ذلك مما يطول تَتَبُّعه من مناهج المؤرخين، الذين لا يمكن حَصْرهم في أولئك الذين صنفوا كمؤرخين فحسب؛ فإن عِلْم التاريخ كان علمًا مُشتركًا بغيره منَ العلوم على مدار التاريخ الإسلامي، مما جعل أغلب المُشتغلينَ بالعلوم لهم مشاركة في التاريخ، كل حسب فنه، وموسوعيته.

خلاصة القول:

إنَّ منهجيَّة كتابة وتفسير التاريخ في أزمة خانقة، وفي نفس الوقت في حالة تأهُّب قصوى، تستجد بمَن ينقذها ويخرجها من يَد الأصنام الفكريَّة التائهة البائدة.

إذًا وكما الطحين بحاجة إلى غربال، يزيل عنه قشوره وشوائبه، فما يُقرأ ويُدَوَّن منَ الأحداث التاريخية، أيضًا بحاجة إلى عين ناقدة، تستخلص ذَهَبه من نحاسه، (كما هو مُتَّبَع عند علماء الجرح والتعديل في تقبُّل الأخبار والرِّوايات).

والناس يتعاملون مع هذه المطبوعات والرِّوايات - خاصة التاريخية - على ضروب كثيرة كما سطر أحد الباحثين، أبرزها ثلاثة:

- أما الأول: فهو المتلَقِّي الواعي، الذي يُغَربل ما يقرأ، ثم يتأنَّى في قَبول أو رَدِّ رأيٍ يُعْرَض عليه، فيعرف الغَثَّ منَ السمين، ويراعي قبل ذلك، حال صاحبه، أهو ثقة، أم مجهول لا يعرف منبته؟ وهذا الضَّرب لا يُخاف منه، ولا عليه.

والثاني: هو الذي لا يقبل أي رأي، لا يملك أي دربة في التمحيص، ينظر مَن يجود عليه بمعلومات، ربما الناقل لها أخْطَرُ من مصدرها، فيتعرض المتلقِّي للاضطراب الفكري والجهل المتنامي.

أما الأخير: فهو المستَهدَف، واليه تُوَجَّه السِّهام، فهو الذي يقبل ما هبَّ ودبَّ، ليس له رأي معيَّن، وليس عنده مُسلمات، ولا يعرف الثوابت، فهو طَوْع لكل فَصيح، فهذا مصدر الداء، وأسُّ البلاء، وعَوْنٌ الأعداء.

الأمن الفكري: مستويات التفكير واتجاهات التطبيق



د. عبدالرحمن بن سليمان النملة

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كثيرة تلك الدراسات والبحوث التي تناولت مفهوم الأمن الفكري، وتعرضت له باتجاهات ومداخل مختلفة، لكنني لا أتفق مع كثير منها؛ إذ تضع مفهومًا للأمن الفكري باعتباره سياجًا مانعًا يحجب الأفكار من الوصول للأفراد، وهذا ربما نظريًا يمكن تحقيقه، لكنه عمليًا يصعب تنفيذه. ففي عصرنا الحالي لا تستطيع أن تمنع المعلومة والفكرة من الوصول للناس، فأضحت المعلومة متاحة في كل مكان، والفكرة ليس بينها وبين العقول حاجزًا، ولقد اجتهدت الكثير من الدول في منع وصول الأفكار لشعوبها، لكنها اجتهادات أحبطها الفشل، وأعيتها الحيل، وبات تحقيق الأمن الفكري معضلة تواجه الأفراد والمجتمعات.

وعلى الرغم من نبل الغايات التي يسعى الكثيرون لتحقيقها من خلال مستويات مختلفة ومقاربات متنوعة لضمان الأمن الفكري؛ إلا أن هذه المستويات لها إيجابياتها وسلبياتها؛ فالمستوى الأول الذي أنيط به تحقيق الأمن الفكري عند البعض هو المنع والحجب، منع الأفكار والدعوات المختلفة من الوصول للأفراد، واختراق منظومتهم الفكرية، وبالتالي وجد أصحاب هذا المستوى أن المنع والحجب هو الضمانة الفعلية لتحقيق مفهوم الأمن الفكري على أرض الواقع.

لكن هذا المستوى من التناول ربما تجاوزه الزمن، فلم تعد سياسات المنع والحجب مجدية مع هذا التدفق المعلوماتي الهائل، وقنوات التقنية التي تحاصر البشر من كل مكان، والبدائل المختلفة للحصول على المعلومة المحجوبة، ولم يعد مقبولاً احتكار الحقيقة وفرض الرأي الواحد. فالأمن الفكري لا يتحقق مع الاتجاه الواحد، وعدم قبول الآخر المختلف. فالأمن الفكري في جوهره لا يتعايش مع الإملاء الفكري وإقصاء الآخر، ولعل هذا الإتجاه وجد طريقه نحو التهاوي مع ظهور الإعلام الجديد الذي تميز بعدة سمات أهمها: حرية الرأي وسعة الانتشار وسرعة التداول، وتنوع المصدر، فأصبح المتلقي هو صانع الخبر وهو مصدر المعلومة، ومن هنا أتساءل كيف يمكن تطبيق الحجب والمنع في ظل هذه التغيرات والمعطيات الجديدة؟

أما المستوى الثاني من التناول فهو يتجه لتحصين الأفكار ومنحها التسلح الذاتي الذي تستطيع أن تواجه به الأفكار الفاسدة والدعوات المضللة، وهو ما يعرف بالتحصين المعرفي، لكن هذا المستوى أيضًا ترد عليه ملاحظات؛ إذ أن صراع الأفكار- الأفكار تتغلب فيه الفكرة الأقوى حُجية والمصحوبة بمجموعة من العوامل المساعدة المؤثرة في ذات الوقت، ومنها التأثير العاطفي للفكرة، فضلاً عن إقحام ربما البعد الديني والإثني والعرقي والقبلي وخلافه، مما يعتبر من العوامل المساعدة لتغلب أفكار وأطروحات على أخرى.

ومن هنا أجد أن هذا الاتجاه أيضًا لم يعد هو الاتجاه الأفضل والأقوى تأثيرًا في تحقيق الأمن الفكري، فهناك منظومات فكرية متباينة لدى الأفراد قد لا تقوى على مواجهة الأفكار الواردة المتلحفة بعباءات تصادف هوى في نفس البعض وتجد قبولاً لدى البعض الآخر، ومن ثم كان من الضروري إيجاد مستوٍ آخر من التناول يملك آلية لفلترة الأفكار، ومعرفة أهدافها وغاياتها، والتخلص من الفاسد منها والموجَّه.

لذا أرى أن إعمال العقل بتحصينه من خلال تنمية مهاراته في التفكير والنقد والإبداع هو ربما السبيل الأمثل لتحقيق الأمن الفكري على مستوى الفرد؛ فالعقل حين يستقبل المعلومات يكون لديه القدرة على تنقيتها وفلترتها مما يشوبها من أوجه قصور ونقص وتداخل وأهداف مشبوهة، وربما تناقض حقائق ومنظومات فكرية وقناعات موثوق بها، فضلاً عن تقييمها؛ ومن ثم اتخاذ قرار قد يسمح لها بالولوج إلى العقل من عدمه، فهذا العقل لديه من الحجة والبرهان ما يفلتر به المعلومات الواردة إليه، ولا يأخذها على علتها فقط، فيبحث ليفهم ويقتنع ليدرك، ويتوصل في تفكيره للإبداع والابتكار واستحداث الأفكار الجديدة والإبداعية.

وهذا الاتجاه في إعمال العقل في التفكير والنقد والتحليل طالبنا به ديننا الحنيف، فيقول الله عز وجل ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران، الآية 190-191)، وقد عرَّف البعض التفكير من هذا المنطلق بأنه "حركة العقل بين المعلوم والمجهول".



فإعمال العقل في التفكير الناقد وما يرتبط بذلك من مهارات فرعية يشكّل السياج الواقي للعقل من تسرب الأفكار والمعتقدات غير المقبولة إليه، والتي تتنافى مع البناء الفكري الذي تضمنه هذا العقل، والتي من شأنها أن تتلف ما حولها من أفكار، والتفكير الناقد يعني قدرة الفرد على إبداء الرأي المؤيد أو المعارض في المواقف المختلفة، لذا فهو تفكير تأملي يهدف إلى إصدار حكم أو إبداء رأي وذلك بإخضاع المعلومات والبيانات الواردة لاختبارات عقلية ومنطقية وذلك لإقامة الأدلة أو الشواهد والتعرف على القرائن؛ ومن ثم قبولها أو لفظها، فالعقل هنا يمثّل الحارس أو مكافح الفيروسات الذي يتحقق من هوية كل الداخلين إلى بنائه الفكري، حتى يظل البناء الفكري للإنسان آمناً محمياً.

وعلى المستوى المجتمعي يجب اتباع منظومة من المبادئ والأسس لتتبناها كافة المؤسسات الاجتماعية والدينية كالشفافية، والتوعية، والانتماء، والوحدة، والمواطنة، والتفاعل، والمشاركة، وتكوين الجبهات الفكرية للتصدي للحملات المغرضة، مع أهمية تقليص الفجوة بين ما يحدث على أرض الواقع؛ وما يشاع عنه من معلومات مغلوطة، ويكون السبيل الوحيد حينئذ هو طرح المعلومات الصحيحة دائمًا.

ويكون دور الإعلام والخطاب هنا هو الحد من التأجيج والتصنيف والاستعداء لأنها تتسبب في موجات كبيرة من الصراعات المنهكة للطاقة الوطنية، مع نشر ثقافة العمل وثقافة الرقي في الحوار والنقاش، والتعامل بحيادية وموضوعية مع الآخر المختلف، وكذلك تثقيف الأجيال القادمة بمسؤولية السلوك ليس في العالم الواقعي فقط بل في العالم الافتراضي أيضًا، مع تفعيل لدور المؤسسات المجتمعية سواء الدينية أو السياسية أو التربوية.. وغيرها، أو مؤسسات المجتمع المدني لتحقيق التواصل بين الأجيال والتفاعل بين الفرد والمجتمع من أجل المحافظة على وحدة البناء الفكري وثبات الهوية وامتداد الموروث الثقافي، فضلاً عن ضرورة خلق الآليات لهذه المؤسسات لأداء أدوارها الحقيقية، والاستفادة من الفرص التي تمنحها العولمة والانفتاح المعلوماتي دون أن يمتد تأثيرها إلى المساس بالهوية والمألوف الثقافي الوطني.

غير أن هناك أسبابًا مجتمعية ربما ساهمت في هشاشة البناءات الفكرية أمام الأفكار الدخيلة، وعدم قدرتها على المواجهة بالشكل المطلوب، خاصة إذا وجدت هذه الأفكار ما تستند إليه على أرض الواقع من أسانيد اجتماعية وإدارية واقتصادية تتمثل في قصور برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية عن تلبية حاجات الأفراد والمجتمعات، وارتفاع معدلات البطالة والفقر وغياب العدالة الاجتماعية في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية، والتساهل في حماية الحقوق وتطبيق العدالة الاجتماعية وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في هذه المجتمعات، والتهاون في توفير حياة كريمة للمواطنين، وعدم الاهتمام بمشكلاتهم ومطالبهم، في ظل تراجع أداء المؤسسات الحكومية في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية، وفشلها في التخطيط للتنمية المستدامة، وقصورها في مواجهة المشكلات والأزمات التي تنزل بمجتمعاتها.

ومن هنا فإن الأمن الفكري يبدأ بالتفكير الناقد وإعمال العقل ويمتد للتوسع في فرص التنمية وإتاحة فرص الإندماج المجتمعي بهدف القضاء على ذرائع الاستقطاب، مع إعلاء قيمة العمل والانتاج والمشاركة المجتمعية، وتعزيز اجتماع الكلمة ووحدة الصف حول القيادة، والحفاظ على حالة الاجماع الوطني داخل مجتمعاتنا حتى تصبح كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، بهذا يتحقق الأمن الفكري الذي ننشده لديارنا ومجتمعاتنا وأجيالنا القادمة.

لم تعد سياسات المنع والحجب مجدية مع هذا التدفق المعلوماتي الهائل، وقنوات التقنية التي تحاصر البشر من كل مكان، والبدائل المختلفة للحصول على المعلومة المحجوبة، ولم يعد مقبولا احتكار الحقيقة وفرض الرأي الواحد.

على المستوى المجتمعي يجب اتباع منظومة من المبادئ والأسس لتتبناها كافة المؤسسات الاجتماعية والدينية كالشفافية، والتوعية، والانتماء، والوحدة، والمواطنة، والتفاعل، والمشاركة، وتكوين الجبهات الفكرية للتصدي للحملات المغرضة، مع أهمية تقليص الفجوة بين ما يحدث على أرض الواقع؛ وما يشاع عنه من معلومات مغلوطة، ويكون السبيل الوحيد حينئذ هو طرح المعلومات الصحيحة دائمًا.

غير أن هناك أسبابًا مجتمعية ربما ساهمت في هشاشة البناءات الفكرية أمام الأفكار الدخيلة، وعدم قدرتها على المواجهة بالشكل المطلوب، خاصة إذا وجدت هذه الأفكار ما تستند إليه على أرض الواقع من أسانيد اجتماعية وإدارية واقتصادية تتمثل في قصور برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية عن تلبية حاجات الأفراد والمجتمعات.

التاريخ الأوروبي وتاريخ أوروبا



د. علي عفيفي علي غازي

أكاديمي وصحفي

للوهلة الأولى يشعر القارئ بأن المصطلحان عنوان هذا المقال يتشابهان إلى حد كبير، بحيث يصعب التمييز بينهما، وربما يكون ذلك حقيقة، ولكن هذه محاولة بقدر الاستطاعة لكي نميز بين دلالتيهما، لتحقيق فهم أعمق لـ "التاريخ الأوربي" بصفته فرع من فروع التاريخ.

وبادئ ذي بدء، لابد أن نوضح أن الآراء قد اختلفت وتعددت حول ماهية التاريخ وأهميته، واهتم المؤرخون بذلك الأمر، ودليلنا على ذلك قيام عدد كبير من المؤرخين بتناول تفسير التاريخ من حيث معناه وأهميته وتفسير حركته ومسيرته، وذلك من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وغيرها.

واختلف المؤرخون العرب أيضًا في تفسير التاريخ، فمنهم من ذكر أنه سجل لكل ما تركه الإنسان من آثار نتيجة لتفاعله مع البيئة المحيطة به، مشتملاً على كافة نواحي الحياة، وقصر بعضهم معنى التاريخ على "بحث واستقصاء حوادث الماضي".

وقد طُرح سؤال حول ماهية التاريخ الأوروبي على مجموعة من المؤرخين والأساتذة في الجامعات الأوروبية والأمريكية، واختلفت الإجابات فكل مؤرخ يعرض اجابته وفقًا لوجهة نظره الخاصة، ووفقًا لبعض الظروف التي إن وجدت استطاع أن يجيب عن هذا التساؤل، ولهذا وجدت مجموعة من الآراء تمثل رأي المؤرخ وفكره.

وقبل أن نوضح الفروق بين التاريخ الأوروبي وتاريخ أوروبا، يستوجب الأمر أن نشير إلى أن أي حادثة تاريخية تقوم على ثلاثة دعائم هي: الزمان والإنسان والمكان، ولا يمكن تصور ظاهرة تاريخية خارج حدود هذه الدعائم الثلاثة. فالزمان هو الذي يجعل للحادثة التاريخية صفتها التاريخية، ومن المستحيل تمامًا تصور أية حادثة تاريخية خارج نطاق الزمن، والزمن الذي نعنيه هو الزمن الإنساني أي عمر الجنس البشري فوق كوكب الأرض، ذلك لأن الفعل التاريخي في حقيقته فعل إنساني وقع داخل حدود الزمن الإنساني، وارتباط التاريخ بالزمن يتضح من خلال الحقيقة القائلة بأن الماضي الحضاري لبني الإنسان على سطح الأرض هو موضوع علم التاريخ.

أما المكان أو البيئة فهي الركن الثاني من أركان الظاهرة أو الحدث التاريخي؛ لأن البيئة هي مسرح العملية التاريخية؛ فلا نستطيع تصور وجود الفعل التاريخي في فراغ بعيدًا عن المكان أو البيئة، فالتفاعل بين الإنسان والبيئة في إطار الظرف الزماني هو الذي يُنتج لنا الظاهرة التاريخية في أي عصر من العصور، ذلك لأن الإنسان هو منفذ العملية التاريخية ما دام ميدان التاريخ ومجال بحثه هو ماضي النشاط البشري، فالارتباط بين الإنسان بوصفه فاعلاً تاريخيًا؛ والتاريخ الذي يهتم بدراسة الفعل الإنساني ومحاولة تفسيره يبدو في غاية الوضوح، وليس بوسعنا أن نتصور وجود ظاهرة تاريخية لا ترتبط بالإنسان؛ فذلك لن يكون تاريخًا بالمعنى المقصود، وإنما سيكون نوعًا من التاريخ الطبيعي الذي يختلف تمام الاختلاف عن التاريخ كعلم الإنسان؛ فالتاريخ يميل إلى حفظ كل ما له قيمة بالنسبة لبني الإنسان ويترك ما عدا ذلك للفناء والهلاك.

وعلى هذا فإن الحدث التاريخي يتكون من ثلاث عناصر رئيسية هي وجود الإنسان في مكان ما، وزمان معين، وهذه العناصر الثلاث الإنسان والزمان والمكان تتفاعل مع بعضها البعض فتنتج الحادثة التاريخية، وهذا الحدث يحتاج إلى منهج وكذلك مؤرخ لكي يصبح مادة تاريخية مكتوبة خاضعة للنقد والتحقيق، ولابد أن يكون هناك منطقة يستمد منها الحدث التاريخي ماهيته، أو يحدث على أرضها، فالحدث التاريخي بدون تحديد منطقة



لحدوثه بفقد تفاعله مع الإنسان. ولهذا كانت الإختلافات في تحديد خريطة أوروبا عبر العصور المختلفة عائقًا أمام تحديد التاريخ الأوروبي، لأن أوروبا لم يكن لها شكل واحد، فهي كمساحة جغرافية لم تكن بشكل ثابت على مر العصور، فهي مرة تتوسع، وأخرى تتضاءل.

والتاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين على الأرض الأوروبية وفي كل قارة نزلوا فيها، وفي كل بقعة من الأرض استعمروها، وفي أي مكان تواجدوا به. فلا يمكن فهم تاريخ أي دولة أوروبية سواء فرنسا أو بريطانيا أو غيرها من الدول بمعزل عن التاريخ الأوروبي وتاريخها الاستعماري خارج أوروبا؛ فضلاً عن تاريخ العلاقات الدولية، على أساس العلاقات بين أوروبا والدول الأخرى في جميع نواحي الحياة. وعلى هذا النحو فإن التاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين داخل أوروبا وكذلك تاريخهم خارجها إلى حيث يصنع الأوروبيون التغيير في الحياة اليومية. بمعنى أنهم إذا وجدوا في أي بلد آخر فإنهم يعتبرون جزءًا من التاريخ الأوروبي أيضًا. وعلى ذلك فإن التاريخ الأوروبي أعم وأشمل من تاريخ أوروبا.

وأصحاب هذا التفسير يبنون رؤيتهم على أساس أن الفرد يمارس ثقافته في أي مكان ينزل فيه، ويستوطنه، وينقل معه عاداته وتقاليده، وفكره. ومن نتاج هذا التفاعل تبرز الحضارة. فالإنسان عندما ينتقل من مكان لآخر فهو ينقل ثقافته معه. وعلى هذا يكون التاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين أينما كانوا وأينما حلو، والمؤثرات التي أثرت فيهم، ودورهم في التأثير في الآخر.

فنجد أن الإنسان عند وجوده في أي مجتمع فإنه يؤثر في هذا المجتمع ويتأثر به. فمثلاً الإحتلال الفرنسي للجزائر ترك بصمته الواضحة عليها، فقد أثر فيها وتأثر بها، ولذا فنحن نجد الآن أن الشعب الجزائري يتحدث الفرنسية بطلاقة. وكذلك نجد أنه عند ذهاب أي شخص إلى بلد ما فإنه يحاول التكيف معها ومع عاداتها وتقاليدها بما لا يتعارض مع مفاهيمه وثوابته. فالإنسان يؤثر ويتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، وبالبيئة التي تحيط به.

أما تاريخ أوروبا فيقصد به تاريخ الأرض (القارة الأوروبية) والبشر الذين يعيشون عليها فقط، والتفاعلات التي جرت عليها؛ دون النظر إلى امتداداتهم خارج الأراضي الأوروبية. أي أنه نتاج تفاعل الناس في أوروبا مع الأرض الأوروبية في الزمان، فهو بذلك محدد جغرافيًا وبشريًا. فيقصر المؤرخون تاريخ أوروبا على تلك المنطقة من الكرة الأرضية التي تضم دول المجموعة الأوروبية.

أي حادثة تاريخية تقوم على ثلاثة دعائم هي: الزمان والإنسان والمكان، ولا يمكن تصور ظاهرة تاريخية خارج حدود هذه الدعائم الثلاثة

والتاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين على الأرض الأوروبية وفي كل قارة نزلوا فيها، وفي كل بقعة من الأرض استعمروها، وفي أي مكان تواجدوا به، فلا يمكن فهم تاريخ أي دولة أوروبية سواء فرنسا أو بريطانيا أو غيرها من الدول بمعزل عن التاريخ الأوروبي وتاريخها الاستعماري خارج أوروبا

ويقصدون بتاريخها تاريخ التجمعات الإنسانية التي تعيش عليها وتعمرها، ونتاجها الثقافي والفكري والأثري.

ولكن أصحاب هذا الاتجاه وجدوا أنفسهم في حيرة حول المعنى الحقيقي للمنطقة المسماة أوروبا، لذلك اختلف المؤرخون حول المعنى الحقيقي لتاريخ أوروبا، فبعضهم اعتمد على عامل الزمان، بينما ركز بعضهم على عامل المكان، وبما أن التاريخ الأوروبي هو في مجمله تاريخ، فإنه لابد أن يكون نتيجة لتفاعل الإنسان مع المكان في وجود عامل الزمان.

وفيما يخص عامل الزمان، فإن القارة الأوروبية قد اختلفت من قرن إلى آخر، فالهند كانت مستعمرة بريطانية خاضعة للتاج البريطاني، كذلك الأمريكتين كانت مستعمرة لعدد من الدول الأوروبية، لكن حينما نالت أمريكا استقلالها فإن مساحة أوروبا قد تقلصت عن الفترات السابقة.

أما عن عامل المكان، فقد اختلف معنى التاريخ الأوروبي تبعًا لإختلاف المكان، فنجد أن حدود القارة الأوروبية متغيرة، فهي لا تشمل الدول الداخلية في القارة فقط، وإنما تشتمل على مستعمراتها الأوروبية في الخارج مثل الهند التي كانت مستعمرة بريطانية خاضعة للتاج البريطاني، وبالتأكيد تأثرت الدول الأوروبية بالدول التي قامت باستعمارها، فنجد أنها تأثرت ثقافيًا وحضاريًا بتلك الدول فنقلت حضارتهم إليها مثل حضارات الفنيقيين والعبرانيين والمصريين الفراعنة وغيرهم.

كذلك نجد أنه مع زيادة عدد البلدان التي تحررت من الاستعمار، والتي بدأت تبحث عن أصولها وجذورها، بدأت تنهار فكرة تاريخها الأوروبي والتي لم تكن سوى جزء من أوروبا، وبأعين الأوروبيين، وذلك يعني أن الدول التي كانت تابعة لأوروبا، والتي كانت تشكل التاريخ الأوروبي في وقت معين حين استقلت عن أوروبا، أعيد تشكيل خريطة أوروبا من جديد، وتاريخ أوروبي جديد، ليس به تلك المستعمرات، وهو ما يوضح أن التاريخ الأوروبي اختلف من فترة تاريخية إلى أخرى تبعًا لعامل المكان أو تبعًا للمساحة التي كان ينظر إليها على أنها جزء من القارة الأوروبية.

وذهب البعض إلى أن التاريخ الأوروبي ممكن أن يتطابق مع تاريخ أوروبا الذي هو تاريخ الشعوب الأوروبية وثقافتها والأراضي التي يحتلونها، واختلف البعض مع هذا الرأي فيرون أنه إن كان هناك تشابه أو تطابق بين اللفظين، فإن هناك اختلاف كبير في مفردات كل من التاريخ الأوروبي وتاريخ أوروبا على أساس أن تاريخ أوروبا هو تاريخ القارة الأوروبية جغرافيًا والبشر الذين يعيشون عليها، أما التاريخ الأوروبي فهو تاريخ الأوروبيين سواء كانوا على أرض أوروبا أم لا متضمنًا الشعوب والأراضي التي بقيت مرتبطة باستمرار بأوروبا.

ومن هنا نرى أن التاريخ الأوروبي ينظر إلى أوروبا وعلاقاتها مع غيرها، فنجد أن التاريخ الأوروبي لم يكن

ولم تكن المصادر الروسية حتى نهاية القرن السادس عشر تعرف أوروبا، ولم تشر إلى أوروبا باسمها، وكانت تعرفها بالبيزنطيين نسبة إلى بيزنطة، ولم يقم البيزنطيون باطلاق هذا المسمى عليهم، وإنما أسماهم به من جاء بعدهم، وكانت الحدود بين الروس وجيرانهم حدود دينية وضعوها حاجزًا بينهم وبين جيرانهم من هراطقة في الغرب، ووثنيين في الشرق

سوى تاريخ يرى فقط بأعين أوروبا وبرؤية أوروبية للتاريخ، وخدمته كل القيم التي استخدمت كأساس للحكم، وهي مجد الدولة، والدين الشامل، وفكرة التقدم التي ارتبطت بأوروبا في إشارة إلى تفوقها وسيادتها.

ومن هنا ارتبطت فكرة التاريخ بالمؤسسات الاجتماعية التي وقع عليها حكم المجتمع مثل الكنيسة والدولة والحزب السياسي، فالتاريخ هنا يخدم قضية أو مشاريع أولئك الذين يمثلهم، في محاولة لمقارنة ماضي وحاضر الدول الأوروبية مع المجتمعات الأخرى.

ويرى آخرون أنه ليس هناك تاريخ أوروبي واحد وإنما تواريخ كثيرة كل منها يتعلق بمشكلة محددة أو سياق محدد ولذلك يجب التمييز بينه من النواحي الجغرافية والزمانية، فمثلاً المؤرخين البريطانيين يرون أن التاريخ الأوروبي هو تاريخ القارة الأوروبية فقط ولا يشمل بريطانيا الجزيرة المنعزلة عنها جغرافيًا، أما مؤرخي القارة الآخرين فيرون أن التاريخ الأوروبي يشمل بريطانيا العظمي التي لم تكن تغيب عنها الشمس أيضًا. وينظر هؤلاء إلى الولايات المتحدة على أنها مجرد امتداد للتاريخ الأوروبي.

أما المؤرخين الروس فقد كانت أوروبا هي المعيار الذي قيم به الروس أنفسهم، وكان واجبًا على المؤرخ الروسي أن يدرس ويفهم الظروف الأوروبية وثيقة الصلة بروسيا في وقت معين، فيما يتعلق بقضية معينة، وهذه الرؤية توضح أن الشيء ذو الأهمية لروسيا ليس بالضرورة أن يشكل أهمية بالنسبة لأوروبا.

ولم تكن المصادر الروسية حتى نهاية القرن السادس عشر تعرف أوروبا، ولم تشر إلى أوروبا باسمها، وكانت تعرفها بالبيزنطيين نسبة إلى بيزنطة، ولم يقم البيزنطيون باطلاق هذا المسمى عليهم، وإنما أسماهم به من جاء بعدهم، وكانت الحدود بين الروس وجيرانهم حدود دينية وضعوها حاجزًا بينهم وبين جيرانهم من هراطقة في الغرب، ووثنيين في الشرق، إلا أن هذه النظرة قد تغيرت منذ منتصف القرن السابع عشر حيث أقامت موسكو علاقات تجارية ودبلوماسية وثقافية قوية مع الدول الأوروبية، وبصفة خاصة مع بولندا وألمانيا والسويد وإنجلترا وهولندا وإيطاليا، وأشاروا إليها في عهد بطرس الأكبر (1689-1725) "أوروبات" ويظهر من اللفظ إدراكهم للتنوع والإختلاف، وحاول المفكرون الروس الإبتعاد بروسيا عن الإطار الأوروبي، والإتجاهات الفكرية الأوروبية.

وجهود المفكرين الروس للابتعاد عن الإطار الأوروبي بأفكاره وافتراضاته الفكرية تأثرت بنفس الإتجاهات الفكرية الأوروبية التي يرغبون في الإبتعاد أو الإنفصال عنها، ولهذا لم ينظر الروس إلى أنفسهم على أنهم جزء من أوروبا، ولم ينظر الأوروبيون إلى الروس على أنهم جزء من أوروبا، وكانت منطقة البلقان والبحر المتوسط في النصف الثاني من القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر تمثل أطراف أوروبا.

والتاريخ الأوروبي يحتوي على ثلاث معطيات تتمثل في تحديد أوروبا من الناحية الجغرافية بحدود القارات الحالية، وأن كل دولة معاصرة لها تاريخ، وأن التاريخ الأوروبي جوهر هذه التواريخ القومية، وتواريخ الدول الصغيرة.

وعلى ذلك يمكن تحديد أوروبا من الناحية الجغرافية باستخدام الحدود الحالية للقارات، وهذه النظرة تفترض أن كل دولة معاصرة في أوروبا لها تاريخ، والتاريخ الأوروبي هو جوهر هذه التواريخ القومية للدول الصغيرة، كذلك فالتاريخ الأوروبي هو تاريخ ارتقاء أو تدهور العالم الغربي، وذلك يعني أن أوروبا في وقت اتساعها وقوتها وضمها لبلاد مختلفة تختلف عن أوروبا الضعيفة التي فقدت مستعمراتها.

ويمكن تحديد أوروبا من الناحية الثقافية على أنها تقليد حضاري، والتاريخ الأوروبي هنا هو تاريخ ارتفاع أو تدهور العالم الغربي، وهنا نجد ترابط بين النواحي الثقافية والحضارية، وذلك على أساس أن النواحي الثقافية تتعلق بالأشخاص وكيف يفكرون، وكيف يتعاملون مع الآخرين، أما الحضارة فهي المنتج الذي يفرزه هذا التفاعل.

ونستخلص مما سبق أن مفهوم التاريخ الأوروبي قد اختلف من فترة زمنية إلى أخرى، فأوروبا العصور الوسطى تختلف عن أوروبا الحديثة، حيث تغيرت معالمهما بتغير مستعمراتها في الخارج، حيث أثرت فيها وتأثرت بها، وتختلف عن أوروبا المعاصرة بعد انهيار أيديولوجياتها الإستعمارية في الخارج، وتقلص مساحتها لتقتصر على القارة الأوروبية الصغيرة، وعلى هذا فإننا نرى أن حدود القارة الأوروبية المتغيرة قد أثرت في تفسير مفهوم التاريخ الأوربي، وأثرت في تغيره من فترة زمنية إلى أخرى.

ونخلص من هذا أنه لا يمكن دراسة تاريخ أي دولة أو منطقة بمعزل عن تاريخ أوروبا، وعلى هذا فإن التاريخ الأوروبي هو تاريخ الأوروبيين في أي مكان سواء في القارة الأوروبية أم في أمريكا أو أفريقيا أو آسيا.

المسافات لم يشغلها وميض الفرح

علي سُليمان الدُبعي - اليمن - تعز

تسافرُ وأنت لم تبارح ظلك
تسافر وأنت الذي من لهيب الفراق اكتويت
وتأبى البقاء على شرفة الوقت المريح
(فؤادك لن تستقر به الأُغنيات)

تستظل بحر التردد
وينهش فيك الندم
ويهتف فيك النداء البعيد
تحاول أن تخرق الضوء
وتحرق خُطاك الطريق
وتبقى كما أنت رهين الشتات
ليكبر فيك الضياع
وتخبوَ جذوة الأمنيات

أيا دنيا مابيننا ؟
سوى ساعة الاحتضار لعمر الحياة
موصدُ بالفراغ
والمسافات لم يشغلها وميض الفرح

كم مرةٍ وهبتك الرياح
أُريج شذاها من زهرة الأُقحوان
أُنثاك التي عصرتها سُكراً
وسافرت بها مع الذكريات

وقالوا : أنت كطرفة
تحمل رسالة موتك
فلم تستجب ولم تلتفت لنصل السهام

وسفك دمائك لأجل ماذا؟!
لأجلها أم لكبرياء جنونك؟
إذاً أنت قتيل جنونك
شهيد الهيام

وفي شهقة موتك
حمائم روحك توزع الأُغنيات
وتنبتُ على مشارف قبرك
زهرتا أقحوان

ظل الإنسان.. شعائر سوداء



د. هاني حجاج - مصر

كاتب ومترجم

... وبعد مدة من الزمان (تطول أو تقصر)، يعود الميت مرة أخرى ليقض مضاجع الأحياء" هكذا كانت التصرفات الغريبة في أماكن مثل جبال "الهيمالايا" وبين قبائل "الليبو" و"الشربا" تعزى جميعًا إلى عالم خاص، عالم مجهول شديد الغموض.

الميت العائد حسبما يؤمن القوم في شعب "الليبو"، هو الإنسان عندما يموت ميتته الطبيعية فإن "الشاماني" (الذي يؤدي شعائر الدفن) يذهب في صحبة هذا الميت إلى العالم الآخر ... ويعتقد أهل "الليبو" أن هذا العالم يقع إلى الغرب من عالمهم إلى جانب الشمس والقمر، وبالرغم من هذا فإن ضوؤهما لا يخفي هذا العالم، بل إن ضوؤهما يسطع خافتًا إلى جواره ...

وفي نهاية رحلته يصل "الشاماني" بالميت إلى منطقة البحيرات، ليغرقه في بحر الدموع، الذي يمتد وراءه أول حد لقرية الموت، وهناك ينادي على الأسلاف البادية ظلالهم على الضفة الأخرى، و... ويطلب منهم أن يعتنوا به ... وفي هذه الأثناء، تتعلق به بعض الأرواح، وتصاحبه إلى عالم الأحياء ... عالمنا.

على أية حال فإن هذه الطقوس ليست سرية تمامًا بالنسبة للأحياء هناك، إذ أن هذه الشعائر تؤدى أمام أهل القرية الذين يتجمعون في منزل الفقيد.

ويعيش كل سكان القرية في منازل صغيرة، ويقيم حديثو الموت في مساكن تشبه مساكن "الليمبو" هذه الأيام، أما الموتى منذ فترة طويلة فإنهم (بطبيعة الحال) يعيشون في منزل كبير نسبيًا.

وفي المقابلات التي توالى إجرائها مع شيوخ القبيلة هناك وأشهرهم "تارايه" الذي أدعى أنه قد بلغ قرية الموتى هذه في عالم الأحياء، وإمعانًا في تصديق ما يقول يروي الحلم بتفاصيله الدقيقة، فيقول: «إن الموتى هناك يلبسون عمامة ورداء من القماش زاهي اللون، أما الحقول فسوداء اللون تمامًا!!» وبالطبع، فإن هذه الأقوال تضاربت إلى حد كبير في كل شيء.

فلماذا يعود هؤلاء الموتى لتنغيص حياة الأحياء؟

لعل تفسير هذا يمكن في كون بعض هؤلاء الموتى لا يستطيعون بلوغ قرية الموتى هذه إطلاقًا وإنما يبقى معلقًا في رحلة الـ "ما بعد" الذي لا يستطيعون استكمالها إلى قرية الموتى ...

في "ليبانج" ظهرت إحدى الحالات، وذلك عندما نسي أهل الدار قطة داخل الدار التي أغلقت في ليلة التهجد على جثمان الجدة المتوفاة، هذه القطة راحت تتمسح في الجسد المسجى، فعلت هذه القطة نجست الجسد المتوفى، مما جعل هذه الجدة لا تصل أبدًا إلى مرحلة الأسلاف.

ونادرًا ما تحدث مثل هذه الحالات، فقد جرت العادة أن الميت يصل إلى منتهاه في قرية الموتى، وذلك بفضل الأحياء الذين يوفون بالعهد دائمًا.

الشاماني في زعم البدائيين هو كالعراف أو الطبيب، إلا أن الفارق هنا أن دور الشاماني يبدأ بعد أن يموت المريض أو الشخص المعني بالعناية، والنشاط الشعائري ليس هو النشاط الوحيد الذي يمارسه الشاماني، فهو يتاجر بخدماته في التطبيب ليكسب قوته كأي فرد في المجتمع، وفي الحقيقة فإن معايير التقاليد هناك تتطلب ألا يطمع الشاماني في الربحية طالما أن روحه الحارسة تطالبه بأن



شاماني يقوم بأحد الطقوس

يكون زاهدًا، أما بالنسبة لمركز الشاماني الاجتماعي فقد انحط على مرور الزمن خصوصًا بعد اعتناق الإسلام.

والشاماني مثل العديد من المهن يمكن أن يكون رجلاً أو امرأة، فالشامانيون في شعوب الأوزبك والتادجيك يغلب عليهم أن يكونوا من النساء، وبالنسبة للقوقازيين، والتركمان، والقرغيز، والكاركلباك، والأوجر فيغلب عليهم أن يكونوا رجالاً، ومرة أخرى فإن دخول الإسلام – الذي حد من انتشار النشاط الاجتماعي للشامانية هو الذي أدى إلى أن يقتصر النشاط الشاماني تقريبًا إلى محيط المرأة.

أما الأدوات التي يستخدمها الشاماني، فإنه يرتدي ثيابًا بيضاء غالبًا (على الأقل أثناء تأدية الشعائر) وبعض الشامانيين الرجال يحبون ارتداء أزياء النساء (وهذه العادة كانت منتشرة في واحة خوارزم ووادي فيرجانا)، ويمكن تفسير عادة التخنث في الثياب هذه (التي يعود تاريخها إلى الفترة السقيتية) بالمعتقد القديم الذي كان سائدًا في آسيا الوسطى بأن الروح الحارسة للشاماني كانت أنثى في الأصل، لهذا فإنها تحب أن ترى نفسها وهي محتواة في الشاماني (في المظهر الخارجي على الأقل)، هذه الفكرة يعارضها باحثون مثل "بوجوراس" و"سترانبرج" الذي يعتقد بوجود علاقة جنسية بين الشاماني وروحه الحارسة.

والشاماني يحتاج في عمله إلى آلة موسيقية، إنها آلة تشبه الطبلة، تخترق جلدها فتحات صغيرة لاستقبال الأرواح التي يستدعيها الشاماني أثناء أداء الشعيرة.

ويستخدم الشاماني أداة تشبه السوط يستخدمها في طرد الأرواح التي سبب أذى للمكابدين، أما العصا والخيرزانة التي كان يستخدمها الشاماني من قبل فلم يعد يستخدمها إلا الدراويش.

ومع شعائر معينة يستخدم الشاماني مرآة، ودلوا ممتلئ بالماء، كما أنه يستخدم في بعض الأحيان – كنتيجة لتأثير الإسلام – المسابح وكتب الصلوات (التي لا تقرأ، بل ولعلها لا تفتح من الأصل في أغلب الأحوال).

والشاماني يقيم مذبحًا صغيرًا يحتفظ فيه بأدواته والأطعمة التي يقدمها إلى الأرواح، ولذلك يحجز منطقة شديدة الخصوصية في حالة طهارة شعائرية وذلك كي تستخدمها الأرواح التي يعتقدون إنها ترتبط بمصير عائله الشاماني.

وعمليات الرصد البحثية تجد أن لجلسة تحضير الأرواح الشاماني معني واضحًا بالنسبة للمشاركين فيها، لأنها تمثل رحلة الشاماني إلى العوالم الأخرى بحثًا عن روح المكابد، أو زيارة روح يتوقعون منها المساعدة، أو في البحث عن روح شريرة والمحاولة في التخلص منها.

والمعلومات المتاحة الآن تؤكد وجود حاجات اجتماعية

هذه الطقوس ليست سرية تمامًا بالنسبة للأحياء هناك، إذ أن هذه الشعائر تؤدى أمام أهل القرية الذين يتجمعون في منزل الفقيد.

الشاماني في زعم البدائيين هو كالعراف أو الطبيب، إلا أن الفارق هنا أن دور الشاماني يبدأ بعد أن يموت المريض أو الشخص المعني بالعناية، والنشاط الشعائري ليس هو النشاط الوحيد الذي يمارسه الشاماني، فهو يتاجر بخدماته في التطبيب ليكسب قوته كأي فرد في المجتمع.

معينة كانت السبب في ظهور الشامانية، وليس على خصائص نفسية معينة لعدد محدود من الأفراد، واختيار المرشحين محدود بصفات معينة مثل أن يعرف كيف يغني وكيف يدق على الطبل وأن يملك كامل السيطرة على جسده، وأن يتسم بالحساسية وخفة اليد وثقة زائدة بقدراته الخاصة وأن يكون متأكدًا من مساندة الروح الحارسة له قبل أن يضع هذه القدرات موضع الاستخدام.

والشاماني يبدأ مهمته بالسقوط في غيبوبة هي أقرب إلى حالات الهياج، نوبات التشنج يعتقدون أنها تطور طبيعي ومنطقي من إملاء الروح الحارسة، ثم يبدأ ابتهالاته الشامانية وهي مزيج عجيب من الموسيقي والشعر والمقامات، ويؤمن الأوزبك أن موهبة الشاماني الغنائية هي من تأثير الأرواح، وأن منشد الشعر الملحي "ماناس" هو الذي يعلمه هذا الفن في الأحلام.

ولا ينبغي النظر إلى النجاح الغير عادي للشامانية المدنية على أنه أمر محدود بدوره الطبي كما يقول الباحث "جان بيرشوميل"، فمن الواضح أن الشامانية قد أصبحت الآن جزءًا من الحياة السياسية لمعظم دول أمريكا اللاتينية، فالعديد من المرشحين للوظائف الهامة يتقدمون ويفوزون بها (جزئيًا على الأقل) على أساس أنهم على علاقة (حقيقية أو غير حقيقية) بالشامانيي المعروفين.

ففي مايو 1991 دعي "البرتو فوجيموري" رئيس بيرو شخصيًا إلى "ليما" المعالج البرازيلي الشهير لعلاج "فوجيموري" من كسر كان مؤلما للغاية، وقد امتلأ إستاد "ليما" الكبير بعشرات الآلاف من المرضى الذين جاءوا للعلاج بجانب رئيسهم، وعلى الرغم من أن معجزات البرازيلي كانت محبطة إلا أن خزانته كانت تحوي معجزات أخرى: إذ أن تمثالين من تماثيل العذراء في ميناء "كالو" بالقرب من "ليما"، بدأ في البكاء وبعدها كان آلاف المؤمنين المحبطين من صانع المعجزات البرازيلي قد اندفعوا ليتجمعوا أمام التمثالين الباكيين، وكان من بينهم الرئيس "فوجيموري"، وقد اعترف فيما بعد بأنه طلب من العذراء المساعدة في إعطاء الأمل للشعب.

وإن أكثر الكلمات شيوعًا في الاستخدام لتسمية الشامانية قد اشتقت في الأصل من المصطلح التركي (كام kam)، حيث تدين أشكال الشامانية في وسط آسيا في ما يتعلق بتجانسها النسبي إلى تقليد عام مشترك وإلى تأثيرات الديانة الإسلامية، التي تتميز في اتجاهين واضحين يتوافقن مع مجموعتين عرقيتين تسكنان هذه المنطقة، المجموعة الأولى تتحدث التركية، والأخرى تتكلم الإيرانية.

والواجبات التي يشترك فيها كافة الشامانيين في منطقة وسط آسيا هي تشخيص أسباب المرض وعلاجها، البحث عن الأشخاص المفقودين، الكشف عن الأشياء المسروقة، وهذه الواجبات التي يقمون بها قد تقلصت إلى حد كبير

البداية البحثية الحقيقية لمحاولة إثبات أن كل هذا هو محض هراء، فكانت عندما بدأ "تايلور" (1871) يؤكد أن الشاماني ليس إلا وارثًا لتركة من الأمراض العصبية الهستيرية كالصرع

عندما بدأ العرافون والمعالجون يحلون محلهم، والانتشار الشعبي هنا ليس بالضرورة في صالح الشاماني، لأن العرافون والمطببون يجرون بدورهم مراسم احتفال تشبه بدورها طقوس الشاماني. ومثله فإنهم يحاولون الاتصال بالأرواح.

أما البداية البحثية الحقيقية لمحاولة إثبات أن كل هذا هو محض هراء، فكانت عندما بدأ "تايلور" (1871) يؤكد أن الشاماني ليس إلا وارثًا لتركة من الأمراض العصبية الهستيرية كالصرع، وقد سارع كثير من الباحثين الروس (ومنهم خاروزين وميخائيلوفيسكي وأنوكسين وبوتانين وكاجاروف وكسينوتوف وغيرهم) إلى متابعه هذه الدعوى، كما أستمر البعض منهم (فينشتاين والكشيف وميخائيلون وسميتشوف) في دعم وتأييد هذا الجدال، حتى بالرغم من أنه قد ثبت بالفعل خطؤه بعد تفنيده منذ زمن طويل.

واعتمادًا على المعلومات التي جمعت من منطقة وسط آسيا، يعد حامل الأرواح التي يتم التحرر منها من خلال الممارسات الشامانية محملاً بالعلل والأسقام، والحقيقة أن هذا المرض يعتبر أمرًا لابد منها منه، ويري فيه الأوزبك والقرغيز عرفانًا بالجميل وعلامة على رضاء الأرواح، وحتى وإن كان واضحًا بالنسبة للجميع أنه يتم استدعاء الشاماني لكي يتأكد من التشخيص الصحيح، ويعتقدون أن الأرواح لا بد وأن تحمل الشاماني الصغير إلى العالم السفلي وأن سبب المرض يكمن في كونها تخفيه هناك في خلال أغصان شجرة الحياة وأن توفر له القوة وأن تحيطه بالرعاية والحنان بغرض إعادة خلق هذا الشخص المختار.

إنها تقطع جسمه إربًا وتطهوه حتى تستطيع أن تأكل اللحم، ثم إنها بعد ذلك تقوم بتلفيق أعضاء معينة من الجسد مع بعضها البعض وذلك قبل أن ترده إلى الحياة مرة أخرى.

ويحدثنا "رادولف" (1893) عن شامانية من الأوزبك اسمها "أوتشيل" من منطقة "سمرقند"، هذه المرأة كانت روحها الحارسة (حسب أقوال رجل عجوز صالح هناك) أنها كانت لرجل تقي أمرها أن تصبح شامانية حتى تنقذ البشر، لقد جنت هذه المرأة وصار سلوكها مثيرًا للخزي والعار، حتى بلغ بها الأمر إلى حد إلقاء ابنها من سطح الدار، حتى طفح الكيل بزوجها فقيد يديها ورجليها وحبسها في غرفتها.

ويقول القوم إن تلك المرأة التي حبسها زوجها في الدار خشية أن تستمر في ممارساتها المخبولة قد تمكنت من الفرار رغم القيود، وذلك أن روحها الحارسة قد أطلقت سراحها عبر المدخنة، وهذه الروح، أتت من رجل تقي صالح في زعمهم، فاصطحبها معه إلى الجبال المحيطة، وهناك تولي مهمة تعليمها وتعريفها بالأزمنة الخوالي، وعلمها الكثير من الممارسات الشامانية: "ابتهلي من أجل الحياة الحاضرة، ومن أجل الحياة الآخرة، ابتهلي من أجل الناس، ابتهلي من أجل السعادة والعمر المديد، ابتهلي من أجل الرخاء والخصوبة".

وفي هذا ما يدل على نوع من التعليم تم تلقينه من خلال الأحلام وهذه الأحلام لا تلعب دورًا مهمًا في الممارسات الشامانية فحسب بل أن لها دورًا هامًا جدًا في الإدراك بكافة المعارف الخاصة بالشعيرة الشامانية.

وفي الواقع ليس هناك تقليد معين لتلقي الشخص المختار تعاليمه عن طريق شاماني ذو خبرة، فهذا الاتجاه مشكوك في صحته، ولكن هذا لا يمنع بطبيعة الحال الإنسان الطموح من السؤال الاستفسار عما يعن له، الحقيقة أن الأمر كله يتوقف على استعداده لاعتناق دوره...

إلا أن معظم المعلومات الاثنوجرافية التي تشكل حيثيات الأحكام في موضع شخصه الشاماني إنما أتت من مجتمعات تطبعت ثقافيًا أو – على الأقل تمر بعملية تحول ثقافي عديد التسارع – مثل منطقة سيبيريا (وهي إحدى المناطق المحقق وجود الشامانية بها) كانت في غمار مرحلة تحول ثقافي في الوقت الذي بدأت فيه أول البحوث، والأمر ذاته بالنسبة لأمريكا الجنوبية، ومن هذا المنظور يمكن اعتبار الشاماني بأنه شخص هامشي، شخصيته غير مستقرة، يعاني من عدم القدرة على الاندماج والتوافق لهذا فهو ينزع إلى العزلة والتصوف، ويجد في الشامانية وواجباتها حلاً لمشكلاته الشخصية وأزماته النفسية، إلا أنه في بعض الأماكن في أمريكا الجنوبية يكون للشاماني تألقًا اجتماعيًا أكبر، إذ أن استدعائه ليؤدي الشعائر الشامانية يتم عن طريق الجماعات وليس الأفراد، وحتى في أثناء تلك الشعائر التي يؤديها فإنه يتحول إلى تجسيد حي لكل قيم جماعته، ومثل جميع الشعائر الأخرى فإن شكل هذه التجربة ومضمونها وقيمها الروحية والمادية تحتشد في أنماط ثقافية، هذه الأنماط يجب أن ينقلها الشاماني المخصوم في النهاية إلى الشاماني المبتدئ والذي سوف تحكم الجماعة على قدراته في نهاية الأمر، وهذا التدريب على الشامانية يتطلب قدرات غير عادية مثل الصوم والنسك والاعتزال والإمساك عن الممارسات الجنسية، هذا بالإضافة إلى المجهود العقلي الذي قد يكون أكثر صعوبة، حيث يجب أن يظهر الشاماني قدرًا هائلاً من البراعة الحرفية، ولابد أن يمتلك الشاماني سعة الخيال والقدرة على الابتكار، وأن يكون قادًا على ارتجال التراتيل وخلق مساهمات شخصية إلى التراث


الشاماني ليس إلا وارثًا لتركة من الأمراض العصبية الهستيرية كالصرع

الجمعي للطقوس المقدسة.

وفي حقيقة الأمر فإن اختيار الشاماني يتحكم فيه بالدرجة الأولى المجتمع الذي يكافح تحت وطأة تغييرات اجتماعية وثقافية لا ترحم، وتصرفات الأفراد الذين يعانون من هذا التغيير، وصنع الشاماني هنا يعتبر استجابة للقلق الاجتماعي والنفسي من جراء هذا التغيير، وفي هذه الحالة فإن تبني دور الشاماني (والذي يتحقق بدرجات متفاوتة من النجاح) يتم السعي وراءه وتبريره كدفاع ضد أحداث لا يمكن السيطرة عليها، كما يؤكد "ليفي ستراوس" في نص شهير له لكي يضرب مثلاً على الدور الذي تلعبه الشامانية في مواجهه نزعات علم النفس المرضي، فإنه إذا كانت نسبة حدوث العصابيات والذهانيات تحت تأثير الاحتكاكات الحضارية، تتجه إلى الارتفاع في الجماعات التي لا تلعب فيها الشامانية أي دور، بينما في المجتمعات الأخرى فإن الشامانية نفسها هي التي تتطور، وإنما بدون نمو مناظر في المشكلات العقلية.

الذين تمكنوا من حضور بعض جلسات الشاماني، قد استطاعوا تسجيل شيء من التراتيل التي تعتبر جوهر هذه الجلسات، والكلام عن هذه الجلسات وما يدور فيها شرحه يطول لذلك سوف نقتصر هنا على تحديد الملامح الرئيسية لتلك الجلسات.

إن أساس هذه الجلسات كان يتجلي في هذه الفترة التي كان يتمتع فيها الشامني بالقدرة لي تجسيد الأرواح، كما أن تلك الجلسات المحدودة قد خلت بالطبع من التأثيرات المسرحية الأخرى على غرار قرع الطبول والرقص والألاعيب السحرية بغرض تهيئة الحاضرين، وتبدأ الأرواح في الكلام من خلال الشاماني وأيضًا تجري حوارًا مع المشاهدين وتلقي بعض التنبؤات بالمستقبل، ثم تبدأ الروح بتعريف نفسها للحضور (من خلال صوت الشاماني الرخيم) ويضع الشاماني أثناء هذه الجلسة غطاء الرأس المعروف باسم "السيميدي" وهو أشبه بـ(الطرحة) التي تغطي وجه العروس، وهذا يعني انفصاله عن العالم، وتحوله في تلك اللحظة إلى بلورة شفافة جاهزة لاستقبال كل ما تبثه الروح التي تتقمص جسده، وفي نهاية الجلسة يرفع هذه الطرحة ويبدأ في العودة إلى حالته الطبيعية.

وكان الملفت للنظر بشكل مثير في خلال هذه الجلسات هو تكرار العديد من الكلمات والتعبيرات الروسية الأصل مثل (الطبيعة السرمدية لجواز المرور بين العوالم – الرفيق الموثوق به – آلاف من الرجال الروس، مصدر كل الآلات الثقة في محركات القوارب) الأمر الذي يفتح الباب أمام الباحثين للعديد من الاحتمالات.

على أية حال فإن الحدود التي توضح معالم المجازات والتصورات الذهنية عن موضوع الشامانية دائمًا تميز مجالاً تدور فيه تساؤلات معينة لابد من الإجابة عليها من خلال طريقة معرفية يصبح فيها ما يقبله العقل واقعًا في نطاق الحقيقة، ومن ثم فإن أنشطة الشاماني لابد أن تربط العقل بالواقع الاجتماعي والانثريبولوجي وأيضًا السياسي، فهو مع انتشاره يعد موضوعًا معرفيًا وأخلاقيًا في نفس الوقت.

وإذا وجد أن موضوع الجنون بكافة تعبيراته الاجتماعية يمثل جزءًا متممًا للتصور البشري أو تمثيلها في المجتمعات الشامانية على الأقل، يمكننا وقتها أن نفوس الجنون في التصنيفات المرضية لهذه المناطق، أي انه عندما يتم الربط الصريح بين الجنون وبين أنثربولوجيا هذه المجتمعات فإن تطورها (كجزء من التطور العالم للبشرية) سوف يتم تفسيره بمجموعة من التجليات المرتبطة بأسلوب وجود المجتمع بأكمله.

وبينما تنتظر بعض هذه المجتمعات وبعض الباحثين كذلك اليوم الذي سوف تأتي أرواح أخرى وآلهة أخرى لتغني ترانيمها وترقص بين الناس، وتنتظر بعد كل هذا وفي حينه التهليل والتبجيل بين الجموع، فإن تلك الأصوات التي ألهمت الشاماني لأزمان قد أصبحت اليوم تمتمة خافتة لا تكاد تسمع.

كما أن كافة الإيهامات التي تضاخمت كثيرًا جدًا قد وقعت في المأزق المعروف بين الإيمان والمعرفة، لكونها تشتمل على الادعاء بما يؤمن به الآخرون، وتصديق ما يدعيه آخرون غيرهم، هذه الإيهامات سوف تختفي هي الأخرى بلا جدال ...

هكذا يتحدث العقل، وهكذا يقول صوت مجتمعات عقد الصلح مع نفسها ومع الطبيعة منذ زمن طويل، وأن آخر جنود الهذيان الإثنولوجي والسياسي قد دفن أحفاده منذ زمان أطول ....

وجوه التّمرّد في أقصوصة: "الجدار العالي"

لإبراهيم درغوثي



عبّاس سليمان- تونس

الجدار العالي* أقصوصة من أقاصيص ابراهيم درغوثي كتبها خلال سنة 2009 أي بعد أكثر من عشرين عاما من انخراطه في التّأليف والنّشر. جاءت ضمن مجموعته "منازل الكلام"** ثمّ ضمّتها مختاراته القصصيّة التي سمّاها "تصبحون على خير" قرأناها فأثارت فينا قراءتها الحيرة والتّسآل ونروم أن نضمّن هذه الورقة الحيرة التي ركبتنا والأسئلة التي ثارت فينا.

ونريد أن نبيّن منذ البدء أنّ مدار حيرتنا وأسئلتنا كان ما حفل به هذا النّصّ من تعدّد لوجوه العدول والإرباك أو وجوه التّمرّد التي ظهرت جليّة في الشّكل وفي المضمون والتي سنشير بشكل برقيّ إلى أنّها تعلّقت بتعالق خصائص النّصّ الشّفاهي بخصائص النّصّ المكتوب وبوقوف الكاتب مرارًا ومطوّلاً عند التّفاصيل الدّقيقة وباختلاط الحقيقيّ بالمجازيّ بشكل مربك وبتداخل المعجم الفصيح بالمعجم العامّي في مواطن عديدة وبالغموض الذي اكتنف النّصّ رغم ما تخلّله من توضيحات وما تلا مفرداته وجمله من شروح وتعليقات.

وعلى أهمّيّة هذه الوجوه التي ذكرنا فإنّنا سنعدل عنها جميعا لنركّز اهتمامنا على وجه عدول واحد وجدناه أعمق وأشدّ للانتباه وأكثر جلبًا للاستفادة (على اعتبار أنّنا متّفقون على أنّ النّقد الأدبيّ إنّما يستفيد ويثري نفسه ويطوّر آليّاته وطرائقه واتّجاهاته انطلاقا من النّصوص) ووجه العدول الذي نقصد هو ما ظهر في الأقصوصة من تداخل ظاهر بين الكاتب والسّارد وهو تداخل سندرسه دراسة كميّة من خلال إحصاء أخضعناها إليه ثم سنتدرّج نحو قراءة ما تبوح به نتائج الإحصاء تحليلاً وتأويلاً.

فقد احتوت أقصوصة "الجدار العالي" موضوع دراستنا هذه على 197 سطرًا تعلّقت منها بالسّارد 56 فيما ذهبت البقيّة وعددها 140 إلى الكاتب وعلى 82 جملة لم يحز منها السّارد على غير 33 بينما ذهبت إلى الكاتب 49 وعلى 1747 كلمة أخذ منها السّارد 489 فيما ارتبطت البقيّة الباقية وقدرها 1258 بالكاتب.

ويقودنا هذا الإحصاء الى استنتاج لا لبس فيه مفاده هيمنة الذّات الكاتبة على الذّات السّاردة واحتلالها في مساحة النّصّ وفي ذهن المتلقّي مساحة فوق العاديّة افتكّتها عبر تدخّلاتها المتكرّرة التي تراوحت بين كلمتين أحيانًا وأزيد من صفحة كاملة أحيانًا أخرى.

نحن أوّلاً إزاء كاتب جرّد من نفسه ساردًا وأوكل له أن يقصّ علينا حكاية رجل الجدار العالي ولكنّه بدأ منذ السّطور الأولى ينازعه مهمّته ويفتكّ منه دوره ويفرض عليه وعلينا نفسه.

ونحن ثانيًا إزاء سارد يفقد منذ بدايات النّصّ وقبل أن يصيبه التّعب أو الملل أو يلمّ به النّسيان السّيطرة على السّرد ويفقد تقريبا دوره و إشعاعه حتّى ليكاد يُنسى وذلك لفائدة كاتب بدا له أنّه أقدر من سارده على الاضطلاع بمهمّة الحكي هذه وعلى إيصال القصّة إلى القارئ كما يريدها أن تصل: "ركن السّيارة الفارهة في الظّلّ الممدود تحت الجدار العالي وأسكت المحرّك بعصبيّة ظهرت في حركات اصابعه وفي التّقطيبة بين الحاجبين ثم دسّ المفتاح في حافظة جلديّة أخرجها من جيبه ومدّ يده الى قارورة صغيرة من العطر الفاخر (في الظّاهر فقط. أمّا في الحقيقة فهو مغشوش/فالصو لأنّه مصنوع -سو ليسانص- في إحدى البلدان العربية) ص 78.

إنّنا إزاء انقلاب عناصره ثلاثة: البطل وهو الذّات الكاتبة أي الذّات الحقيقيّة (ابراهيم الكاتب) والضّحية وهي الذّات المتخيّلة (إبراهيم السّارد) - فيما سنترك للقارئ أن يحسم إن كان المسرود له ضحيّة هذا الانقلاب أم مستفيدًا منه- وأدواته عمليّة اختراق هي اختراق كلام المؤلّف خطابَ السّارد اختراقًا توزّع بين الشّرح والتّعليق والتّكذيب والتّصويب والسّخريّة والتّعقيب حتّى ليتوهّم المسرود له أنّه إزاء شخصين لا شخصيّة واحدة جرّدت

من نفسها حكّاء تخيّله.

وتقودنا هذه الاستنتاجات الأوّليّة إلى الملاحظات النّقديّة التّالية :

1 - أصبح هذا النّصّ بفعل هذا التّنويع وفعل هذا التّوزيع الجديد للأدوار وهذه الإضافات المتراوحة بين الشّروح و التّعقيبات والتّكذيبات والهزء متمتّعا بحيويّة غير عاديّة ما كانت لتتحقّق لو حافظ صاحبه على قطبين أحدهما يبثّ وهو السّارد وثانيهما يكتفي بالتّقبّل وهو القارئ وذلك عندما أضاف قطبًا ثالثًا ظاهرًا غير مستتر هو الكاتب الحقيقيّ فتحوّل المقروء من مشترك بين اثنين إلى جامع لثلاثة رؤوس ومن مقروء عاديّ إلى مقروء مُربك محفّز على التّفكير وفاتح لأبواب على النّقد جديدة وتغيّرت وجهة النّص القصصيّ من الانفتاح على شريحة عريضة من القرّاء إلى التّوجّه المخصوص نحو فئة هي فئة القرّاء المفكّرين. أصبح النّصّ إذا منتجًا لا للخيالات والمتعة والأحلام بل لنوع جديد من القرّاء قادر على الحفر في ثنايا ومقاصد الأدب.

يتبدّى إذًا أنّمن وجوه التمرّد في هذا النصّ توسيع دائرة الأطراف المتدخّلة في الوضعيّة التواصليّة برمّتها عبر إضافة عنصر ثالث إضافة لم تأت عرضيّة ولا عاديّة وعبر السّعي نحو الارتقاء بالمقروء من المعتاد إلى العجيب وإيجاد صنف جديد من القرّاء يؤمنون بالقراءة المفكّرة الفاعلة المنتجة.

2 - ليس صعبًا أن نتّفق على تأويل آخر مفاده أنّ القصّة في حدّ ذاتها قد ذابت في خضمّ الجدل بين السّارد والكاتب ويكفي الرّجوع إلى نتائج الاحصاء الذي

استهللنا به المداخلة للتّأكّد من ذلك ومفادهأنّ مركز اهتمام المتلقّي أصبح ما بين الطّرفين الحقيقيّ أي الذّات الكاتبة والمجازيّ أي الذّات السّاردة من تبادل غير عادل للأدوار حتّى إنّه لم يعد ينتظر مآل الأحداث إنّما تدخّل الكاتب

لردع السّارد أو كشف سوء نواياه أو توضيح ما أضمر إغماضه أو التّعليق عمّا أورده أو السّخريّة من محتوى سرده ومن كيفيّة نقله أو تكذيب خبر من أخبار حكايته ثمّ تصحيح الأمر بعد ذلك على طريقته."كان كلّما اقترب أحد الرّجال من المدخل ،(مدخل بناية الجدار العالي الذي ذكره السّارد في بداية القصّة ولكنّه سكت عن التّفاصيل،) رأى وكأنّ رمحين متقاطعين يسدّانه .ثمّ وكأنّ يدًا تندسّ داخل جوفه (يعني جوف الرّجل الذي تقدّم ناحية الرّمحين) ص: 84

ولا يمكن تأويل كلامنا هذا سوى في اتّجاه إصرار الكاتب على تشييد جدار عال لا يضاهي طوله بقيّة الأطوال أي على بناء نصّ جديد يعدل فيه عن تكثيف الأحداث و إيرادها جافّة ليخرجه بشكل جديد يصبح فيه التّعليق عن الحدث أهمّ من الحدث في حدّ ذاته ويصبح فيه للقارئ حقّ في التّمـتّع بالتّـعقيب والشّروح و التّصحيح و التّكذيب.

3 - لنا أن نستنتج أيضًا أنّ الكاتب قد وفّق من خلال هذا التّوزيع الجديد للأدوار ومن خلال هذا التّعديد المقصود للأصوات في أن يجعل قارئه يعيش الاضطراب والارتباك بخصوص حدود كلّ من السّارد والكاتب أو حدود كلّ من المجاز والواقع ففي اللّحظة التي يصدّق فيها هذا القارئ انسياب الخيال يتدخّل الواقع هازئًا أو مكذّبًا أو معلّقا أو واصفًا أو مفسّرًا بما يعني إيمان الكاتب بأنّ الخيال لم يعد مثيرًا إثارة الواقع وبأنّ الواقع تجاوز في إثارته وإرباكه كلّ حدود المجاز.

تمّحي إذا الحدود بين الخيال والواقع من خلال تدخّل الكاتب في السّرد تدخّلاً يعمد فيه إلى استعمال ضمير المتكلم الذي هو ضمير الاعتراف وإلـــى إخراج

هويّته كاملة واضحة للقارئ: "وانا ،أي ابراهيم بن محمّد بن خليفة الدّرغوثي بلحمه وشحمه أراقب الموقع من بعيد ...." ص -85 وقد تكرّر تدخّل الكاتب للتّعريف بنفسه ثلاث مرّات بأساليب مختلفة - كما تمّحي الحدود بين الأصل والفرع بشكل يضاعف حيرة المتلقّي حتّى انّه لَيسأل وهو يقرأ: من يثور على من؟ لينتبه في الأخير إلى أنّ الثّورة ليست سوى من الكاتب على نفسه الأمّارة في البداية باختلاق سارد والأمّارة بعد البداية بالتمرّد عليه. يثور الكاتب على نفسه ويحتجّ على نهجه السّابق في الكتابة وعلى تقنيته القديمة في البناء وعلى كلّ الأنهج والتّقنيات في اتّجاه اعتماد تقنية تحقّق جدارًا عاليًا أعلى من جدرانه السّابقة وأعلى من الجدران المجاورة.

يثور الكاتب على صوته الذي جرّده منه فيُسكته رائمًا بالحلول محلّه بعث صوت جديد مختلف يحقّق الجدّة والطّرافة ويشدّ الأسماع بغية الخروج بالنصّ القصصيّ إلى مدارات أرقى.

إنّنا لا نستطيع أن نفهم العلاقة بين العنوان"الجدار العالي" والأقصوصة إلّا في هذا الاتّجاه، اتّجاه إصرار الكاتب على بناء نصّ جديد ينهل من التّقنيات القديمة المتعارف عليها كالمقامة والخبر ثمّ يتجاوزها مستفيدًا من رؤيته الخاصّة للتّجريب ومن اطّلاعه على تقنيّات السّينما والمسرح المعاصريْن وذلك بغية الوصول إلى نصّ راقٍ وأسلوب في القصّ متفرّد.

إنّ تدخّل الكاتب إذًا ليس غير ذريعة لتحويل النصّ القصصي من نصّ تقليديّ قائم على انسياب أو تتابع الأحداث إلى نصّ تجريبيّ يُربك المتلقّي ويقطع عليه من حين لحين لذّة القراءة ليُحلّ محلّها إحساس الدّهشة و الحاحالسّؤال.

فحكاية الجدار العالي ليست إذا فرصة لكتابة قصّة إنّما هي فرصة لإنتاج نصّ قصصيّ مختلف لا يسير وفق قواعد القصّ العاديّ ولا يؤمن بسلطة السّارد ولا تعنيه درجة اطمئنان القارئ ومدى متعته ولا تهمّه متانة الأحداث إنّما هو ينبني وفق رؤية الكاتب لا السّارد لشكل قصّ جديد بأدوات خاصّة أو مخصوصة. فالمعركة إذًا بين السّارد والكاتب هي معركة بين التّقليد والحداثة وبين الاكتفاء بقصّ أحداث متعاقبة وإقحام مقاطع شرح وتفسير وتعليق وتكذيب وسخريّة تزعزع بنية النّصّ و تُثريه وتحقّق له التّفرّد وهي بين الاكتفاء بتحقيق اللّذة التي يمكن لكلّ قارئ أن ينالها وبثّ الحيرة وتعليم الصّبر على النصّ وهو ما لايمكن أن يكون متاحًا لكلّ القرّاء.

فالعمليّة برمّتها اقترنت بإعادة تشكيل النصّ القصصيّ التّونسي أو العربيّ بما يُخرجه عن سيرته الأولى وعن انسيابه المألوف وذلك وفق رغبة في التّجريب وطموح للتّوجه نحو قارئ مختلف سيحطّ النّص بين يديه إن كان موجودًا وسيبعثه إلى الوجود إن كان مفقودًا .

على سبيل التّلخيص

سارد غامض أو مُغمض يقابله كاتب محبّ للوقوف على التّفاصيل.

سارد غير مبال بالقارئ يلقي الخبر كيفما اتّفق يقابله كاتب محترِم للقارئ مهووس بإغراقه في الشّروح وفي التّعاليق.

سارد غير منتبه إلى أهمّية التّشويق يقابله كاتب راغب في إثراء النّص بتقنيات تشويق حديثة أصلها ثابت في فنون كثيرة أخرى.

حكّاء تقليديّ يَجري منذ بداية النصّ نحو بلوغ الخاتمة يقابله حكّاء متمرّد على

تقاليد القصّ المعتادة لئن كان يتّبعها قليلا فإنّه سرعان ما يحلّق بعيدًا عنها.

ذاتٌ مجازيّة راغبة عن كل تشويش يهمّش النّصّ ويبعثر المتلقّي تقابلها ذات حقيقيّة لا تهمّها الأحداث في حدّ ذاتها بقدر ما يهمّها إرباك القارئ بحواشي الأحداث.

سارد يتّجه نحو قارئ تقليديّ لا يحبّ تعقيد الأمور مقابل كاتب عليم يرغب في الارتقاء عبر تحديث النّص بقارئه من مجرّد التّلقّي السّلبي إلى التّفكير والفعل

ومن القراءة التي يعقبها نسيان إلى قراءة يعقبها تذكّر مستمرّ.

ذلك هو وجه التمرّد الذي أفردنا له من بين الوجوه الأخرى التي احتواها النصّ هذه الورقة والذي اتاحت لنا ترجمته إحصائيًّا الوقوف على استنتاجات وملاحظات نقديّة وتأويلات ملخّصها أنّ تمرّد الكاتب على سارده ومن خلاله على النصّ القصصيّ العاديّ إنّما كان بهدف تطوير الأقصوصة والخروج بها نحو أشكال ومضامين أرقى وإيجاد من خلال ذلك كلّه قارئ يتجاوز الوقوف على المتعة إلى الصّبر على النّصّ ومكابدة مشقّة السّؤال و الإحساس بلذّة البحث.

إحالات:

* منازل الكلام :مجموعة قصصية / دار إشراق للنشر 2009

** الجدار العالي :من مجموعة الكاتب القصصية :نصبحون على خير / الثّقافيّة للنّشر والتّوزيع 2012/ ص77-87

الحداثة وأزمة التقبل:
عودًا على كتاب فتنة الحداثة



محمد طيفوري
أكاديمي مغربي

استرعى انتباهي كتاب للباحث قاسم شعيب بعنوان "فتنة الحداثة" من منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود[1]، وإذ أشكر الكاتب على رغبته النبيلة في توجيه الفهم لإعادة قراءة الحداثة قراءة نقدية ومن خلال مشاريع حداثية عربية[2]، في ظل تنامي وثيرة النقاش عن التأويلات الحديثة للحداثة بعد وصول حركات الإسلام السياسي إلى سدة الحكم في أكثر من دولة، فصرنا نسمع لا عن أسلمة الحداثة أو تحديث الإسلام بل عن "حداثة إسلامية"[3]. فإنني مع ذلك أستغرب لهذه الرغبة الجامحة لدى الباحث والتي تفتقد للمنهج والآليات، وقبلهما للاطلاع والمعرفة الكافية لمناقشة موضوع يعد بحق "قضية القضايا" في الفكر العربي/الاسلامي المعاصر.

تكمن مشكلة الكاتب قاسم شعيب في سعيه للتبشير بحداثة خاصة تفتقد إلى المقومات التي تؤهلها للدفاع عن نفسها[4]. فأطروحة الباحث اعتراها من التناقض ما يهد بنيانها من أساسه، سواء على مستوى المفاهيم أو مستوى الاستدلالات، كما وشابها من الغموض والالتباس والأحكام القيمية - بسبب نظرته الفوقية للحداثة – ما جعلها أقرب إلى حديث لاهوتي منه إلى مقاربة فكرية وعلمية رصينة.

سقط الكاتب في التخبط المعرفي والمنهجي على مستوى المفاهيم في أكثر من مقام طي كتابه، من خلال استحضار ما بعد الحداثة لانتقاد الحداثة تارة، واعتبارهما وجهين لعملة واحدة تارة أخرى، وأيضًا على مستوى الاستدلالات، وذلك بإساءة توظيف مقولات حداثية في غير مقامها، واعتماد مقاربة انتقائية مخلة في مناقشة كل من مشروعي المفكرين طه عبد الرحمن وهشام جعيط.

وهذا ما سنعمل على بسط أمثلة منه في القادم من الأسطر، لكن نشير قبلا إلى أن هذه المقالة لا ترمي تبخيس العمل بقدر ما هي استجابة لدعوة للنقاش والتفاكر، يفترض أن كل كاتب يتقدم بها لقرائه بعد كل إصدار.

بداية لنتوافق على مقدمتين أساسيتين مفادهما التالي:

أولاً: في ظل ضبابية مفهوم الحداثة لدى الكاتب، والتفافه حول ألفاظ عامة لتحديد ماهيتها مثل قوله: «حداثة خاصة منطلقة من مفاهيم وقيم مستمدة من الاسلام ونصوصه»[5]. نحدد الحداثة بأنها ذلك الأفق الكوني الذي تجاوز موطن النشأة وأصبح ملكًا مشاعًا لكل البشر، ويمكن أن نختصر التحديد في عبارة لفيسلوف تلخص هذا المشروع «الحداثة هي القدرة على الممارسة النقدية». الفكرة ذاتها صاغها المفكر المغربي عبد الله العروي صياغة بليغة في كتابه "مفهوم العقل" قائلاً: «لا يوجد فكر حديث وبجانبه نقد بل الفكر الحديث كله نقد، هذه هي الثورة الكوبرنيكية فلا يكفي الكلام عنها بل يجب الكلام بها»[6].

ثانيًا: إن الحداثة مشروع لم يكتمل من وجهة نظر يورغن هابرماس أحد رواد مدرسة فرانكفورت النقدية، ما يعني معه أن الحداثة يمكنها أن تصحح مسارها في كل مرة، وهي بذلك لا تدعي لنفسها الكمال[7]. بل تعترف في المقابل أنها منظومة ناقصة وقاصرة، وهذا من العناصر التي تستمد منها قوة الصمود في مواجهة البهلوانيات الفكرية لما بعد الحداثة.

يجمع الكتاب بجملة من الأحكام القيمية والمصادرات من قبيل أن الحداثة ولدت عرجاء منذ البداية[8]، وأن المسلمين يملكون أسلحة فكرية أقوى من أسلحة الفكر الحداثي[9]، وأن القرن الثامن عشر في فرنسا سمي عصر الأنوار، رغم أنه لم ينتج فيلسوفًا واحدًا يملك نسقًا فلسفيًا متكاملاً[10]، بل وأحيانًا محاكمة النوايا - بعيدًا عن أي منهج علمي – كقوله: «لقد كان جعيط في الجزء الأول "الوحي والقرآن والنبي" أكثر تفهمًا لظاهرة الوحي والنبوة وأقرب إلى المعقول الاسلامي رغم أنه كان يفعل ذلك تقية على ما يبدو»[11].

نود في هذا المقام تدقيق النقاش في نقطتين جوهريتين عُنّت محوريتهما فيما طرحه الكاتب، لما شابهما من غموض والتباس.

- الحداثة والعقل:

يرى الكاتب أن العقل الذي أعلت من قيمته فلسفة الحداثة، لم يحترم حدوده... وفشل العقل فشلاً ذريعًا وهو يتمدد خارج نطاقه، فسقط الفرد ضحية القلق والتمزق والعدمية[12]. بل يذهب أكثر من ذلك حين يعتبر

أن مقتل الحداثة يتحدد في تأليه العقل وإعطائه قيمة تتجاوز قدراته في تصورنا، وفي المقابل تم إقصاء الدين وضربه والسخرية منه[13].

إن الحديث عن إقصاء الحداثة للدين والسخرية منه لا يعدو أن يكون مجرد افتراء، لأن أسس الحداثة لا تقوم على القضاء على الشعور الديني بل تهدف فقط إلى تحويل قضاياه من احتكار الإكليروس والفقهاء إلى التأمل الإنساني الحر.

هذا ويبدو أن الباحث هنا يقفز عمدًا أو سهوًا على الآباء المتكلمين المؤسسين للعقلانية والفكر الديمقراطي في التاريخ الإسلامي، والذين دفعوا حياتهم ثمنًا لذلك قبل قرون عصور محاكم التفتيش، وقبل أن يقاد غاليلي إلى المقصلة، ونقصد الأربعة الكبار من أهل القرن الأول الهجري، وهم: معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم والجهم بن صفوان[14].

يذهب الباحث في ذات النقطة إلى التأكيد على ضرورة معرفة حدود العقل عندما يتعلق الأمر بعلاقته بالإسلام، فالعقل الذي يحترم حدوده – من وجهة نظره – هو وحده الذي لا يتناقض مع الإسلام[15]، متناسيًا فرقة المعتزلة التي مارست التعقل من داخل المنظومة النصية التي سادت في فترتها، بل عد العقل أحد الأصول الخمسة التي يقوم عليها الفكر الاعتزالي، وبلغ التعقل بالقاضي عبد الجبار أحد رموزها مبلغًا جعله يناقش ما يجب على الله فعله مما لا يجب عليه من منطلق صفاته الواردة في القرآن.

ونختم بالتساؤل عن حدود العقل التي ما فتئ الكاتب يقيم بها الحجة طي كتابه، من يحددها؟ وكيف نضبطها؟ وهل هي قابلة للزيادة والنقصان مع تطور الإنسانية أم تبقى ثابتة؟ بمعنى هل حدود عقل الفرد في القرن السابع الهجري سوف تبقى هي ذاتها حدود إنسان يعيش في القرن الحادي والعشرين؟

-الحداثة والإسلام:

يصر الكاتب على أن الحداثة ولدت عرجاء منذ البداية، ولا سبيل إلى تجاوز مطباتها إلا بالانطلاق من أسس نظرية جديدة لا تهمل في الإنسان أيًا من جوانبه كما فعل ذلك الإسلام من قبل[16]. والبديل في نظره حداثة خاصة تؤسس من مرجعية وقيم إسلامية على اعتبار أن الإنسانية في نظره حتى الآن جربت كل المنظومات والأيديولوجيات الوضعية، ولكنها لم تجرب الإسلام إلا في فترة قصيرة جدًا، وفي مساحة جغرافية محدودة بسبب المؤامرات التي حيكت ضده، ولم يكن بوسع تلك الفترة القصيرة أن تأخذ مداها وتحقق أهدافها[17].

يحق لنا أن نتساءل هنا عن أي إسلام يتحدث الباحث هل "إسلام النص" أم "إسلام التاريخ"، وإذا افترضنا جدلاً أنه الأول على اعتبار التحفظات التي يسجلها بين الفينة والأخرى على الثاني في كتابه، ففي أي النصوص سوف نبحث عن الإسلام هل النص الخالص (القرآن) أم النص المؤَسس (الحديث)؟، وفي أي المنظومات سوف يكون ذلك إن قبلنا الافتراض الثاني هل داخل المنظومة السنة أم المنظومة الشيعية أم الدائرة الإباضية؟.

كما نتساءل أيضًا عن هذه الحقبة التي طبق فيها الإسلام تطبيقًا كليًا من طرف الإنسانية؟ وكذلك متى استطاعت أيديولوجية بعينها أن تحظى بإجماع الإنسانية قاطبة؟.

يسطِّ الباحث تبسيراته بعيدًا حين اعتبر أن مشروع العلمنة والتحديث قد فشل في العالم العربي، وهو ما يفسر الثورات العربية التي انطلقت في كل مكان لتطالب الأنظمة العلمانية الفاشلة بالرحيل[18]. إذا سلمنا جدلاً – وهذا غير صحيح – بعلمانية الأنظمة العربية، وصدق نواياها في التحديث لا الحداثة والفارق بيّن بين الأمرين، فالظاهر في المطالب التي رفعت إبان الثورات العربية أنها من مقومات الدول الحديثة من حرية وديمقراطية وكرامة وعدالة... ورفض في المقابل لكل أشكال الاستبداد والقهر والسلطوية من كافة أطياف المجتمع وبمختلف أيديولوجياتهم السياسية ومشاربهم الفكرية رافعين شعار مدنية الدولة.

سقط الكاتب في التخبط المعرفي والمنهجي على مستوى المفاهيم في أكثر من مقام طي كتابه، من خلال استحضار ما بعد الحداثة لانتقاد الحداثة تارة، واعتبارهما وجهين لعملة واحدة تارة أخرى، وأيضا على مستوى الاستدلالات، وذلك بإساءة توظيف مقولات حداثية في غير مقامها، واعتماد مقاربة انتقائية مخلة في مناقشة كل من مشروعي المفكرين طه عبدالرحمن وهشام جعيط.

ويبدو أن الباحث هنا يقفز عمدًا أو سهوًا على الآباء المتكلمين المؤسسين للعقلانية والفكر الديمقراطي في التاريخ الإسلامي، والذين دفعوا حياتهم ثمنًا لذلك قبل قرون عصور محاكم التفتيش، وقبل أن يقاد غاليلي إلى المقصلة.



الهوامش:

1 - قاسم شعيب: "فتنة الحداثة" مؤسسة مؤمنون بلا حدود الرباط، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2013.

2 - يقدم الكاتب قراءته "النقدية" من خلال قراءة في أعمال بعض المفكرين مثل طه عبد الرحمان وهشام جعيط ومحمد الشريف.

3 - Voir Youssef bilal; le cheik et le calife: Sociologie religieuse de l'islam politique au Maroc (2012).

4 - قاسم شعيب: م س، ص 7 و 143 و 146.

5 - قاسم شعيب، م س، ص 7.

6 - عبد الله العروي: "مفهوم العقل"، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1997 ص 12.

7 - هذا ما حاول الكاتب انتقاد الحداثة على مستواه، وهو نقد لم يكن في محله. أنظر ص 33.

8 - قاسم شعيب، م س، ص 61.

9 - قاسم شعيب: م س، ص 8.

10 - قاسم شعيب: م س، ص 16.

11 - قاسم شعيب: م س، ص 100.

12 - قاسم شعيب: م س، ص 22.

13 - قاسم شعيب: م س، ص 32.

14 - لقد هؤلاء الآباء مصائر مفزعة بسبب تعقلهم، فمعبد الجهني صلب بدمشق على يد الخليفة عبد الملك بن مروان، وغيلان الدمشقي قتل شر مقتل في مجلس الخليفة هشام بن عبد الملك بتقطيع أطرافه بينما قتل الجعد بن درهم على يد الأمير خالد القسري الذي ختم خطبة العيد قائلاً: "ارجعوا فضحوا، تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم" في حين قتل الجهم بن صفوان على يد الأمير سلم بن أحوز بأصبهان.

15 - قاسم شعيب: م س، 159.

16 - قاسم شعيب: م س، ص 61.

17 - قاسم شعيب: م س، ص 40.

18 - قاسم شعيب: م س، ص 158.

غادة السمان أيقونة السرد العربي

وقصتها "إنهم يدّعون الشمس تشرق من إسرائيل"



بقلم: شوقي بدر يوسف

مصر

نشرت هذه القصة في العدد 451 من مجلة الموقف الأدبي السورية في نوفمبر 2008، وقد وصلت بها غادة السمان إلى الذروة في التعبير الفني بالقصة القصيرة عن قضايا مهمة تمس الوجدان العربي في أهم إشكالياته السياسية والثقافية والاجتماعية، وهذه القصة في نظري تعد من أهم القصص التي كتبتها الكاتبة في مسيرتها الإبداعية.

وقصة "يدّعون: الشمس تشرق من إسرائيل!!"، تعد من الأعمال القصصية ذات النزعة السياسية وهو نص يضاف إلى محور إبداع المقاومة مع العدو الصهيوني في كتابات المرأة، قدمت به غادة السمان رؤية أدانت فيه الأعلام العربي ووضعته أمام مسئولياته التاريخية والقومية تجاه تعريف العالم بقضايا العرب الملحة من خلال أدبها السردي بكل مقوماته.

وقد حظى أدب غادة السمان بعدد كبير من الدراسات النقدية والكتب البحثية والرسائل الأكاديمية، حقق فيه الكتّاب والنقاد والباحثين دور هذه الكاتبة في مجال السرد الحديث، من خلال إبداعها خاصة في مجالات الرواية والقصة القصيرة والسيرة الذاتية، مما يعطى انطباعًا مهمًا عن أهمية إبداع الكاتبة على المستوى العربي والعالمي، فقد صدر عن أدبها العديد من الكتب والدراسات منها "غادة السمان الحرب والحرية .. دراسة في علم الاجتماع الأدبي" الدكتورة إلهام غالى وهى أطروحة دكتوراه كتبت أصلاً بالفرنسية وقدمت إلى جامعة باريس عام 1984، كما صدر عنها كتاب "غادة السمان بلا أجنحة" الدكتور غالى شكري، وكما جاء في تذييل هذا الكتاب فإنه يعد رؤيا مستقلة لعالم الكاتبة، صدر أيضًا كتاب "الفن الروائي عند غادة السمان" عبد العزيز شبيل، وفى هذا الكتاب يعرض الباحث التونسي عن القضايا المطروحة في روايات غادة السمان، ثم صدر كتاب "قضايا عربية في أدب غادة السمان.. في الفترة ما بين 1962-1975" للباحثة حنان عواد، وهو عبارة عن أطروحة دكتوراه قدمت باللغة الإنجليزية بإشراف الدكتور عيسى بلاطة، وصدر عنها كتاب "غادة السمان المهنة كاتبة متمردة" للكاتبة السورية سمر يزبك، وهو يتعرض لغادة السمان كإشكالية إبداعية متطرفة في رؤيتها الإبداعية، وكتاب "فض ذاكرة امرأة.. دراسة في أدب غادة السمان" الدكتور شاكر النابلسي، وكتاب "تحرير المرأة عبر سيمون دي بوفوار وغادة السمان" للباحثة نجلاء نسيب، وكتاب "الجنس في أدب غادة السمان" لوفيق عزيزي، وفيها يعرض الباحث لإشكالية الجنس في أدب غادة السمان، كما صدر كتاب "غادة السمان رحلة في أعمالها غير الكاملة" عبد اللطيف الأرناؤوط"، وكتاب "التمرد والالتزام في أدب غادة السمان" للناقدة بولا دي كابو ترجمة نور السمان وينكل، وكتاب "جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان" للدكتورة ماجدة حمود، لقد

كان لصدور هذا الطرح النقدي الكبير عن عالم هذه الكاتبة ليوضح مدى أهمية هذا العالم الإبداعي بالنسبة للكتابة النسوية العربية على إطلاقها.

وتمثل غادة السمان مع كوليت خوري وليلى بعلبكي مثلثًا متساوي الأضلاع في الأدب النسائي – الشامي – السوري واللبناني كل ضلع من هذا المثلث يمثل حالة من حالات الإبداع النسوي المتميز والمؤثر في كتابات المرأة وكتابات عدد من المبدعين الذين ساروا على نهج هذا الثالوث، إلا أن غادة السمان بمحبرتها الذاتية وقلمها المتميز وإبداعها المتوازن بين المتخيل الذاتي والواقع المتحقق حول الشأن العربي بقضاياه المختلفة الاجتماعية والثقافية والسياسية حفرت لنفسها أخدودًا خاصًا متميزًا في الأدب العربي الحديث. كتبت في جميع المجالات الرواية والشعر والقصة والمقالة والخاطرة والسيرة الذاتية وأدب الرحلات.

ولدت غادة السمان في دمشق وكانت طفلة صغيرة عندما اشتعلت الحرب الأولى في فلسطين عام 1948، ولما اشتعلت حرب السويس عام 1956 لم تكن قد تجاوزت بعد سن المراهقة، ثم توالت الحروب في حياتها وحياة جيلها: 1967، 1973، 1975 حروب من كل نوع، وطنية وأهلية وطائفية. فكان من الطبيعي أن تصبح الحرب محورًا رئيسيًا في حياتها وأدبها. كانت غادة السمان مفاجأة شديدة الرهافة لجيلها من الكتّاب والكاتبات، حيث قدمت نموذجًا جديدًا من الإبداعي المعبّر عن الحياة العربية المحافظة وجديدها الإبداعي في الفكر المنظم.

تجهت غادة السمان في بداية عهدها بالعلم إلى الطب ومن ثم هجرته إلى الأدب وكان نتيجة لهذا التحوّل أنها وهبت نفسها للتعبير بالقلم وفي نفس الوقت التعبير عن الألم. وقد اختارت غادة السمان القصة للتعبير عن الواقع والخوف من المجهول وكانت قصتها "الأصابع المتمردة" هي البداية التي فتحت لها الأبواب في الصحف والدوريات ولفتت أنظار دور النشر إليها، وهي عندما قررت أن تهجر الطب إلى الأدب قالت: "قررت أن أبدأ من جديد.. أن أبعث الجمر الضائع في زوبعة عمر يتألف من واحد وعشرين خريفًا، وهنا أصبحت الكتابة جزءًا من وجودي والشيء الوحيد الذي يساعدني على حمل أشعة الشمس فوق كاهلي طوال النهار وحمل أكداس الظلام فوق صدري في الليل.. أدمنتها ووجدت فيها لغتي التي امتدت بها في عروق الزمان وأنسل في نسغ الحياة". (صفحات من حياتهم، محمد نصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ت ص 172) من هنا كان إبداعها مغايرًا ومختلفًا لما كانت عليه القيم الأدبية السائدة في ذلك الوقت. بدأت حياتها العملية كأستاذة محاضرة في جامعة دمشق، لكنها سرعان ما تمردت على المجتمع البرجوازي السوري، فتركت الجامعة والأسرة ورحلت إلى أوروبا في جولات مع التجارب الإنسانية والعملية، ولكنها ما لبثت أن عادت لتستقر في لبنان وتعمل في مجال الصحافة والكتابة حتى وقتنا هذا.

كتبت غادة السمان القصة القصيرة طيلة أربعة عشر عامًا حتى عام 1974 حين بدأت في كتابة روايتها الأولى "بيروت 75"، ثم أتبعتها برواية "كوابيس بيروت"، تتالت بعدها إبداعاتها المختلفة في كافة الأجناس الأدبية، وفي مجال القصة القصيرة صدرت لها مجموعات "عيناك قدري" 1962، "لا بحر في بيروت" 1963، "ليل الغرباء" 1966، "رحيل المرافئ القديمة" 1973، ثم صدرت لها مجموعة مختارات من القصة القصيرة عام 1978، كما نشرت لها جريدة الأسبوع الأدبي السورية في عددها 451 الصادر في نوفمبر 2008 ملفًا نصيًا خاصًا حوى ثلاثة وعشرين نصًا ما بين القصة وسرد شرائح قصيرة من السيرة، بعض هذه النصوص يتسم بالقصر والجدة ويحمل في طياته رؤية إما اجتماعية أو ذاتية أو سياسية. وتعد مجموعة "رحيل المرافئ القديمة" أهم مجموعات غادة السمان القصصية حيث تتضمن ست قصص قصيرة كتبت على أثر الهزيمة العربية عام 1967، عبّرت فيها الكاتبة عن آرائها بشأن هزيمة العرب عام 1967، والشرخ الذي أحدثته هذه الهزيمة في جسد الأمة العربية، كذلك تفاعلت الكاتبة مع الثورة الفلسطينية والجزائرية والنشاط الذي أحدثته المقاومة من خلال بعض قصص المجموعة، إلى جانب أحداث بارزة في العالم العربي آنئذ. وفي كتابه "الحرية في أدب المرأة" يقول عفيف فراج عن أدب غادة السمان القصصي: "إن الأصالة الفنية التي تقف وراء استمرارية غادة السمان هي أهم ما يميزها على جيلها من الكاتبات، فحين نجد أن الكاتبات ليلى بعلبكي، كوليت خوري، وليلى عسيران بدأن بأعمال قصصية وقفن معها على ذروة، ليتدحرجن مع قصتهن الثانية إلى السفح، نجد أن غادة السمان تبدأ من السفح بمجموعة "لا بحر في بيروت" لتصل بمجموعتها القصصية "ليل الغرباء" إلى ذروة فنية تتجاوزها إلى ذروة أعلى بمجموعتها القصصية الأخيرة "رحيل المرافئ القديمة"". الحرية في أدب المرأة، عفيف فراج، دار الفارابي، بيروت، 1975 ص 67). وقد شرعت غادة السمان في أول مجموعاتها القصصية وهي مجموعة "عيناك قدري" التي أهدتها إلى والدها، في تأصيل جوانب عالم المرأة من خلال الحياة والحب والعاطفة المستثارة في نسيج قصص هذه المجموعة، وقد اختارت القصة الأولى كعنوان لقصص المجموعة، وفي هذه القصة تعبر الكاتبة عن مشاعرها باعتبارها امرأة كبلها الحب وسبب لها أزمات نفسية عديدة، وهي كما تصور في نهاية النص حين تقول: "عيناك قدري، لا أستطيع أن أهرب منهما وأنا أرسمهما في كل مكان وأرى الأشياء من خلالها". "عيناك قدري.. لا أحد يهرب من قدره يا عماد" نص "عيناك قدري"، المجموعة، غادة السمان، منشورات غادة السمان، بيروت، الطبعة الخامسة، 1979 ص 20)


غادة السمان

قصة "يدعون: الشمس تشرق من إسرائيل!!"، تعد من الأعمال القصصية ذات النزعة السياسية وهو نص يضاف إلى محور إبداع المقاومة مع العدو الصهيوني في كتابات المرأة

كانت غادة السمان مفاجأة شديدة الرهافة لجيلها من الكتّاب والكاتبات، حيث قدمت نموذجًا جديدًا من الإبداعي المعبّر عن الحياة العربية المحافظة وجديدها الإبداعي في الفكر المنظم

القصة بفنيتها العالية ولغتها الكاشفة وحواريتها الدامغة، تجسد مدى تقصير وسائل الإعلام العربية في التعريف بالعرب، بلادهم وثقافتهم، بينما الآخر يهتم بهذه الناحية اهتمامًا كبيرًا، وهو ما رفدته الكاتبة في قصتها، التي تعيد إلى الأذهان بداياتها مع القصة القصيرة في أوائل السبعينيات حين أصلت رؤيتها الذاتية في تجسيد هذا الواقع المعيش

وفى مجموعتها الثانية "لا بحر في بيروت" جسدت غادة السمان واقع الحياة من خلال شخصيات بعضها نمطى وبعضها غير مألوف تعبّر فيها عن العلاقات السائدة بين الرجل والمرأة خاصة الموضوعات المتسمة بنزعة الحب والخيانة. حتى إنها تتساءل في قصة "لعنة اللحم الأسمر" عما إذا كان هناك رجل يستطيع أن يفهم مشاعر المرأة، بطريقة مباشرة وليس عن طريق العلاقات الجسدية، وهو ما أجابت عليه بعد ذلك في قصة "غجرية بلا مرفأ".

أما المجموعة الثالثة وهى مجموعة "ليل الغرباء" فهي مجموعة تشى بعنوانها حيث تجسد المتناقضات الممتلئ بها طبائع المجتمع ومفارقات الحياة بقضاياها المربكة. ولنأخذ مثلا من هذه المجموعة قصة "فزاع طيور آخر"، القصة تحكى عن قاضى يؤمن بالصدفة البحتة فقط، ولا يبحث في أمور العدالة في القضايا التي ينظرها من جوانبها الموضوعية، يعتقد أن الصدفة هي سيدة العالم والحاكمة فيه، لذا لم يكن يصدر الأحكام انطلاقًا من الحيثيات الموضوعية للقضايا، إنما كان يختلى بنفسه ليلقى بقطعة نقود في الهواء، على إحدى وجهيها كتب "مذنب"، وعلى الوجه الآخر "برئ". والصدفة فقط هي التي تقرر مصير أي متهم. تكتشف زوجته سره وتخشى سطوة عذاباته معها، ثم تكتشف أيضًا بالصدفة أنها عاقر وأن خادمتها حامل في الشهر التاسع، والقطة في البيت وضعت سبعة قطط دفعة واحدة... تتبنى الزوجة أفكار زوجها جراء المعايشة الفكرية والوجدانية، فتلقي بالقطط من النافذة، وحين يحين مخاض الولادة بالخادمة، تقرر: هل تتركها تموت أم تحضر لها الطبيب؟ وتجد نفسها وقد فهمت للمرة الأولى وجهة نظر زوجها، وها هي تمسك القطعة النقدية وترمى بها في الهواء، وتحكم الصدفة: لا طبيب. وبهدوء تترك الخادمة تموت وتغادر البيت لتذهب إلى لعب البريدج. القصة تجسد العدالة من وجهة نظر البشر الحاملين لطبيعة مستر جيكل ومستر هايد لستفينسون. الشر المسيطر على واقع الحياة هو الذى يقرر مصير البشر. هكذا كانت رؤية غادة السمان في قصة "فزاع طيور آخر". وهو ما ينسحب أيضًا على بعض قصص المجموعة. أما مجموعة "رحيل المرافئ القديمة" فقد رصدت غادة السمان فيها الهزيمة بكل سقطاتها وزلاتها، رصدت فعل الهزيمة كاملاً كما رأته وكما عايشته في أزقة وشوارع بيروت، وهو ما انسحب بشدة وبقوة على أزقة وشوارع باقي المدن العربية الأخرى "... الأرصفة مرشوشة بالناس، يتكبون الترانزستور كالبنادق المكسورة، ويمشون بتثاقل الجنود المهزومين، ينصتون إلى الأخبار وإلى أغاني أم كلثوم وبين فئة وأخرى تفوح رائحة الحشيش الذى حشوا به لفافاتهم.. الشعب الفقير الحزين المتعب، يترنح فوق الأرصفة وخلف نارجيلات المقاهي كمن أصابته ضربة في رأسه لما يصح منها بعد.. وبعد لحظات بدأت أشعر أن رائحة العفونة التي كنت أظنها تنبعث من البحر بفعل حرارة الجو قد تكون رائحتنا نحن.. نحن الناس المهزومون المقتولون دون أن ندرى. الراكضون بجثثنا في شوارع العواصم العربية والمدن والقرى..." (الحب والرعب في زمن الهزيمة، غادة السمان بلا أجنحة، د . غالى شكري، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1990 ص 67)، كان واقع الهزيمة هو الحاضر في هذه المجموعة، عبّرت عنه الكاتبة بثلاث نصوص جسدن الفعل الكبير الحادث على المستوى النفسي والقومي.

وفى قصتها "يدعّون: الشمس تشرق من إسرائيل" وهى القصة موضوع القراءة، تسرد الراوية وهي فتاة سورية صغيرة في رحلة مع مجموعة من الطالبات والطلاب من جنسيات مختلفة اجتمعوا في إحدى بيوت الطالبات في كوخ على تل من الثلج بمدينة زيورخ بسويسرا. كان الهدف من الرحلة هو مراوحة النفس والسياحة والتعرف على العالم مع هذه الكوكبة الفاتنة من الأصدقاء. هاجس الراوية يتحلّق حول المتعة بكافة مظاهر الطبيعة الخلابة في هذه المنطقة والاندماج مع هذه الصحبة من الأصدقاء والابتعاد عن تأزمات واقع، كما كان الهدف منها أيضًا نوع خاص من سياحة الشباب في هذه المنطقة الخلابة من العالم. تشير الكاتبة في صدر قصتها وهى تقول على لسان الرواية الساردة وهى من بلدة في سوريا تقول الفتاة في تفاؤلها المشرق ": منذ يوم رحلتي الأول قررت: لن تقع عيناي إلا على الجميل والمبهج.. سأتحدث عن شروق الشمس وأترك لسواي مشاهدة الغروب.. سأرسم نصف الكأس الملآن بالماء وأتجنب الحديث عن النصف الباقي الفارغ.. ففي وطني العربي يعتب الجميع على كتّاب جيلنا:

«لماذا كل هذا التشاؤم؟!.. ضياعكم مستورد! حزنكم غير أصيل! بلادنا لم تتعرض لويلات الحروب العالمية! نحن بخير.. نريد أدبًا أصيلاً.. نريد كلمات بيضاء فعلاً، لا من باب التسمية بأسماء الأضداد». لكنها عندما سمعت كلمة "إسرائيل" في حوار مع إحدى الصديقات بطريق الصدفة البحتة، فكأنما هو بركان انفجر فجأة. بدأ الحوار مع فتاة انجليزية مشربة ببياض الثلج تدعى باميلا: "سألتني بفضول وهى تتأمل شعرى الأسود وبشرتي الداكنة وارتعادي المستمر من برد الجو:

– وأنت، من أين جئت؟

– من بلاد دافئة دائمًا.. مشمسة وجميلة..

– ما اسمها؟

– سورية.

وقلبت شفتيها بجهل وسألت: أين؟

– لبنان.. سورية.. ألم تسمعي بهما؟..

– قالت: لا!..

– على شاطئ البحر المتوسط.. شواطئ دافئة، مراعيها قلما تعرف الثلج.

أجابت وقد أضاءت عيناها: تعنى إسرائيل!!..

تحكى الفتاة الإنجليزية عن تجربة لها في رحلة سياحية مماثلة إلى إسرائيل مع بعض الأصدقاء رافقها فيها صديق مجري، وكانت بأجور شبه رمزية تشارك إسرائيل في تمويلها. تعرفت الفتاة الإنجليزية في هذه الزيارة على كل شيء في إسرائيل، عن يافا وحيفا وأديبهم عجنون الذى سبق وأن فاز بجائزة نوبل بعد أن أهدوها كتبه. هي لا تعرف شيئًا عن الأديب الإنجليزي العظيم ريتشاردسون مواطنها الأصيل، ولا عن الكاتب الفلسطيني الكبير غسان كنفاني، ولا عن حنا مينه، وغادة السمان. وتعود الراوية مع أخيها إلى مكان المبيت لتشاهد مسلسلاً تليفزيونيًا عن أرسين لوبين وهو يواجه أعداءه (إنهم من العرب). عشرات الأحداث ترويها الراوية منهم أسماء أبطال عرب يتحدثون عنهم كأنهم قراصنة. ": إن سوء الفهم لبلادنا عار سوف يلطخ التاريخ الإنساني أعوامًا طويلة.. وإذا كانت ألمانيا الحديثة تدفع ثمن اضطهاد النازية لليهود حتى اليوم (للأسف شحنات من الأسلحة لإسرائيل) فلا أدرى كيف يدفع العالم الحر ثم اضطهاده المقصود وغير المقصود للعرب، لقد بدأ جيلهم يصدق كذبة إسرائيل الكبرى وجيلنا الجديد لم يع بعد معنى هذه الصدمة وتأثيرها حتى على أصغر زوايا حياته وتصرفاته..". (قصة "يدعّون أن الشمس تشرق من إسرائيل، غادة السمان، الموقف الأدبي، دمشق، ع 451، نوفمبر 2008ص264) تسرد الراوية في نهاية النص اعتذار أحد الأصدقاء الإنجليز عن سوء الفهم لما تذيعه وسائل الأعلام في أوربا لكنها هكذا دائمًا في هذا الأعلام المضلل والمضلل تتناول شعوب أخرى عدة بنفس الكيفية الصينيين واليابانيين والجنس الأصفر كله تتعامل معه إعلاميًا كما تتعامل مع العرب بهذا الأسلوب. لكنه أغفل شيئًا ذكرته له، وترد عليه الساردة: لماذا لا يذيعون قصة تاجر البندقية وهى من روائع شكسبير ومضمونها هو الحقيقة الكاملة عن هذا الكيان المزعوم "إسرائيل".

القصة بفنيتها العالية ولغتها الكاشفة وحواريتها الدامغة، تجسد مدى تقصير وسائل الإعلام العربية في التعريف بالعرب، بلادهم وثقافتهم، بينما الأخر يهتم بهذه الناحية اهتمامًا كبيرًا، وهو ما رفدته الكاتبة في قصتها، التي تعيد إلى الأذهان بداياتها مع القصة القصيرة في أوائل السبعينيات حين أصلت رؤيتها الذاتية في تجسيد هذا الواقع المعيش، فقد كانت القصة القصيرة عند غادة السمان حالة من حالات تجسيد بؤرة من بؤر أزمات الواقع المعيش المعاصر في تفاعله مع أزمة الإنسان العربي في مراحل التحول المختلفة، كثيرًا ما نجد في هذا الإبداع قضايا إنسانية وثقافية وسياسية تعكف الكاتبة على تجسيده والتعبير عنه بامتياز واقتدار.

قصة قصيرة

المشي خلف حارس المعبد

محمد الكامل بن زيد

بسكرة - الجزائر

انتظروا مليًا ساعة الحسم بقلوب واجفة..مثلما توقع الجميع..فرحلته الأخيرة خارج المعبد لن تدوم أكثر من المعهود..حدس غريب ظلّ يساورهم مدة غيابه حتى شل تفكيرهم..حدس يفضي إلى أن شيئًا مريبًا.. رهيبا.. سيزلزلهم.. وقد كانوا على حق.. يومان لا أكثر ولا أقل.. عاد مسرعًا آمرًا أهله أن يدثروه أن يزملوه.. بهتوا من حالته المرعبة ولم يقدروا على الحديث معه.. فقد ظل طوال الليل يهتف ويهاتف أشياء فوق التصور.. فهذا الذي ظل يحرس معبدهم منذ سنين وسنين حتى أحيطت به الهالة العظيمة.. وكاد أن يدرك النبوءة.. عاد مسرعًا من سفره.. زاده الأخير الارتجاف والهذيان.. وبين أحضان الأحبة فيها الكثير من السراب الذي لا يسد الظمأ ولا يخفي الحقيقة الثكلى المتجلية للعيان.. الصغير قبل الكبير.. الأعمى قبل البصير..

حركات مريبة أوجس الجميع منها خيفة.. بدأت تتحرك في مختلف الاتجاهات الممكنة وغير الممكنة.. سقط القناع عن القناع.. وانتفضت الأحلام المؤجلة بعد أن سئمت الصبر والانتظار.. فقد أوهنها الظل القاتر بين ثنايا شقوق الجدران..أرادت ركوب أمواج البحر العاتية المحيطة بالمعبد..إصرارها شديد وعنيف لم يخطر على بال أحد ولم يكن قط في الحسبان..إذ تجرأت على قرع الأجراس المعلقة فوق الأبواب الموصدة مع تعاظم أصواتها..حتى هو حين أفاق من غيبوبته وحملق في وجوههم، وجوه قديمة..رثة..زاغت عيناه ولم ينبس ببنت شفة بل تسمر في مكانه وألقى بنظره إلى الأفق البعيد.. هناك إلى سقف المعبد حيث المنارة الشاهقة..تلك المنارة العتيدة؟ ! تساءل في قرارة نفسه.. هل من الممكن أنه أخطأ التقدير؟!..وأن ضوءها كان يخدعه طوال هذه السنين؟!..

الأسئلة الموجعة أخذت تعنف هواجسه بكثير من القسوة المبالغ فيها حتى أوشكت أن تجعله يخمن كيف يلف حبلاً حول عنقه..

لم يجد بُدًا من الصعود إليها.. ولم يجد بدًا من أن يضرب بقبضة يده على زجاجها..إذ تبين له أن المصباح عتيد وعتيد جدًا.. وكيف أنه لم ينتبه أو بالأحرى كيف لم يخبره من ولاه أمرها بحقيقتها..سأل عنه فجاءه الرد سريعًا.. مات منتحرًا.. ربما أدرك ما أدركه فلم يقدر على البوح فآثر الكتمان الأبدي.. آثر الرحيل بطريقته.. مات منذ عشرين عامًا.. عشرون عامًا.. الأيام تمضي كلمح البصر.. لم يفقه كيف برق في ذهنه أن يتلمس كفَّ يده وخده وشعره..التجاعيد قطعت حبل الوصال بينه وبين الشعر الأبيض..حتى المرآة..أيقن أنها فعلت فعلتها..ظلت تصور له كل صباح عالمًا غارقًا في الأوهام..

أعاد البصر مرتين حيث السماء السابعة..ما تبقى له يعيقه عن النزول مرة أخرى إلى الأسفل..إنه يرفض ابتلاع الحقيقة المُرَّة..هل انتهى الحلم؟!..هل آن الأوان لأن يكون للمعبد حارس آخر..غيره..مستحيل لا يمكن أن يحدث هذا..أما الأحلام المؤجلة التي يراها الجميع سقمًا وسخطًا لا مثيل له يعلوها..أراها أنا سحابة صيف عابرة لا أكثر ولا أقل.. فهي لا تفقه شيئًا ولا يمكن لها أن تدركه..الموقف أكبر مما تتصور..فالسماء لم تعد هي السماء التي ندعوها..والأرض ما عادت هي الأرض التي نرجوها..والبحر ما عاد ذاك البحر الذي نحلم به..بحر انقسم إلى بحرين..هذا بحر ميت وهذا بحر أسود.. انتابته هلوسة مريعة..عصفت به..تمنى لو أن الوقت توقف منذ عشرين عامًا.. إنه يشعر بغثيان.. يتكئ على شقوق الجدران.. حرارة متوهجة تتغلغل داخل صدره..يتحسسها..ألم قاتل ينخره..وصرة قاتمة تأتيه من الأسفل حيث الأحلام المؤجلة.. بالكاد تبينها.. شيئًا فشيئًا بدأت تتضح ومعها تزداد عيناه جحوظًا.. عجوز في أرذل العمر تتصدر الجموع حاملة بندقية قديمة..رثة.. تبكي بفزع وحرقة..لم يستطع جسده أن يقاوم أكثر.. بدأ يتمايل كريشة في مهب الريح أو كشمعة بدأت تأكل فتيلها..ومعه شيدت العتمة أسوارها..مستجدية:

- أنت يا أمي..أنت



حوار مع جيرار جنيت

أجراه: جون بيي

تقديم:

جيرار جنيت 1930 (Gérard Genette) احد اقطاب " النقد الادبي " و" الشعرية " في فرنسا .انخرط في تيار النقد الجديد . عرف با شتغاله منذ الستينيات على الأجناس الفنية والشفرات الأدبية. استاذ مبرز في الآداب. عمل جيرار جنيت بالموازاة كمدير سابق للأبحاث في المدرسة العليا للدراسات في العلوم الاجتماعية، مديرا لسلسلة Poétique الشعرية بدار النشر سوي Seuil. الف مجموعة من الكتب في سلسلة Poétique. والجمالية وعلم السرد اعتبر خلال سنوات السبعينيات والثمانينيات احد ابرز الممثلين لنظرية الأشكال الأدبية، وفيما بعد اخذت اعماله وجهة اخرى نحو الجمالية الفلسفية وانطولوجيا العمل الفني .

من بين كتبه: 2004 /Métalepse, de la figure à la fiction, Seuil من الصورة البلاغية إلى التخييل.

يمثل هذا الكتاب تاملاً في إجراء بلاغي كان قد الحقه المؤلف بالنظرية السردية، مع اكتشاف تمظهراته في اشكال التصوير الفني الأخرى غير الحكي récit. يوظف هذا المفهوم في الحقل البلاغي بمعنى ان نفهم شيئا بشيء آخر يليه، او يصاحبه. وكما يحددها اوليفيي روبول كصورة بلاغية تقتضي تعويض اسم الشيء او الشخص بسلسلة من الكنايات .يعرف جيرار جنيت الميطاليبس في كتابه "خطاب الحكي" بقوله: «كل تدخل من السارد او المسرود له الغير متشخص في الحكي في العالم الحكائي) او تدخل شخصيات حكائية في عالم ميطاحكائي ، الخ. (او العكس».



ترجمة : سعيد بن الهاني - المغرب

باحث ومترجم

■ جوني بيي John Pier: لا يختلف إثنان في كون الدراسات السردية قد تحولت بطريقة عميقة من طرف سردانية سنوات 60 و70 الستينيات والسبعينيات، بل إنه حتى لو لم تتوقف المفاهيم والتقنيات التحليلية عن التطور بطريقة متنوعة جدا، تبقى الأذهان موسومة بفكرة سردانية جدا كون الحكي récit بشكل نسقًا. نجد من بين مواضيع البحث بلورة مناهج تسمح بإبراز النسق السردي، ألا يوجد باحث أدبي لم يتساءل في السنوات الأخيرة، ولو بطريقة عابرة عن العلاقات بين الصوت والمستوى السردي؟ بين الصوت والتبئير؟ وعن بنية الحبكة؟ على الأقل. يثير الفضول ملاحظة-و ضدا على وضعية التفعير مثلاً- وجود Métalepse الميطاليبس المفهوم الذي أدخلتموه في حقل النظرية السردية منذ أكثر من ثلاثين عامًا، و هو مفهوم وضع على هامش انشغالات السردانيين. هل يتعلق الأمر بنسيان ما؟ هل سيكون Métalepse الميطاليبس مجرد تفصيل أسلوبي؟ أو أنه يطرح إشكالية بالنسبة للبحث السردي؟ كيف تفسرون الانبثاق الحالي نسبيا للاهتمام بالميطاليبس ؟

■ جيرار جنيت Gérard Genette: أعتقد أن الميطاليبس نفسه فعلاً هامشيًا (تقريبا كما تقولون "مجرد تفصيل أسلوبي" أوشيئًا آخر) داخل حقل المما رسات السردية وبشكل اكثر عمومية في ممارسات التصوير الفني.: إنه يشتغل أولاً كخرق لعبي (بين الصورة والتخييل حيث يوجد اللعب) ، وهو شيء لايوجد في نفس درجة التفعير، وبشكل أقل أيضًا مجرد تصوير من الدرجة الثانية" متضمن" حتى ولو قامت هذه الممارسات بمنح معظم فرص الميطاليبس: لكي تخترق بشكل لعبي درجة ما، يجب حتما فرض درجة معينة. يعد الميطاليبس ممارسة وفي نفس الوقت خاصة جدًا في إجراءها (أو في سيرورتها العفوية) ، وتقريبًا كونية في حقل تجليها، بسبب أن التصوير هو نفسه فعلاً كونيًا، يتجاوز بشكل واسع حقل التصوير السردي، بل حتى التصوير الفني: يمكن للإستيهام fantasme الأكثر سذاجة أن يكون فرصة لميطاليبس محدد في طور الإنجاز.

من جهتي وجدت أولاً الميطاليبس في الحقل السردي،فقد كان بشكل نسقًا مع صور أخرى سردية (ارتجاع، استباق إلخ) ، وقفت عند هذه النقطة في كتابي خطاب الحكي discours du récit لضرورة منهجية، لكنني كنت أرى حقل تجليه واسع جدًا وهو السبب الذي دفعني ثلاثين سنة بعد ذلك إلى العودة إليه بإيجاز وبغير نظام، بتوسيع أفقي، أشك في أن "انبثاق الاهتمام" الذي تلا حظونه عمومًا يستمد وجوده من جهة من سبب التضعيف المتأخر نسبيًا لوقائع الميطاليبس خارج الحقل السردي وحتى الحقل الأدبي فضلاً عن الحقل السينماتوغرافي. ولكي أوضحه بطريقة كاريكاتورية أقول عفويًا بأن المسؤول عن هذا الانبثاق يسمى وودي الانwoody allen: ليس مستغربًا أن يستيقظ التخصص العلمي من طمأنينته بحافز خارجي ، وإن كان ذي طبيعة إثارية ذكية.

■ جوني بيي John Pier: اقترحتم في كتابكم خطاب الحكي معالجة الحكي ك "توسيع للفعل" واعتبار الملفوظات من نوع مثلاً "مارسيل أصبح كاتبًا" كحكي أدنى: لكن في كتابك الميطاليبس نقرأ ما يلي "تعتبر الصورة جنينًا أو إذا فضلنا الخطوط الرئيسة للتخيل" (ص17) أما بالنسبة للذين يعرفون أعمالك، فإن هذا التطور لا يفتقر إلى الانسجام. ولكننا نتساءل. ما الذي دفعكم إلى تبني هذا التصور الجديد وما هي المراحل التي مر بها هذا التطور. سيكون من المهم، معرفة- مع الأخذ بعين الاعتبار المفهوم "التصويري" figurale للحكي- ما إذا كانت فكرة الحكي الأدنى مازالت سارية المفعول أو إعادة التفكير فيها من زاوية سياق آخر.

■ جيرار جنيت Gérard Genette :إن مفهوم "الحكي الأدنى" هو فعلاً ذو طبيعة سردانية ما دام هذا التخصص العلمي الذي نعرفه طبعًا منذ بروب" ينطبق على كل أنواع المحكيات récit ومن ضمنها المحكيات الأكثر أساسية والاهتمام كذلك بالطريقة التي يمكن أن يتوسع بها المحكي الآتي (القطة تأكل الفأر) بواسطة امتدادات ووسائط، و اسهامات..إلخ على عكس ملخص "مارسيل أصبح كاتبًا" الحكي معقد جدًا و(موسع) أو إذا تمكنًا من وصف الصورة كجنين لتخييل ما. إنها مفهوم ما من طبيعة أخرى. فالأمر يتعلق بنظرية المتخيل. فاستعارة "أخيل أسد" حرفيًا تعني تخييلاً صغيرًا إنني لست على استعداد كي أقفز" بدون أخذ الحيطة من المفهوم الأول إلى الثاني. ولا أعرف بعد ماذا يمكن أن يعني المفهوم "التصويري" للحكي.

■ جوني بيي John Pier: من بين المرتكزات الجوهرية لعلم السرد، -وبعد ذلك من الاستحقاقات الكبرى لكتابك "خطاب الحكي- تظهر تقنيات الوصف التي تجعل الحكي قابلاً للتحقق حيث تسمح بتجنب عقبات التأويلات الذاتية أو الإيديولوجية لكن منذ أول تدخلكم بخصوص الميطالبس فقد ربطتم هذه الصورة بالفانطاستيك وبما هو عجائبي، فهما ليستا خاصيتان نصيتان موضوعيتان أما في كتابكم خطاب جديد للحكي Nouveau discours du récit فإنكم تقترحون بأن الميطاليبس: "يشتغل كصورة للخيال المبدع" (p59) ففي عملكم الحالي تذهبون بعيدًا أيضًا بتأكيدكم بأن métalepse يشوش على "التوقف الإرادي لانعدام اليقين (p23) كي ينتج "تصنعًا لعبيًا لسرعة التصديق" p25 بالنسبة لكم، يبدو أن التشديد يقع منذ الآن على آثار الخطاب السردي، وليس على خواصه الوصفية وتصنيفها. نتساءل ما إذا كان هذا التطور لم يغير رهانات علم السرد، أو أيضًا ما إذا كانت الأرباح بشكل ما تصبح خسارات من نوع ما......

■ جيرار جنيت Gérard Genette: يبدو لي أنني قد أجبت عن هذا السؤال. فالتخيل المبدع هو تخيل المتلقي و هما فعلاً أثرين يشكلان أولاً عالمين محركين للخطاب السردي ، وبالخصوص الخطاب التخييلي. وكذلك الأمر بالنسبة للممارسات التصويرية الأخرى. لا تبدو طبيعة الإهتمام بهذه الأسباب والآثار قد تدفع إلى تغيير رهانات السردانية بل بالأحرى الإهتمام برهانات (من بين الرهانات الأخرى) الحكي نفسه. لا تكمن مهمة الحكي بالضرورة تغذية الأنشطة الوصفية أو التحليلية أو التصنيفية للسردانية، ولكن بتحفيز خيال متلقيه، وآثار الميطاليبس المحفزة بالخصوص للمظاهر اللعبية والعجائبية لهذا المتخيل.

■ جوني بيي John Pier: لقد دافعتم أكثر من مرة لصالح فكرة السردانية المقيَّدة، مؤكدين على أن الحقل الخاص بعلم السرد هو الحكي (récit) المكتوب أو الشفوي نتاج فعل السرد وأن امتداد المقولات السردية إلى السينما والمسرح مثلاً، يتناقض مع خصوصية ما هو سردي. من جهة أخرى، لقد أدخلتم الميطاليبس في السردانية بواسطة "ميطاليبس المؤلف" كنتاج لتأملاتكم لـ Dumarsais و Fontanier . ومع ذلك وفي كتابكم الأخير فقد أبرزتم عدت تمظهرات للميطاليبس في السينما والمسرح فبرهنتم على أن الميطاليبس عرفت صيغا معينة تجاوزت خصوصية الحكي. هل يمكن أن تستنتج أن الميطالبس ستفتح الطريق إلى سردانية أخرى وإلى سردانية مقارنة مثلاً، أو أنها ستثير أسئلة حول الإمكانات والقيود المتعلقة بمختلف أشكال التصاوير الفنية.

■ جيرار جنيت Gérard Genette: عندما تحدثت عن "السردانية المقيدة"narratologie restreinte كان يدور في رأسي قلق استخلاص وعزل مفهوم "خالص" نسبيًا للحكي اللفظي (الشفوي أو المكتوب)، وفي غالب الأحيان ذلك المتعلق بالحكي الأدبي (حتى ولو أن الفرق الماهوي يبين ما يقوم أو ما لا يقوم على الأدب لم يكن في مركز كلامي وبسبب...)، بل أيضًا حتى الحكي التخييلي لكي أحمي هذا الموضوع من كل خلط مع محكيات أخرى. إذا أضفتم إلى ذلك أنني لم أنشغل في أغلب الأحيان إلا بالبنيات الشكلية (و يظهرذلك من خلال عنوان كتابي خطاب الحكي) وتركت جانبًا البنيات الطيماتية التي درسها بروب والذين جاءوا من بعده) من بين البنيات التي تحدثت عنها يبدو أنها لم تكن ذات خصوصية فيما يتعلق بعرضها السردي كما أظهرت ذلك دراسات Souriau سوريو حول الطيماتية الدرامية، وكذلك مثيلاتها في الطيمات الفيلمية (، سينتج عن ذلك أربعة تحديدات لحقول مندمجة بعضها في بعض، يكون فيها الحافز ذي طبيعة منهاجية. ولكن لا يعني تخلينا عن موضوع واحد أو أكثر أو وضعه بين قوسين أننا نشك في وجوده أو أنه غير ملائم . لا أعرف طبعًا إن كانت الدراسة الضرورية التي تركها كتابي المحدد "خطاب الحكي" لدارسين آخرين فرصة تبرير استعمال مصطلح "علم السرد المقارن" فالمقارنة شيء ضروري. لكن لا أعتقد أنه يجب البحث عن طريق السردانية المعممة narratologie généralisée إنني أَحْذَرُ كثيرًا من هذه النزعة الإمبريالية بل ببساطة من النزعة المقاومة للتخصص العلمي وأفضل التعايش السلمي إن أمكن بين عدة تخصصات علمية (مثلاً، قريبة لكنها مختلفة عن تخصصاتنا، علم الدراما dramatologie أو علم السينما filmologie).

■ جوني بيي John Pier : يبدو لي منذ عهد قريب أن العصر الذهبي للسردانية قد أصبح شيئًا من الماضي، وأن النظرية والنقد الأدبيين اتخذتا لهما طريقًا آخر للسير فيه. ومع ذلك، نشهد منذ مدة زمنية على تجدد الأبحاث التي يقال عنها "سردانية" و التي لم ترث لا البنيوية ولا ما بعد البنيوية، لكنها موزعة على أسس وأهداف مختلفة، وأحيانًا متنوعة جدًا. هل يوجد بين سردانية الأصول وأبحاث اليوم روابط للاستمرارية؟ هل سيكون التفكير في الميطاليبس مثلاً من بين أمثلة أخرى تضيء الطريق للسؤال في اتجاه المستقبل؟

■ جيرار جنيت Gérard Genette : لا أعرف ما إذا كانت السردانية قدعرفت "عصرا ذهبيا" (وهو مفهوم ارجاعي دائمًا ووهمي بشكل كبير) أعتقد أنه مازالت هناك مواد دسمة كي تشغل اهتمام الباحثين. لكن اليوم ودائمًا اعتبر نفسي جاهلاً هذه الأعمال لكي أحاول إنجاز فرضية حول علاقة الاستمرارية أوعدم إنجازها بين مختلف المراحل. ما يبدو لي شيئًا أكيدًا، أن النقد والنظرية الأدبيين كان لهما دائمًا طرقًا أخرى يسلكانها غير تلك التي يسلكها تحليل الحكي، وأتذكر أنني تبعت إحداها وبعد لقائي (الدقيق وغير المتوقع تقريبًا) بالموضوع السردي: لم يكن حقل عملي هو السردانية الوحيدة لكن الشعرية بوجه عام، وبل أكثر عمومًا نظرية الفن بل أكثر من ذلك أيضًا الجمالية l esthétique. لا أزعم أنني مثال يحتذى. لكنني أعتقد أن تخصص علميا عليه أن يحافظ مع ذلك على الانغلاق أكثر في موضوعه الخصوصي أكثر من الرغبة في الالتحاق بالآخرين (أن يكون ملحقًا). أما بخصوص التأمل حول الميطاليبس لا أعتقد أنه يجب تحميله وظائف يمكن أن يهشمه ثقلها: فضلاً عن ذلك فالميطاليبس هو استثناء مُسَلٍّ يجب الحرص على تشييده بسرعة في شكل إبدال. إنها لعبة جذابة لكنها مجرد لعبة.

http://www.vox-poetica.com/entretiens/genettte.html

كتاب "جوهرة العالم:

كيف أنشأ المسلمون والمسيحيون واليهود حضارة التسامح في إسبانيا العصور الوسطى"

بقلم: جين لامبمان Jane Lampman



ترجمة: عمر عثمان جبق

محاضر في قسم اللغة الإنجليزية بكلية المعلمين في جامعة الملك سعود - الرياض

الكتاب: "جوهرة العالم: كيف أنشأ المسلمون والمسيحيون واليهود حضارة التسامح في إسبانيا العصور الوسطى"

المؤلف: ماريا روزا مينوكال

كان يا ما كان في قديم الزمان في مكان ما من هذا العالم المعمور كان هناك مسلمون ويهود ومسيحيون عاشوا مع بعضهم البعض وشكّلوا حضارة استثنائية تنبض بالحياة. قد تبدو هذه القصة إحدى الحكايات الخرافية بالنسبة للأوقات المضطربة التي نعيشها حاليًا. وما يزيد هذه القصة إثارة وغرابة هو أنها قصة حقيقية تعجّ بالشخصيات البارزة والدروس التي تدعو للتأمل في زماننا هذا، بالإضافة إلى الإنجازات الفريدة والعثرات أيضًا.

يصف كتاب (جوهرة العالم) حقبة زمنية في اسبانيا العصور الوسطى امتدت من عام 750 حتى عام 1492 م، حيث تصادمت الديانات الثلاث الموحدة وتمازجت، وأنتجت ثقافة متسامحة وغنية، وبذلك يكون هذا الكتاب قد أعاد للحياة زمانًا ومكانًا تجاهله التاريخ الغربي تجاهلاً كبيرًا.

وكانت اللغة العربية اللغة السائدة آنذاك، وشغل المسيحيون واليهود مناصب مرموقة ورفيعة في الحكومة والمجتمع المسلم، وكان ازدهار الفن والفلسفة والعلوم شيئًا عظيمًا جدًا بحيث أن المسيحيين في شمال أوروبا كانوا يعتبرون الأندلس مركز القارة الأوروبية الفكري، ولقد أعادت الأندلس تشكيل تاريخ أوروبا رأسًا على عقب من خلال مكتباتها الرائعة وثقافة الترجمة التي كانت رائجة آنذاك؛ مما ساعد على إنهاء حقبة عصور الظلام في أوروبا.

إلا أن قوى التطهير الثقافي والتعصب الديني التي جاء بها مسلمو شمال إفريقيا ومسيحيو شمال أوروبا أدت إلى تدمير هذا العالم المزدهر والنابض بالحياة تدميرًا مأساويًا.

تحكي لنا الكاتبة ماريا روزا مينوكال Maria Rosa Menocal وهي أستاذة جامعية مختصة باللغتين الإسبانية والبرتغالية في جامعة يال Yale University هذه القصة المثيرة من خلال سلسلة من الصور الموجزة التي تستحضر المراحل الثقافية المختلفة لفترة زمنية امتدت حوالي 700 سنة، وتقدم لنا أعلامًا فكرية مؤثرة من هذه الديانات الثلاث.

والشخصية الأساسية جدًا في قصتها هذه تتمثل في أمير شاب مسلم ينحدر من سلالة بني أمية التي حكمت الإمبراطورية الإسلامية في القرن الثامن الميلادي، هذا الأمير هو عبد الرحمن الداخل الذي فرّ من موطنه دمشق إلى شمال إفريقيا وصولاً إلى مياه قرطبة في شبه الجزيرة الإيبيرية، بعدما قتلت إحدى القبائل المنافسة عائلته كلها في عام 720 م، وهناك ولدت حضارة جديدة بفضل رؤيته الثاقبة وقيادته الحكيمة، وكانت رحلته الشاقة وحنينه لوطنه الأم واضحًا من خلال حياته، فقد عبر عن مشاعر

الغربة والمنفى هذه في أبيات شعر أنشدها إذ يقول فيها مخاطبًا إحدى أشجار النخيل:

تبدَّتْ لنا وسط الرُّصافة نخلةٌ
تناءتْ بأرض الغربِ عن بلدِ النخلِ

فقلت شبيهي في التغرب والنوى
وطول التنائي عن بنيَّ وعن أهلي

نشأتِ بأرض أنت فيها غريبة
فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

وتقول الكاتبة مينوكال: «عرّف الأمويون الذين خرجوا من الصحراء العربية نظيفين نقيين مفهومهم للإسلام كدين أحب حواراته مع العادات الأخرى». وتابع قائلة: «كان هذا إنجازًا بارزًا جدًا بحيث اتهم المؤرخون المسلمون اللاحقون الأمويين بأنهم أقل إسلامًا بسبب ذلك المفهوم».

وتعزو الكاتبة هذا التعقيد إلى المحافظة الدائمة داخل الخيال العربي على الإسلام والحب الشديد للغة والشعر الذي كان جزءًا لا يتجزأ من التقاليد العربية قبل الإسلام.

كان معظم اليهود والمسيحيين الذين يعيشون في أيبيريا معرّبين اعتنقوا اللغة العربية والثقافة التي أنشأتها تلك اللغة. إلا أن المسلمين العرب لم يطلبوا إليهم التخلي عن معتقداتهم الدينية؛ مع أن بعضهم فعل ذلك. ولقد تحسنت مكانة اليهود الذين قادوا «حياة مأساوية في ظل القوطيين» تحسنًا كبيرًا؛ واعتلى الكثير منهم مناصب رفيعة. فكان هناك على سبيل المثال هاسداي ابن شابروت أحد الوزراء اليهود الكبار لقرطبة في منتصف القرن العاشر الميلادي؛ وكان يدير العلاقات الخارجية للخليفة.

كان الكاتب الساكسوني هروسيوزا Hroswitha في القرن العشرين هو من أطلق اسم (جوهرة العالم) على مدينة قرطبة التي كانت مدينة غنية بآلاف المحلات والمساجد والحدائق والقصور والمياه الجارية والشوارع المرصوفة والمضاءة. فقد كانت مكتبة الخليفة (وهي مكتبة من أصل سبعين مكتبة في المدينة) "تضم 400000 مجلدًا في الوقت الذي لم تكن أضخم مكتبة في أوروبا المسيحية تضم أكثر من 400 مخطوطًا".

فمن الأندلس جاءت الحكايات التي أنتجت شكلاً جديدًا من الأدب في أوروبا والأغاني التي ألهمت الشعراء المغنيين الفرنسيين والعجائب العمرانية للعالم كلّه. كما و زودت الأندلس أوروبا بالترجمات اللاتينية لأعمال الإغريق بمن فيهم الفيلسوف أرسطو.

وكانت الطريقة التي تجاوز المجتمع من خلالها الخلافات الدينية وتقبل ذاك التعقيد حتى خلال فترات الاضطرابات السياسية طريقة تحررية ملهمة. انتهى الحكم الأموي عام 1013 عندما فتحت الجيوش البربرية القادمة من شمال إفريقيا قرطبة وانقسمت الأندلس إلى عشرات الدويلات. إلا أن الحياة الثقافية متعددة الأوجه ازدهرت لحوالي 450 سنة أخرى.

وتوضح لنا الكاتبة أن تلك الحقبة لم تكن خالية من العنف والاضطهاد – فقد كانت هناك مجازر وشهداء. حتى أن مفهوم البرابرة للإسلام تسبب في خلافات وصراعات بين المسلمين أنفسهم. كما وتسببت عقلية "الحروب الصليبية" المسيحية القادمة من أوروبا في حروب بدأت في القرن الثالث عشر "لإعادة فتح" شبه الجزيرة الإيبيرية.

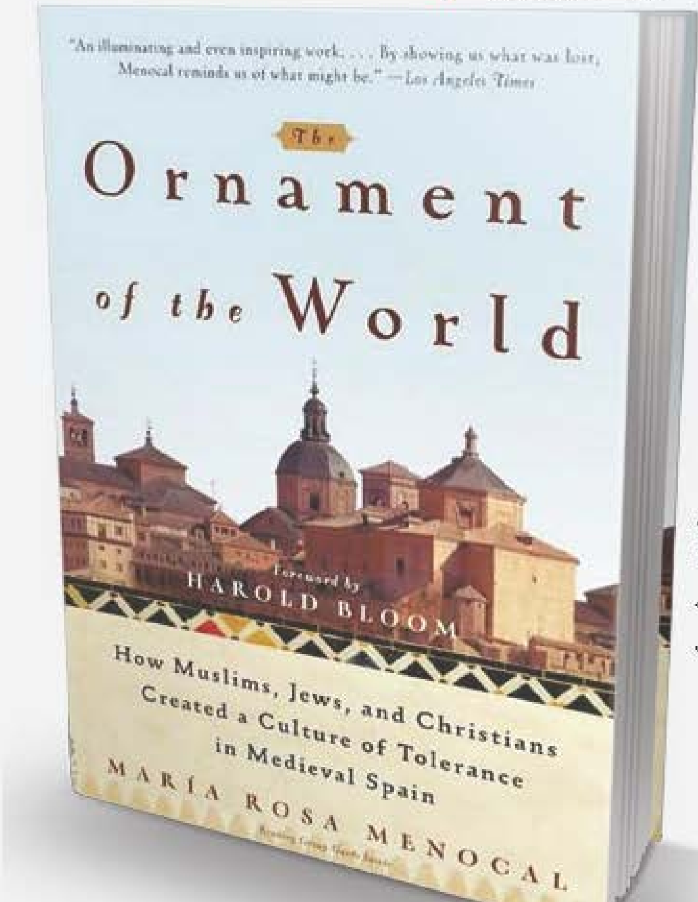
ويعدّ ضريح ملك صقلية المسيحي فرديناند الثالث المتوفى عام 1252 م رمزًا للثقافة الأندلسية. وتغطي هذا الضريح نقوش مكتوبة باللغة العربية واللاتينية والعبرية والإسبانية. وكذلك الأمر بالنسبة للكنيست اليهودي في مدينة طليطلة الذي يمتاز بالنقوش المحفورة باللغة العربية والعبرية.

وتتساءل الكاتبة الأستاذة مينوكال عما قد يكون قد حدث لو كان فرديناند و إيزابيلا رفضا الضغوط من الكنيسة بعد فتح غرناطة آخر مدينة يحكمها المسلمون في عام 1492. و اختارا عدم اتخاذ الخطوة النهائية في طرد كل المسلمين واليهود الذين رفضوا اعتناق المسيحية. ومن ثم أعطيا المحكمة الكاثوليكية الرومانية صلاحيات مطلقة. extreme

بصدور كتاب (جوهرة العالم) نطاقًا واسعًا من تلك الحضارة الغريبة يمتد من الشعر إلى الانجازات العلمية والاجتماعية. ويرغب المرء أحيانًا بالتوقف والتأمل مليًا بالحياة اليومية والأشخاص الاستثنائيين الذين شكلوا ذلك المجتمع الفريد. ويأتي هذا الكتاب الرائع والطموح في وقت مبشر بالخير ليعيد لنا تاريخًا ضائعًا تتناغم عبره ودروسه تناغمًا كبيرًا مع الخيارات الواجب اتخاذها اليوم.

«كان معظم اليهود والمسيحيين الذين يعيشون في أيبيريا معرّبين اعتنقوا اللغة العربية والثقافة التي أنشأتها تلك اللغة. إلا أن المسلمين العرب لم يطلبوا إليهم التخلي عن معتقداتهم الدينية؛ مع أن بعضهم فعل ذلك».

«كان الكاتب الساكسوني هروسيوزا Hroswitha في القرن العشرين هو من أطلق اسم (جوهرة العالم) على مدينة قرطبة التي كانت مدينة غنية بآلاف المحلات والمساجد والحدائق والقصور والمياه الجارية والشوارع المرصوفة والمضاءة».



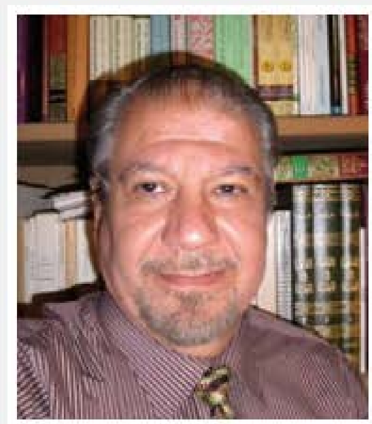
مصدر المراجعة باللغة الإنجليزية:

http://www.csmonitor.com/2002/0725/p15s02-bogn.html

جذور ثقافة الكراهية:

«التشيع العربي والتشيع الفارسي»

لنبيل الحيدري



البروفيسور: مهند الفلوجي

أستاذ الجراحة والمشرف على:

معهد تاريخ الطب والعلوم

عند العرب والمسلمين

(www.ihams.org)

عن دار الحكمة بلندن صدر كتاب «التشيع العربي والتشيع الفارسي» للباحث نبيل الحيدري، الذي قدم فيه دراسة أكاديمية مستفيضة تختزل عصور التاريخ الإسلامي بعد مسح واسع وغربلة لمراجع تنيف على 1255 مصدرًا، ويهدف الكتاب إلى سبر «جذور ثقافة البغض والكراهية بهدف تصحيح الممارسات التي جاءت بتراكم البدع والهرطقة المستوردة من هنا ومن هناك، بما يخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة».

بادئ ذي بدء، يُعرِّف المؤلف التشيع العربي على أنه تشيع الإمام علي بن أبي طالب الذي يمثل الأساس الذي يجب أن ينبني عليه التشيع من مبادئ وقيم وعقائد وثقافة. ويعرض المؤلف الصور الناصعة لعلاقة الإمام علي بن أبي طالب الشخصية بالصحابة لا سيما الخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه فضلاً عن الزواج والمصاهرة وتسمية أبنائه بأسمائهم.

ثم ينتقل الكاتب إلى كشف التأثيرات الفارسية التي تمثلت في الدول المتعاقبة الثلاث: البويهية في بغداد، والعبيدية في مصر، والصفوية في إيران، ومن قبلها بذور الغلو المتمثلة بتأثير عبد الله بن سبأ اليماني في تحريف التعاليم الإسلامية بما يشبه ما قام به بولص في تحريف النصرانية.

ويسهب المؤلف في خطر الدولة البويهية (334-447هـ/ 946 - 1055) كونها المنبع الأيديولوجي الذي ترعرعت فيه أولى البدع والغلو الغريبة عن العقيدة الإسلامية متمثلاً بتأليف الكتب الحديثية الأربعة: (الكافي) للكليني، و(من لا يحضره الفقيه) للصدوق القمي، و(التهذيب)، و(الاستبصار) للطوسي، واحتوت هذه الكتب على آلاف من الأحاديث لغُلاة لا علاقة لهم البتة بأحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولا أقوال علي بن أبي طالب ولا الحسن أو الحسين (رضي الله عنهم جميعًا)، هذا إضافة إلى كتب (المفيد) في ثقافة البغضاء والتكفير بعد أن درس على يدي ثلاثة من فقهاء هم: الصدوق القمي، وابن قولويه القمي، وأبي الحسن القمي.

وبعد ذلك، يعرض المؤلف للفرق الإسلامية والفرقة الناجية في حديث ورد في سنن الترمذي وابن ماجه وابن داود والحاكم وابن كثير، والفرقة الناجية بوصفها الرسول بعد أن سُئل، بقوله: «الذين هم على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، بقصد سنته المطهرة وسيرة صحابته الكرام، خصوصًا الخلفاء الراشدين الأربعة.

كما ويركز المؤلف على المرجعين الأساسيين للأمة الإسلامية: القرآن والسنة، كما في قول علي في (نهج البلاغة): «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها، فلما أفضت إليّ، نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا به فاتّبعته، وما استنّ النبي فاقتضيته».

ولقد اشترك الإمام علي في حروب الردّة أيام الخليفة الأول، كما وقف على قبره بعد وفاته قائلاً: «رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا،

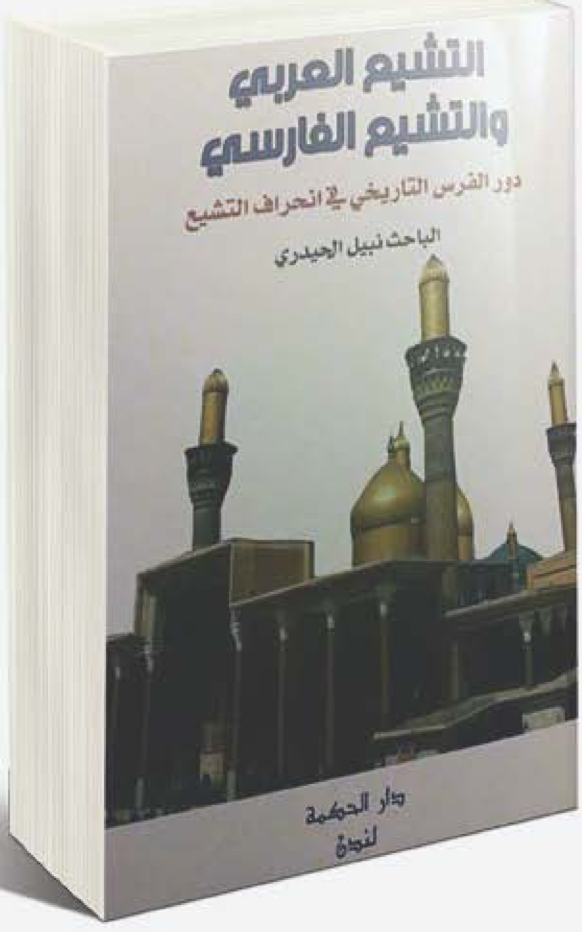
وأشدّهم يقينًا...». وقوله في فضل الشيخين: «خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر» كما ينقله الطوسي والمرتضى وغيرهما. بل إنّ الإمام عليا منع الناس من الهجوم على بيت الخليفة الثالث ودافع عنه وأوقف على داره ولديه الحسن والحسين سبطي رسول الله وسيدي شباب أهل الجنة كفدائيين دفاعًا عنه. ولقد زوّج ابنته أم كلثوم للخليفة عمر بن الخطاب وأنجبت له زيدًا ورقية. وكان زيد يفخر دومًا أنه «ابن الخليفتين». ويقصد عمرًا وعليًا. كما تزوج علي من أرملة أبي بكر، أسماء بنت عميس. وأما جعفر الصادق فكان يفتخر دومًا قائلاً: «أولدني أبو بكر مرتين» مرة والدته: فاطمة بنت القاسم بن أبي بكر، ومرة أم أمه فاطمة: أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق. وهكذا يكون أولاد الصادق من الأئمة: موسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري، وما يسمونه بالمهدي المنتظر، كلهم ينتسبون إلى أبي بكر مرتين. شاء من شاء وأبى من أبى. وهذا يرد الكثير من أحاديث الكراهية.

بل إنّ الإمام الحسن صالحَ معاوية بوثيقة الصلح عام 40هـ. واستمر الحسين بالصلح مع معاوية لعشر سنوات بعد وفاة أخيه الحسن. ثم يأتي ابنه علي بن الحسين السجّاد، وهو يدعو الله تعالى لبني أمية في حفظ ثغور المسلمين قائلاً كما ورد في الصحيفة السجادية: «اللهم حصّن ثغور المسلمين بعزتك، وأيّد حماتها بقوتك، وأسبغ عطاياهم من جدتك، وكثّر عدّتهم، واشحذ أسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، وألّف جمعهم، ودبّر أمرهم واعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر، والطف لهم في المكر». بل قد جاء في تفسير الحسن العسكري: «لقد قال الله لموسى: يا موسى أما علمت أن فضل أمة محمد على جميع الأمم كفضلي على جميع خلقي، وفضل صحابة محمد على جميع صحابة المرسلين كفضل آل محمد على جميع آل النبيين، وفضل محمد على جميع المرسلين».

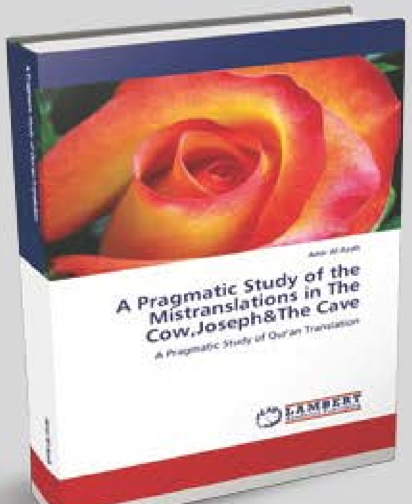
ويذكر المؤلف مرجعيات شيعية عربية مثل محمد باقر الصدر الذي كان مجتهدًا يتعايش مع الناس ويواكب تطور المرحلة والعصر كما في كتابيه (فلسفتنا) و(اقتصادنا). وكان مجددًا ناقدًا في المجال الحوزوي الديني، حريصًا على وحدة المسلمين، ويرفض ثقافة التكفير والبغضاء.

يهدف الكتاب إلى سبر «جذور ثقافة البغض والكراهية بهدف تصحيح الممارسات التي جاءت بتراكم البدع والمرطقة المستوردة من هنا ومن هناك بما يخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة».

يركز المؤلف على المرجعين الأساسيين للأمة الإسلامية: القرآن والسنة، كما في قول علي في (نهج البلاغة): «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها، فلما أفضت إلي، نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا به فاتبعته، وما استنّ النبي فاقتضيته».



دراسة لغوية تداولية حول إشكاليات وأخطاء ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية ـ د. أمير العزب



صدر عن دار النشر الألمانية (لاب لامبرت)، ذات الشراكة البريطانية الأمريكية، الطبعة الأولى من كتاب (دراسة لغوية تداولية حول إشكاليات وأخطاء ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية) للباحث د. أمير العزب المحاضر بجامعة قطر، ويتم توزيع الكتاب في 45 دولة حول العالم.

تحمل هذه الدراسة عنوان (دراسة برجماتية لأخطاء الترجمة في ثلاث ترجمات شهيرة في سور: البقرة ويوسف والكهف)، حيث تلقي هذه الدراسة الضوء على الظواهر التداولية وفاقد الترجمة، بالإضافة إلى الفروق اللغوية فيما يتعلق بظاهرة الترادف والتراكيب اللغوية والأدوات النحوية، من منظور تداولي لغوي ناهيك عن إبراز الصعوبات التي واجهت المترجمين وتصحيح أخطائهم..

وتعتمد هذه الدراسة على ثلاث ترجمات شهيرة معتمدة للقرآن الكريم وهي ترجمة (هلالي وخان) و(بيكتل) و(أربري).

يناقش الفصل الأول الظواهر التداولية في ترجمة معاني القرآن الكريم مع إلقاء الضوء على الصعوبات التي تواجه المترجم، مثل تداولية الكلمة في السياق والترادف التام كقضية خلافية وقضية الإبهام والغموض والفروق اللغوية والمتلازمات اللفظية ولغة الجسد والمجاز والبدل ولطف التعبير والسردية الحيائية وعلاقتها بالترجمة، من منظور براجماتي لغوي ناهيك عن تداولية اللون وتعددية الخبر.

ويلقي الفصل الثاني الضوء على فاقد الترجمة والخسائر التداولية والدلالية، ويؤكد الباحث على استحالة الاقتراب من ترجمة البنية النسيجية للقرآن الكريم ومفاهيم الموروث الثقافي في البيئة العربية الإسلامية والتقديم والتأخير وقضايا التنازع النحوي وصيغ المبالغة والإيجاز والمفعول المطلق وأدوات القسم والسجع والجناس والإدغام والمد.

ويعالج الفصل الثالث أخطاء المترجمين، ويقوم الباحث بالإدلاء ببعض الاقتراحات لحل هذه المعضلات، وفي إطار ذلك يتم مناقشة ومعالجة أخطاء المترجمين من منظور تداولي لغوي ثم يعقب المؤلف بالخاتمة والنتائج التي توصل إليها.

وتهدف هذه الدراسة إلى رأب الصدع الذي وجده الباحث في أخطاء المترجمين العظام، كاشفاً إياه على مستوى الألفاظ والتراكيب والأدوات النحوية، وذلك بعرض المشكلة وطرح الحلول المقترحة لمعاني هذه الترجمات.

ود. أمير العزب باحث مصري الجنسية ومحاضر بجامعة قطر، حاضر في العديد من الجامعات المختلفة، وله ما يربو على 30 كتابًا وقاموسًا في مجال اللغويات والترجمة، ويعمل مُحكّمًا دوليًا لدراسات التداولية ولغويات النص بكندا ولندن والولايات المتحدة الأمريكية، وترأس قسم الترجمة بصحيفة الشرق السعودية سابقًا، كما أنه يحمل عضوية مجمع اللغة العربية السعودي، كما تم تعيينه مُحكّمًا بعدد من المجلات العلمية الأوروبية مثل المجلة العلمية الأوروبية.

(صدى النسيان) إصدار جديد للشاعر خليل الوافي

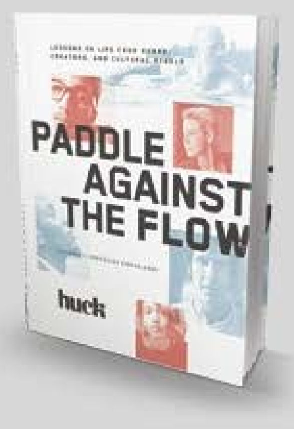


صدر حديثًا عن منشورات (رونق)، صدرت مؤخرًا للشاعر المغربي مجموعة شعرية بعنوان: (صدى النسيان)، من الحجم المتوسط، تقع في 98 صفحة، وتضم 11 قصيدة شعرية، هي كالتالي: (سماء الحلم العربي)، (يا صاحبي)، (قول على قول)، (عتبات البوح)، (مولاتي)، (عروس البحر)، (دثريني بالبياض)، (صدى النسيان)، (راحل يا أمي)، (صك الباب)، (ها أنا.. بالعربي)، تتصدر غلاف المجموعة لوحة الفنانة الفلسطينية رانيا عقل.

(صدى النسيان) ديوان آخر من ثلاثية الشاعر المغربي خليل الوافي، وهو يرسم معالم أفق شعري جديد، ويلتمس رؤيا تفاعلية إبداعية، سواء من خلال ديوانه الأول (ما أراه الآن) الذي جاء بتوليفة تزاوج الزمان بالمكان، واختزال كل المعاناة والانكسارات التي يعيشها الشارع العربي، فرحلة البحث في أغوار المسالك الوعرة التي التزم بها الشاعر في مقدمة ديوانه الأول استمرت مع (صدى النسيان) – الديوان الثاني – في حين ينضج الحلم في عين الماء، يستعصي النزول من ثقب الذاكرة، وتخطي عتبات البوح في اعتراف صريح، فهو يُلحم أجزاء الثلاثية في قصيدة: (هذا أنا بالعربي) التي تطل بقلقها على مشارف ديوانه القادم: (صرخة الطين) عسى أن يلمع في النفق المظلم بصيص ضوء.

والكاتب المغربي خليل الوافي، شاعر وقاص وفاعل جمعوي، عضو الراصد الوطني للنشر والقراءة، ساهم في تأسيس عدة أندية وجمعيات، بدأ النشر في الثمانينيات من القرن الماضي، في العديد من المنابر الورقية، شارك في العديد من التظاهرات الثقافية والملتقيات الشعرية الوطنية.

جدف عكس التيار



الكاتب: هوك ماجازين

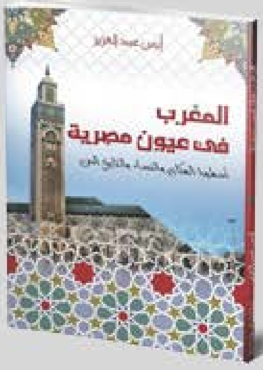
الناشر: كرونيكل بوكس، 2015

منذ بداية إصدارها في 2006، كانت مجلة هوك في طليعة المشهد الصحفي المستقل في لندن وكبرت شيئًا فشيئًا حتى أصبحت مجلة عالمية تباع في أكثر من 20 دولة حول العالم.

للمواضيع التي تتناولها المجلة متنوعة وجريئة، وبشكل خاص مواضيع الثقافة المضادة الإبداعية، ويتجول صحفيوها في شتى أنحاء العالم لتوثيق الحركات العالمية والبحث عن أصحاب الفكر الحر.

كتاب «جدف عكس التيار» يجمع أفضل الأفكار من أكثر من 60 دولة للأشخاص الأكثر إلهامًا من بين الذين أجرت معهم مجلة هوك مقابلات على مدى السنوات الماضية، بالإضافة إلى مواضيع حصرية – من حيث الصور والمحتوى- التي أصبحت تمثل خط عمل المجلة المميز.

يضم الكتاب مساهمات من مجموعة متنوعة من النجوم والفنانين والكتاب والمفكرين المستقلين.



كتاب المغرب في عيون مصرية

صدر حديثًا في القاهرة كتاب (المغرب في عيون مصرية.. أسطورة المكان والنساء والتاريخ الحي)، وهو من نوع أدب الرحلات، ويحاول من خلاله مؤلفه أيمن عبدالعزيز الصحفي بجريدة الأهرام تقديم صورة تعريفية للقارئ المصري عن المملكة المغربية الشقيقة، من خلاله مشاهداته التي تعكس أصالة هذا المجتمع الصديق والشقيق وتجربته في التقدم والحداثة، ويوضح المؤلف طبيعة كتابه قائلًا: «آثرت أن يقتصر على مشاهدات عينية، ومواقف شخصية، ناتجة عن المعايشة اليومية، حاولت فيها أن أنقل ما رأيته، وما عرفته، عن المغرب بلدًا، ومجتمعًا، وأناسًا من منطلق تكويني وثقافتي وتربيتي المصرية».

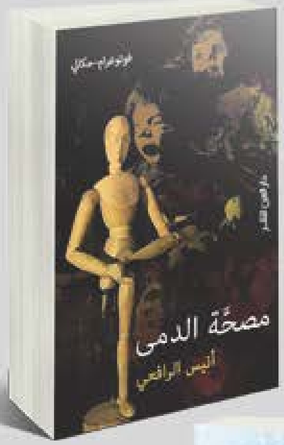


أسرار قذرة.. ملفات الاستخبارات الأسترالية

في هذا الكتاب تقدّم المؤلفة ميريدث بورغمان ستة وعشرين «محضرًا»، جمعتها تحت توصيف «أسرار قذرة»، كما يقول عنوان الكتاب. والمقصود بتلك الأسرار «القذرة» ملفات الأجهزة السريّة.. الاستخبارات.. الأسترالية في القرن الماضي، وخاصّة في الفترة التي شهدت الحرب الأمريكية في فيتنام.

المساهمون في كتابة الوثائق التي يتعرّض لها هذا الكتاب كانوا قد عملوا بأغلبيتهم في تلك الأجهزة السريّة الأسترالية. وتعود كتابة هذه المساهمات إلى النصف الثاني من القرن الماضي، وكانت موضوعة تحت عنوان «سرّي للغاية» قبل أن يتم السماح بالاطلاع عليها بفعل تقادم الزمن.

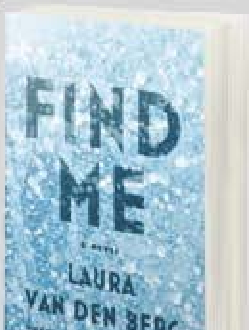
وتخرج المؤلفة من تلك الملفات أن العديد من الكتّاب والصحفيين ممن شاركوا بالمظاهرات ضد حرب فيتنام «كانوا تحت الرقابة». والتأكيد بنفس الوقت أن الأجهزة المعنية «أضاعت وقتها في ملاحقة مصادر تهديد خيالية». ثم إن ما كان مصنّفًا تحت خانة «السريّة» لم يكن يستحق مثل ذلك التوصيف.



(محاولات لترميم الجرح) لأنيس الرافعي

صدر حديثًا عن دار العين بالقاهرة 2015 للكاتب المغربي أنيس الرافعي "مصحة الدمى" ويؤنسن في عمله القصصي تلك الأشياء والكائنات المهملة والمهمشة، فيبث فيها حياة قصصية، ويخترع لها تاريخًا، ويبني لها عالما من الأحلام والآلام، ويحاول تدوين سير بعضها وتقاطعها مع سير أصحابها، بحيث قد تتفوق الدمية بشهرتها على شهرة مخترعها، وتتصدر الاهتمام والواجهة.

ويؤالف الرافعي بين الكلمة والصورة في كتابه الذي يختار له توصيف فوتوغرام-حكائي، ويستعين بمفردات من قاموس التصوير والتطبيب معًا، إذ يرمز إلى ضرورة معالجة الأعطاب التي تطال الدمى، وإعادتها إلى الواقع كي تؤدي دورها فيه.



أعثر عليّ.. رواية جديدة لبيرج

الكاتب: دين فان لورا بيرج

الناشر: فرار، ستراوس اند كومباني، 2015

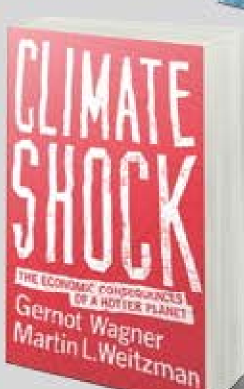
تقضي جوي أيامها في العمل بدون أصدقاء أو أشخاص مقربين، وتكثف وجودها في النوبة الليلية في مخزن خارج مدينة بوسطن وتتعايش مع إدمان على شراب السعال، في محاولة لكبت ماضيها المليء بالمشاكل.

ولكن عندما ينتشر مرض ما في المدينة والذي يؤدي إلى فقدان الأفراد الذاكرة المنتهي بالموت، تبدو جوي، وللمرة الأولى في حياتها، أن لديها أفضلية في أمر ما: وهي مناعتها ضد هذا المرض.

وتثير اهتمام الأطباء ويدخلونها مستشفى في ريف كنساس لإجراء بعض الدراسات عليها، وتتحول إلى سجينة مستسلمة لعلاجات فريدة وتتبع قواعد تبدو اعتباطية.

ومع حلول فصل الشتاء، ينهار النظام الهش في المستشفى وتهرب جوي وتتوجه إلى فلوريدا، حيث تعتقد أنها تستطيع أن تجد والدتها التي كانت قد تخلت عنها وهي طفلة صغيرة.

وفي طريقها تبدأ في مواجهة سلسلة من الأحداث والمغامرات.



صدمة المناخ: النتائج الاقتصادية لكوكب أكثر حرارة

الكاتب: جيرنوت واجنر، مارتن ويتزمان

الناشر: مطابع جامعة برينستون، 2015

يستكشف هذا الكتاب بالاستناد إلى أبحاث سابقة غير متاحة للاطلاع العام، بشكل واضح وعملي التداعيات التي يمكن أن تصيب الأرض في حال ارتفاع درجات الحرارة.

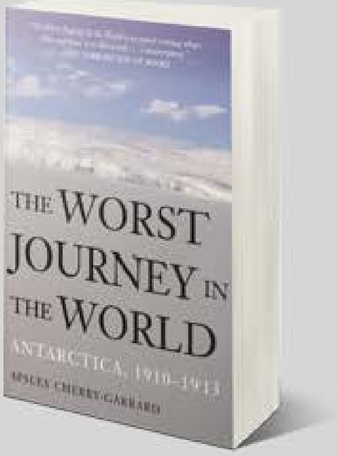
ويبين أنه كلما انتظرنا أكثر، كلما زاد احتمال حدوث شيء خطير للغاية.

يركز الكتاب على المخاطر التي قد نتعرض لها جميعا، وكيف أن القوى الاقتصادية تعمل أحيانًا على جعل السياسات المناخية المنطقية صعبة التطبيق، الأمر الذي يزيد احتمالات الحلول الأكثر تطرفًا مثل الهندسة الجيولوجية.

يساعد الكاتبان واجنر وويتزمان القراء على فهم حقيقة أننا بحاجة للتفكير بالتغيير المناخي بنفس الطريقة التي نفكر فيها بالتأمين – كمشكلة للحد من المخاطر على مقاييس عالمية.

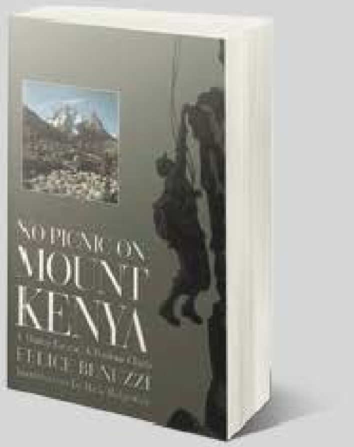
هذه كتب لأشهر المغامرات المثيرة والمؤثرة، والتي قام بها رحالة ومستكشفين وأسرى حرب، وتحولت لروايات تستحق القراءة.

أسوء رحلة في العالم The Worst Journey In the World



نشرت هذه الرواية أول مرة في عام 1922م، والرواية مغامرات حقيقية، فهي مستوحاة من أحداث بعثة (تيرانوفا)، التي لُقبت بأسوأ رحلة في العالم، من تأليف (أبسلي شيري جيرارد Apsley Cherry Garrard) المستكشف الإنجليزي لقارة القطبية الجنوبية، وكان أحد الناجين من بعثة (تيرانوفا) ومن الشهود عليها، وقد وثق ما شاهده في صفحات هذه الرواية، التي تحكي عن قصة حقيقية، حدثت بالفعل لثلاثة شبان خلال رحلة برية في الثلوج، عبر بعثة استكشاف حقيقية، حيث قابلوا الموت في كل خطوة، فالرواية تحكي عن أحداث إحدى الرحلات الاستكشافية الكبيرة في القطب الجنوبي، التي قامت بها المملكة البريطانية خلال المدة من 1910م إلى 1912م تحت اسم بعثة (تيرانوفا).

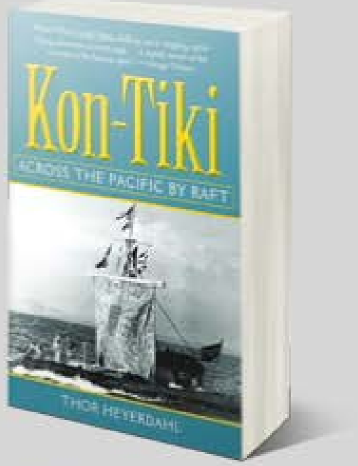
لا نزهة على جبل كينيا No Picnic on Mount Kenya



نشرت هذه الرواية لأول مرة عام 1947 باللغة الإيطالية وفي عام 1952 نُشرت باللغة الإنجليزية، وهي من تأليف (فيليس بينوزي Felice Benuzzi)، وهي رواية مغامرات مدهشة تُعد واحدة من المغامرات الأكثر غرابة من سنوات الحرب العالمية الثانية.

الرواية عبارة عن مغامرة حقيقية حدثت بالفعل خلال الحرب العالمية الثانية، لثلاثة أسرى حرب إيطاليين في معتقل بجنوب إفريقيا عام 1943 يهربون ليتسلقوا قمم جبل (كينيا)، ثاني أعلى قمة في إفريقيا، على ارتفاع 17000 قدم، في رحلة مستحيلة وشيقة للغاية وحدثت بالفعل، حقًا، يجب أن تقرأها.

رحلة الكونتيكي الاستكشافية The Kon-Tiki Expedition

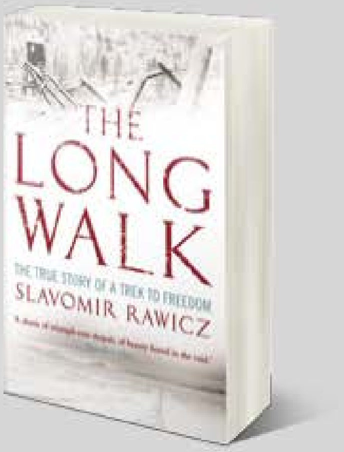


نُشرت هذه الرواية في النرويج في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1948 ونشرت باللغة الانجليزية في عام 1950، وهي رواية مغامرات عن أحداث حقيقية من تأليف الرحالة والمغامر النرويجي (ثور هايردل Thor Heyerdahl) أحد أشهر الرحالة في التاريخ.

وأحداث الرواية مستوحاة من قصة حقيقية، حدثت بالفعل لمجموعة من المكتشفين في قارب عبر المحيط الأطلنطي، خلال رحلة استكشافية لستة رجال مغامرين في عام 1947م، بنوا قارب من خشب شجر البلسا، مستخدمين المواد والأساليب التقليدية القديمة في بناءه.

وحين انتهوا أسموه Kon-Tiki على اسم أحد الآلهة بين سكان المنطقة الأقدمين، ورسموا صورته كما وردت في الدراسات على شراع القارب، الذي قطعوا به مسافة 8،000 كم، من سواحل أمريكا اللاتينية إلى جزر البولينيزيا بالمحيط الهادي؛ حيث قطعها في 101 يوم ليصل إلى شواطئ جزيرة تواموتو، في أثناء الرحلة الاستكشافية تم تصوير الكثير من الصور الفوتوغرافية أثناء الرحلة، وفيلمًا سينمائيًا كسب جائزة الأوسكار لأفضل فيلم تسجيلي من إخراج (ثور هايردال).

المسيرة الطويلة The Long Walk



نُشرت هذه الرواية عام 1955م، وهى من تأليف سجين حرب بولندي سابق يُدعى (سلافومير زوبريتشكي Slawomir Rawicz)، ذكر أنه كان من بين مجموعة الشباب الفارين الذين تم اعتقالهم من قبل NKVD الروسي بعد الغزو الألماني والاتحاد السوفياتي بولندا.

الرواية مستوحاة من قصة حقيقية، وقعت أحداثها خلال الحرب العالمية الثانية، في معسكر سوفياتي للعمل القسري في (سيبيريا)، والذي كان منتشرًا بكثرة في تلك الحقبة، ف (ستالين) جمع في تلك المعسكرات كل من هو ضد الشيوعية من متدينين وهنغاريين وبولنديين وديمقراطيين وغيرهم الكثير؛ من أجل خدمة أمة المنجل والمطرقة عبر العمل الشاق في المصانع والأراضي الفلاحية.

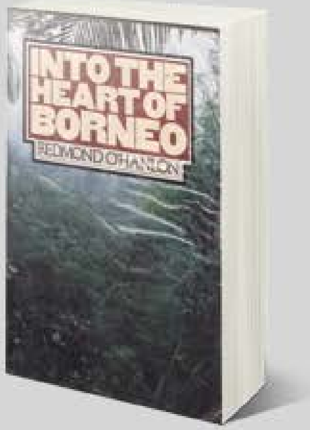
وتحكي الرواية عن قصة حقيقية، لشاب من مجموعة الشباب الذين فروا من المعسكر، ليخوض مغامرة رحلة طويلة لا نهاية لها؛ وبدأت رحلة طويلة سيرًا على الأقدام نحو الجنوب (حوالي 500.6 كم 4000 ميل) مروا من خلال صحراء غوبي، والتبت، وجبال الهيمالايا ليصلوا أخيرًا الهند البريطانية في شتاء عام 1942، فقد مشوا لمسافة 6000 كيلومتر إلى الهند.

وفي عام 2006 أصدرت بي بي سي تقريرًا بناء على سجلات سوفياتية سابقة، بما في ذلك بيانات مكتوبة من

قبل زوبريتشكي نفسه، وتبين أن زوبريتشكي قد أفرج عنه بعفو عام مع عدد من البولنديين في الاتحاد السوفياتي وتم نقلهم عبر بحر قزوين إلى مخيم للاجئين في إيران ومنه تمت عملية هروبه إلى الهند.

في أيار/مايو 2009، تقدم فيتولد جلينسكي للادعاء، وهو من قدامى المحاربين البولنديين في الحرب العالمية الثانية الذين يعيشون في المملكة المتحدة، بأن قصة زوبريتشكي كانت صحيحة.

روبرت ماين، ضابط الاستخبارات البريطانية الهندية في زمن الحرب، ادعى أن ابنه قد قابل ثلاثة رجال نال منهم الهزال في كلكتا في عام 1942، بأنهم فروا من سيبيريا. ووفقًا لابنه ماين يعتقد أن القصة هي نفسها كما كتبت في (المسيرة الطويلة).

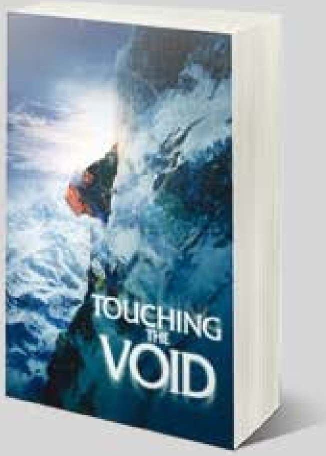


في قلب بورنيو Into The Heart of Borneo

نشرت هذه الرواية لأول مرة عام 1987م، من تأليف (ريدموند أوهانلون Redmond O'Hanlon).

والرواية عبارة عن قصة حقيقية وقعت أحداثها خلال رحلة عام 1981م، أثناء رحلة استكشافية في غابات (بورنيو) وحوض الأمازون والكونغو، التي لم تحظي بأي رحلات استكشافية منذ عام 1926م، وقد شارك المؤلف في الرحلة بنفسه، حيث الملاريا والثعابين والرعب الكامن.

وأخيرًا نجد أن هذه التوعية من الروايات المستوحاة من قصص حقيقية، تلاقي نجاحًا هائلاً، وذلك بسبب حب فئة من القراء وخاصة الشباب لتلك الروايات.



لمس الفراغ Touching the Void

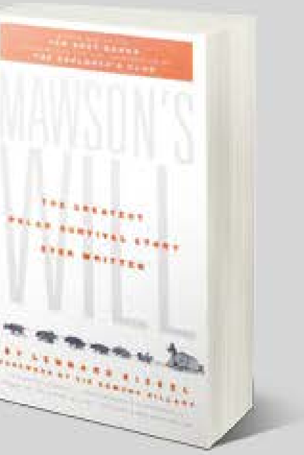
نشرت هذه الرواية لأول مرة عام 1988م، عن قصة حقيقية وقعت أحداثها لمؤلف الرواية جو سيمبسون (Joe Simpson) وعدد من أصدقاءه.

تُعد هذه الرواية من روايات المغامرات الملحمية التي تعبر عن الصداقة والخوف والمعاناة والبقاء على قيد الحياة، وهي شهادة مؤثرة لشجاعة لا تتزعزع، حيث تدور أحداث الرواية حول رحلة شيقة قام بها الكاتب وعدد من أصدقاءه، لتسلق جبال (سويلا جراندا) في الأنديز عام 1985 على ارتفاع 6.344 متر (20813 قدم)، حيث واجهوا الموت والرعب والمغامرة، وتحدث لهم عدة صعاب، ويبقى لهم أمل الحياة، فأثناء الرحلة يتعرض مؤلف الرواية لسقوط فتتكسر ساقه.

فيحاول شريكه في التسلق (سيمون ييتس Simon Yates) إنزاله إلى بر الأمان، ولكن مع انخفاض الظلام، واحتدام العاصفة الثلجية، وأخيرًا، اضطر (ييتس) لقطع الحبل الذي يربط بينه وبين صديقه، ليمضي ثلاثة أيام من العذاب مع الحزن والشعور بالذنب للتخلي عن (سيمبسون) وعاد الى معسكر القاعدة، ليلاقي رفاقه اللوم عليه، معتقدين جميعًا وفاة (سيمبسون)، الذي كان قد نجا من الموت بأعجوبة، وقام بالزحف على المنحدرات والوديان من جبال الأنديز، ليصل للمعسكر، قبل لحظات من مغادره أصدقائه له.

في عام 1989 فازت هذه الرواية بجائزة بوردمان تاسكر لجبل الأدب وجائزة NCR.

في عام 2003، وبعد خمسة عشر عامًا منذ أن نشرت لأول مرة، تم تحويل الرواية إلى فيلم وثائقي يحمل نفس الاسم، من إخراج كيفن ماكدونالد.

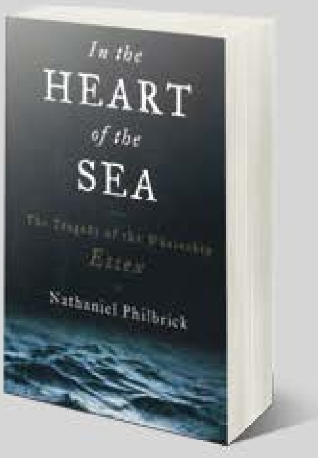


ماوسنوز ويل Mawson's Will

نشرت هذه الرواية لأول مرة عام 1999م من تأليف (ليناردبيكل Lennard Bickel)، وهي رواية مغامرات مثيرة، لتوثق الرحلة المنفردة الأكثر تميزًا في تاريخ القارة القطبية الجنوبية على الإطلاق؛ لتُعد بذلك من أهم الروايات عن رحلة فردية.

فأحداث الرواية مستوحاة من قصة حقيقية لا تُنسى، حدثت لشخص الدكتور (دوغلاس ماوسون Douglas Mawson) في عام 1908م وظل وحيدًا في قارة (انتركتيكا) لمدة 6 أسابيع، حيث الثلج والبرد والرياح، وحيث يفقد كل أصدقاءه والكلب المرافق له منذ البداية.

ويفقد أمدادات الغذاء ليواجه العطش والجوع والمرض والثلج، ويصر على أن ينجو بنفسه، متمسكًا بروح غير قابله للكسر، مما يجعل منه واحدًا من كبار المستكشفين في العالم، حيث أضاف المزيد من الأراضي والولايات لخريطة القطب الجنوبي أكثر من أي مستكشف آخر في وقته.



في قلب البحر In The Heart of the Sea

نُشرت هذه الرواية لأول مرة عام 2001م من تأليف (ناثانيال فيلبريك)، وتحكي الرواية قصة حقيقية، وقعت أحداثها في عام 1820م، من خلال قارب صيد الحيتان Essex ونجاة طاقم عملها، بعد تعرضهم للهجوم والترصد بواسطة أحد حيتان العنبر، وكيف أمضوا شهورًا في الماء ضائعين في وسط البحر، يتحدون العواصف والجوع والذعر واليأس، لمدة تزيد عن ثلاثة شهور على بُعد آلاف الأميال من البر، قبل الوصول لهم.

قام المخرج الأمريكي (رون هاورد) بتحويلها مؤخرًا إلى فيلم سينمائي، من المقرر طرحه حول العالم في 13 آذار/مارس 2015م.

بَقَايَا قَصِيدة

شعر

محمد محمد عيسى - مصر

.1.

" لَيلَى " تُراقِبُ - كُلَّ يَوْمٍ - طَلعَهُ
فَإذَا بِهِ نَزِقٌ وَلَمْ يَتَرَفَّعِ
وتُظَلُّ تَرفَعُ - كُلَّ يَوْمٍ - شَأْوَهُ
وَهُوَ الَّذِي مِن ثَلَّةٍ لَم تَرفَعِ !!

.2.

وَلِمَنْ يَكُونُ خِطَابُ أجْنِحَةِ الْمَدَى ؟
وَهُوَ ، الَّذِي
لَمَّا يُعَادِلْهُ الْفِدَا !!

.3.

نَامَ الْخَلِيُّ فَمَا دَرَى
غَيْرَ الأَمَانِي عَالِقَةْ
وأَجِنَّةٍ - فِي شَهْرِهَا – مُتَقَلْقِلَةْ !!

.4.

- يَا ، نَابِغِيُّ
أَنْتَ الْغَنِيُّ ..
لِمَنْ غِنَاكَ ؟
= هُوَ لِلَّذِي سَيَرُدُّنِي - أَبَدًا – غَبِيٌّ !

.5.

مَا كَادَ يَفْرَغُ شَيْخُنَا مِنْ ، " ... تُحْشَرُونْ "
حَتَّى رَأَيْتُ أَبِي مَعِي !
يَلْقَى مِنَ الشَّيْخِ الخَطَأَ ،
كُنَّا (بِكُتَّابِ) الْبَلَدْ !

.6.

وَالطُّرَحُ مَا لَمْ يَكْتَنِفْ
تَزَاحُمَ الأَطْيَارِ فِي جَمْعِ العَطَبْ !!

.7.

مِقْيَاسُ قَدِّ اللاَّنِهَائِيِّ الأَنَا
وَأَنَا بِلاَ مِقْيَاسِ قَدْ
فَعَسَاكَ تَسْكُتُ عَنْ خُرُوجٍ لاَ يُحَدُّ !!

على أطلال خديجة

شعر

عبد الرحمن سالت - الجزائر

.1.

اثنان...

والهوى ثالثنا

لعيون خديجة

هذا الصباح.. سحرهما

ما أذنب الفجر

لكن كنت المذنب

عرافة الحي

على الرمل قرأت.. سرنا

عشيقان...

البحر يتسع

الأمكنة.. حرسا

والخطوات معدودة

.2.

مر ببابي

أرشك بماء الورد

اقرأ تعاويذ.. الصباح

وسورة الفلق

.3.

ستمضي شريدا

إلى أرض.. لا تعرفها

منفاك غربة

..القلب جرح

والأسر خديجة

.4.

يا راهب الدير

جئتك مستسلما

أبايعك الهوى

خطى للعاشقين

آهات للوجع

.5.

يا بن الملوح

عذرا

فما كل النساء ليلى

ليلى للوعد ما اخلفت

في الحب ما خانت

.. حبيبها

سيف القبيلة

قطع الوصال

.6.

/ شفتي ..

ملح ونار

قلبي على كفي مصلوب

قصائدي حبق بري

ظمأ...ظمأ

لوجهك خديجة

التربية والتوافق المجتمعي!



بقلم: عماد أحمد العالم

@emadelalem

فقط دع الناس تقول ما تريد وافعل أنت ما تريد!...... ويقال أيضاً: البس كالناس وكل كما تشاء! مثلان يظهران مفهوم التوافق المجتمعي في ثقافتنا العربية، وضرورة الالتزام به وعدم السباحة عكس التيار ومخالفة العادات والتقاليد، والتي يشكل اللبس والحديث فيها نمطا لا يحبذ أبداً الخروج عليه، وعليك كعربي تعيش في مجتمعك أن تكون كالأغلبية حتى ولو لم تكن مقتنعاً. قناعتك ليست حقاً ملكك وربما تكون سبباً في مخالفتك للتيار السائد، حينما ستتعرض للنقد والتجريح والعداء دونما أي احترام لحريتك الفردية، والتي سيؤكد لك القائمون على تقاليد المجتمع أنها تنتهي بهم، دون أي اعتبار لك!

للأسف لا نملك الحلول الوسط في ثقافتنا التي باتت تتذبذب وتتأرجح بين النقيضين: هي إما أقصى اليمين أو اليسار، بدون أي مساحة في الوسط تعطي الحق والحرية لهذا وتضمن الاحترام لذاك.

قبل سنين قريبة ماضية، لن تستغرب أبدًا إن سمعت أن فلان قد منع ابنه أن يركب معه في السيارة لحضور مناسبة رسمية وذلك لأن الابن لم يكن يرتدي الزي الشعبي الشائع، كما لم يكن يربي شاربه (أي حليق) كما يسموه الأغلبية، قصة شعره ليست بالمستفزة المضحكة، لكنها خرجت عن النمطية السائدة والشائعة تلك الأيام، خشي الأب ووجس من أن يقلل الحضور قيمته إن أركب ابنه بجانبه في السيارة واصطحبه لحضور الحفل، تراءى للأب الذي لم يقدر مرغمًا أن يفرض نمطه على ابنه شفاه الحاضرين وهي تهمس لآذان مجاوريها ضاحكة بأن «الرجل بلا شنب كالقط بلا ذنب». الأب نفسه كتبها على سبورة فصله أثناء دراسته الثانوية أكثر من مرة مستفزًا أستاذه المغترب والذي لم يكن يربي شنبًا أو لحية!

الحال تغير الآن وأصبح العديد من الآباء أكثر ديموقراطية، وأقل اهتمامًا بالموروثات التي تفرض إرادتها على الشكل، سمح لأبنائه أن يلبسوا كما شاءوا وتفاخروا بهم أمام الآخرين رغم لبسهم الذي لا يخلو من استهتار في المظهر ومخالفة للذوق العام، وتسريحات شعورهم المضحكة والغريبة والملفتة للنظر والانتباه. قد يكون السبب في تغاضي الآباء أيضًا هو شعورهم أن أسلوب التربية القاسي الذي نشأوا عليه لم يعد يجدي نفعًا مع جيل يشارك صور حياته اليومية مع الآخرين عبر الانستجرام، ويبث همومه وشكواه في تويتر والفيس بوك، لديه مقدرة تتميز بجرأة تعدت الحدود على الرد وهو يضع قدمًا فوق أخرى ولا ينزل عينيه أو يعبث بهما في الأرجاء أثناء النظر لأبويه أو من هم أكبر سنًا منه!

في جلسات الأصدقاء والسمر، ستسمع باستمرار حكايات جيل متقارب العمر ممن تعدوا مرحلة الشباب لو لنقل أيضًا المراهقة، وهم يصفون تجربتهم مع آبائهم وكيف كان الخوف يسيطر عليهم بمجرد أن يرمق والد أحدهم ابنه، ليبدأ الأخير في الرجفان ودون أن ينبس الأب بكلمة، آهات حسرة حين يقارنوها بحالهم، وكيف تحولت ديموقراطية الحوار المتبعة لعناد من قبل الأبناء وتذمر من تمردهم، لكنهم إن طلبت من أحدهم تطبيق نفس مفهوم التربية الذي عاصره على أبنائه؛ رفض واستنكر وتشدق بالديموقراطية وبأسلوب التربية الحديث.

آخرون على النقيض تمامًا، وأقل ما يمكن أن تصفهم به هو الهمجية في التربية، يستعمل الضرب والشتيمة مع أبنائه، جل كلماته لهم هي لا وأحذرك وستضرب وتحرم!... أما إن كان حديثهم موجهًا لطفل صغير؛ فالنهي والزجر والصراخ كما هو وإن اختلف لفظه...... "كخا" و"ددا". المحصلة أن نجد الرضيع ينطق كلمات النهي التي سمعها من أبويه قبل أن يقول ماما وبابا!

كم مرة مرّ بجانبك أب أو أم في السوق وأحدهما يطبق يده على رقبة ابنه أو ابنته ويجره نحو السيارة، واصفًا إياه بالحمار والغبي ومتوعدًا بحفلة ضرب حال ما يصل المنزل؛ غير مكترث بنظرات من حوله له أو مراع لمشاعر طفله الذي سيقتل فيه كرامته وعزته واعتداده بنفسه، ليكبر وهو مهزوز الشخصية لا يثق بنفسه ولا يملك قراره. أطفالنا تاهوا بأمانينا لهم وما نخططه لمستقبلهم، نحن من نختار لهم المدرسة والجامعة، ونحن من نجبرهم لدراسة تخصص قد لا يهواه، لكننا نراهم فيه، دون أن نمنحهم المجال ليصنعوا أنفسهم بأيديهم دون تدخل مباشر، أغفلنا التوجيه واستبدلناه بالإجبار،... إن ناقشونا، استعملنا وقتها سلطتنا كآباء وهددناهم إما بالدعاء عليهم والغضب الذي سيزلزلهم أو توعدناهم بالطرد والحرمان، ليخروا بعدها خانعين لنا ومنفذين لما ارتأيناه لهم لا ما يريدوه!



فلسفة الحب

بقلم : سعاد الورفلي
كاتبة وقاصة من ليبيا

إن الحب هو العامل الرئيس لكل ما يقوم به الكائن تُجاه الآخر . فالحب قيمة عظيمة وهبها الله لنا لا يستشعرها سوى من فقه فضل النعم المنعَم بها المتفضل على عباده.

الحب: كلمة بسيطة المبنى لكنها عميقة المعنى، بحارها عريضة، وأغوارها عميقة، قيمة رهيبة تُؤتي أكلها كلما استحسن استعمالها.

إن الحب عامل البناء؛ البناء الذي يساهم في التطور والتقدم والعطاء والتضحية ..

فما موت الجندي الصغير إلا نابع من حبه لبلاده، حبه لما قاتل من أجله؛ فبلا حب لا يوجد عطاء، وهل هناك أعمق وأخطر من أن يضحي الإنسان بروحه؟!

فالتضحية هي رأس الهرم لقيمة الحب، وهي قاعدته العريضة، وأضلاعه المتوازية..

استلفت فيما استلْفت نظري قطة تحنو على صغارها الأربع؛ تغمغم بأصوات غير مفهومة وهي الأولى من نوعها، بيْد أنها كانت تموء بشراسة حينما تكون وحيدة؛ تحني عليهم وتقاتل دونهم وتُضرم حربًا شعواء، لو لمست إنسيًا يقترب من الكوة التي تقطن فيها القطط الصغيرة ....ترُى – قلتُ في نفسي؛ ما الداعي لهذه القطة أن تحنوَ كل هذا الحنو على قطط ستنافسها على الطعام مجرد أن يتفتق بصرها للنور؟ قيل غريزة الأمومة لكن هذا لا يكفيني لبناء فلسفتي العميقة في الحب ..

عن غريزة الأمومة مدعومة بدعامة عامة قوية، ما دخلت في شيء إلا حولته إلى قوة مضاعفة لا تشبهها باقي القوى؛ هذه الدعامة (دعامة الحب)

نعم ...إن هذه القطة الأم أصابها شيء من حب فأكسبها حنو غريزي على جراها الصغيرة ... فباتت لا تشبع قبل أن يشبعوا، ولا تنام أو تبحث عن رزقها حتى يناموا، ولا يهنأ قلبها وهي بعيدة وهم يتصارخون في جحرهم.

أعرفتم معنى قيمة الحب؟

إن الحب شعور عميق تظهر سيماه في أفعالنا وأقوالنا، دون أن نقصد نحن ذلك بأن نتعمد فعل التضحية !

إن فلسفة الحب مبنية على أساس قوي ينبع من شغاف القلب، فكم من قاسيَ القلب حينما تمر من أمامه فتاة حسناء؛ تنقلب سنحة وجهه إلى نضارة، ويعتدل تقطيب الحاجبين إلى استقامة، وما هذا إلا بدافع محبته لما رآه، وليس الإعجاب سوى قبس من المحبة المتأصلة، فالمحبة موجودة لكن المحرك لها قد يخبو وتخمد جذوته حتى موعده...

ربما نجد في مناطق نائية في دول آسيوية (أكلة الصراصير) بينما تشمئز وتصاب بالغثيان لمجرد ذكر اسمها، ولكن ما الذي دعاهم إلى أن "يقرمشوا" الحشرات ذات القشريات المقززة؛ هل هو فعل المغامرة؟ حسنًا وما الذي دعاهم ودفعهم للمغامرة؟ هل هو حب الشهرة؟ حب الشجاعة؟ حب الحشرات والتلذذ؟

ألم تقرؤوا تساؤلاتي التي بدأتها بحب؛ سواء أكان حب الظهور والشهرة أم حب المغامرة والانفلات ...إذن الدافع هو حب ذلك الشيء ..

وهذا ما أردتُ إيصاله هنا في هذه المقالة – أن الحب دافع لفعل كل شيء وأي شيء ...

فهناك الحب القاهر الذي يجتاز كل السدود والحدود ليصل إلى مبتغاه .

إن الإنسان في أضعف حالاته يقوى بالحب، والقوي في أشرس وأعتى حالاته يرقّ بالحب ...أو يضعف !

والعنيد إذا أحب تنازل، والقوي إذا أحب لأن..

الحب بفلسفته ومعناه لا نستطيع سبر أغواره، عودوا إلى التاريخ واقرؤوا ما تيسر من مواقف متنوعة وأحوال مختلفة لاقت، وعانت، وهاجرت، وكافحت، كل ذلك بفعل الحب ...!

نحن عندما نقوم بالعبادات، فإن الدافع لنا هو حب الله –عز وجل- نحن نعبد الله لحبنا له ولحبنا لأوامره وشرائعه تولّد فينا (فعل الطاعة).

فالحب أن تفعل ما يرضي المحبوب، رسولنا الكريم ﷺ زرع قيمة الحب في قلوبنا ودعمها بقوله (حتى أكون أحبَّ إليه) فلقيمة الفعل يجب أن يكون مقرونا بالحب.

ذكّرني أحدُهم قائلاً: ليس بالضرورة أن تكون أغلب أعمالنا نابعة من الحب ..فهو صدق في كلامه لكنه لم يستشعر ما نتفلسف – الآن – حوله، إن الحب طيف رقيق يتغلغل في النفس ليس بالضرورة أن يظهر شاخصًا أمامك ليشعرك أنك الآن في حالة حب، ولهذا تفعل هذا ...كلا ..

كانت هكذا إجابتي وردي على المعترض لما ذهبتُ إليه .فالحب كامن في النفس فأنت تقوم صباحًا وتتوجه إلى عملك، ليس لأنك تريد أن تعمل وتحصل على النقود، بل هناك نشاط داخلي منبعه محبتك لكل لحظة تبتدئ فيها عملك.. صحيح أن هناك أمزجة قاهرة قد تشوب وتشوش سماء الحب وتكدر صفاءها؛ هذه الأمزجة أن تقوم مكدرًا مثلاً أو كارهًا لمدير العمل ، أو ناقمًا على الروتين؛ لكن دافعية الحب للعمل، هو وقود حركتك ونشاطك؛ هي إكسير حياتك.

ولهذا تنوعت فلسفة الحب بما يطرأ على النفس من مشاغل تمنعها من تذوق القيمة دون حجب ...

أزمة الهوية

ريم الحاجي محمد
الأحساء

الهوية كما تعرفها معاجم اللغة هي حقيقة الإنسان المطلقة وصفاته الجوهرية.

كذلك تعرف الهوية الوطنية بأنها المعالم والخصائص المميزة وأصالتها.

إن كل فرد من أفراد المجتمع تقع على عاتقه مسؤولية حقيقته المطلقة، وتشكيل معالم وخصائص الوطن حتى يكون ممثلاً لوطنه وللمجتمع الذي ينتمي إليه، والشعوب تعرف بعضها بتلك الخصائص والعادات والملامح وطريقة الملبس وما إلى ذلك من أمور تدل على هوية صاحبها، وحتى تكون هوية الفرد بارزة ومميزة يحتاج صاحبها أن يكون مقتنعًا من الداخل بهويته ومعتزًا بها وحريصًا على إبرازها بأجمل الصور.

لكن ما نشاهده من ظواهر التقليد لكل ما يرد للمجتمع عبر أجهزة التلفاز والانترنت يشعرنا أننا نسير نحو مجتمع أشبه ما يكون بـ (مجمع الهويات) . ذلك أن الكثير من أفراد المجتمع لديهم قابلية لاستبدال هويتهم بمجرد اطلاعهم على هويات الشعوب الأخرى.

الاطلاع والمعرفة والتجريب أحيانًا لا عيب فيه؛ بل هو جميل حيث يعزز التواصل الإيجابي بين الشعوب وتبادل المعرفة، ولكن المزعج في الأمر أن الاستيراد لا يكون للإيجابي فقط، بل إن ما يحدث هو استيراد السلبيات بشكل مبالغ فيه والانبهار بما عند الآخرين، في المقابل لا نجد من أفرادنا من يصدّر للعالم هويتنا ويحسن إبرازها بإيجابية، والأدهى أنهم يتحمّسون للتقليل من قيمة موروثاتنا وهويتنا ورسمها بصورة سلبية للآخرين.

هذا الانقياد التام للتقليد ومحاكاة الآخرين قد يكون ناتجاً عن عدم الثقة فيما نملك أو الجهل بأن ما نملكه لا يقل قيمة عمّا يملكه غيرنا أو قد يفوقه قيمة.

ختامًا، التبادل الثقافي والفكري جميل بين الشعوب شريطة أن يكون إيجابيًا لا يُسهم في إلغاء هوية مقابل استيراد هوية أخرى، ودون أن يكون وسيلة لنشر سلبيات شعوب أخرى في مجتمعنا، والمفترض أن يكون معززًا لما نملك من إيجابيات أو مصلحاً لما فسد في تفاصيل تطبيقاتها.

أطفالنا أكبادنا إلى أين؟

د. ريمة الخاني - سوريا

الطفل، هو إنسان المستقبل، الذي يعول عليه وعاء يحمل ما قدمته أيدينا من تربية وتعليم ...لذلك تهتم المجتمعات المتحضرة بهذه الفئة الاجتماعية الحساسة والهامة، فمن خلال إعداد الطفل نؤسس للمستقبل المشرق للأمة، فماهي نظرتنا وأفكارنا وتحليلنا لتلك الفئة العمرية ؟:

1 – ماذا نعني بكلمة "طفل"؟

معجميًا:

طِفْل (لسان العرب)

الطِّفْل: هو البَنان الرَّخْص. المحكم: الطَّفْل، بالفتح، الرَّخْص الناعم، والجمع طِفالٌ وطُفول؛ قال عمرو بن قَمِيئة: إلى كَفَلٍ مثل دِعْص النَّقا، وكَفٍّ تُقَلِّبُ بِيضاً طِفالا وقَالَ ابْن هَرْمة: مَتى ما يَغْفُل الوَاشون، تومئ بأَطْرافٍ مُنَعّمةٍ طِفالِ والأنثى طَفْلَة؛ قال الأعشى: رَخْصَةٌ طَفْلَةُ الأنامل، تَرْتَبُّ سُخاماً تَكُفُّه بِخِلال وقد طَفُل طَفالة وطُفولة

ويقال: جاريةٌ طَفْلَةٌ إذا كانت رَخْصة. والطِّفْل والطِّفْلة: الصغيران.[1]

2 – تاريخيًا:

لقد كانت كلمة طفل تعني عند اليونان "neption": وهي مكونة من ne+epos أي no word ولا تعني الطفل أو الصبي فحسب بل الكائن الذي لا يتكلم، ومقابلها في اللاتينية "infans" المكونة من in+fans وتعني not speaking وهكذا فإذن تعريف الثقافتين اليونانية والرومانية للطفولة بأنها مرحلة من دون كلام، تعكس تصورهما عن الكيفية التي ينمو بها الطفل، كما تعكس اهتمامات اجتماعية وأدبية خاصة.

لذا ارتبط أدب الأطفال في ذلك العصر، وفي القرن الثالث بفن الكلام والأداء والخطابة والمسرح والحوارات. فأنشأ كوانتليان في القرن الأول الميلادي في كتابه "مؤسسة الخطابة "Instituses of oratory" وقال: على المعلم أن يكون متميزًا في بلاغته كما في سلوكه، لكي يعلم تلميذه كيف يسلك وكيف يتحدث. ويقول: تاسيتوس Tacitus الروماني في كتابه: حوار حول الخطباء Dialogue on orators من خلال هذه العملية، يتعلم الطفل أشياء حول العالم، وحول طبيعة الجنس البشري والحياة العامة.[2]

وقد عرف من كبار كتابهم في اليونانية والرومانية: شيشرون، أوفيد، لوكان، ستاسيوس، تيرينس، سالوست، ثيوفريطس، ديموسيديس، هيبوقراطس، كزينوفون.

وقد اشتهرت شخصية "إيسوب" والحكايات الأسطورية، رغم أنه كان عبدًا قبيحًا عظيم البطن، مشوه الرأس، أفطس الأنف، داكن اللون، قزمًا مقوس الساقين، قصير الذراعين، أحول، مشقوق الشفة، ورغم أن العبيد كانوا قبيح الشكل كان الممثلين يتقمصون دور العبيد لغرض الخطابة، بكل الأحوال كانت الإيسوبية تعد جمع لأصناف أدب الأطفال الكلاسيكية، من أجل العصور الوسيطة وعصر النهضة والعصور الحديثة، لا من أجل الطفل.[3]

3 – من هو الطفل؟:

ليست الطفولة سوى مرحلة انتقالية؛ ولقد تغيرت حدودها عبر القرون، وهي تتطلب حماية الراشد، غير أن الانتقال من الحماية إلى الهيمنة يتحقق بسرعة.[4]

تعرف الدكتورة ملكة أبيض الطفولة قائلة: «هي المدة العمرية التي تبدأ من لحظة الولادة، وتمتد حتى يصبح هذا المخلوق بالغًا ناضجًا».[5]

وعادة تكون مدة الطفولة في المجتمعات المتقدمة أطول منها في المجتمعات المتخلفة والنامية، ويقسم العلماء الطفولة إلى ثلاث مراحل:

طفولة مبكرة، وتمتد من الولادة حتى سن السادسة

طفولة وسطى: تمتد من سن السادسة إلى الثانية عشرة.

مرحلة الطفولة المتأخرة: تمتد من سن الثانية عشرة وحتى الثامنة أو العشرين.

يقول الأديب سليم بركات حول الطفولة: «أنت مطوق من جهات طفولتك كلها، وعليك أن تعترف بالذي فعلته والذي لم تفعله، أنت منهوب، ليس لك أمل في الفوز بأي رضا قط، بل والتخفيف من العقوبة، لا مكافآت على شيء في عمرك، قصاص تلو القصاص، تدريب باذخ على أن تكون غير نفسك، بدءًا من العائلة، مرورًا بالمدرسة، انتهاء بالدولة والموت ينتظرك بعدئذ في مسلخه الآخر، نعم كل شيء يدعوك أن تكون كبيرًا...».[6]

ماذا يعني هذا؟ هل نعتبر نصًا كهذا منتهى الإحباط من خلال التمنيق والتزويق الأدبي؟ إن الطفولة العالمية على عمومتها عانت منذ القديم من هذا الداء، ورغم هذا فالطموح اللامنتهي لم يدع لهذا الأخطبوط المسيطر مجالاً للتحجيم، فالطموح الحقيقي يخرج من الشرنقة حتمًا، بل ويخرقها للفضاء الأوسع ويكون كعامل مستفز دومًا لتنفذ ما نما في ذهننا النشط، وإلا فسيكون طموحنا كاذبًا وهميًا.

– ولكن ما الذي يحد من طموحه الفض؟: إن فطرة التجديد موجودة عند الإنسان من الطفولة، فترى الطفل يحاول إدراك ما حوله حسيًا كجسم غريب بداية لتستقر الحقيقة في ذهنه بعد ذلك، وتقضي على التساؤلات، فنراه يلمس أي جسم يشعر بأنه غريب ويحب معرفته، ومع مرور الزمن يكبر الطفل، ومن خلال تربيتنا الماضوية النسقية له، سيصبح فردًا نسقيًا كبيرًا، بعدما قضينا على عقله وعلى أية محاولة للبحث والتجريب، وبعدما قتلنا وأحبطنا بذور الإبداع فينا، وهكذا دواليك تتكاثر الكائنات البشرية تحت وفي العقل الماضوي الثابت.[7]

من هنا نفهم كيف يقضي الأهل والجو الاجتماعي المحيط على طموحه ومواهبه، ورغم أنها لا تموت عند كثير من النماذج لكنها تتمدد إن جاز التعبير، وتتقولب، ولا تخرج من شرنقتها إلا لو حاولت هي ذاتها بمحفز

خارجي أو داخلي يشعل فتيله أمر طارئ ما.

من جهة أخرى انفتاح الباب للطفل على مصراعيه ليس محمودًا أيضًا، يقول توفيق الحكيم هنا: «إن الطفل يفرح بالجديد لأنه جديد، هكذا الشعوب أيضًا في طفولتها، والمجتمع في طفولته، يفرح للحدث الجديد، والخبر الجديد فالمهم هو التغيير فقط»، ليس الذنب ذنب الطفل، والاعيب الطفولة، ولكن الذنب ذنب المربي الذي يشجع في الطفل هذه النزعة بالإكثار من تقديم الجديد، فيعوق نموه من عهد اللعب والعبث إلى عهد الفهم والبحث».[8]

طفلنا العربي غير متوازن، إما محروم ويعاني الكبت، أو مسرف بطر، فماذا ننتظر منه؟

أما عن تطور الشعوب من خلال أطفالها، فالشعوب في مبدأ تطورها كالأطفال في مطلع تكوينهم، تتغلب عليها الروح السلبية، فمن السهل على الطفل الذي يريد مباشرة نشاطه والاستجابة إلى داعي حيويته، أن يحقق ذلك بأن يقذف نافذة بحجر، ولكنه عندما يكبر ويقوى ويتضج يرى الوسيلة في تحقيق نشاطه، هي أن يرسي ذلك الحجر أساسا لبناء.[9]

ويقول الحكيم أيضًا: «في طور الطفولة تميل إلى التحطيم، وفي طور الرجولة تنصرف إلى الإنشاء، إن الطفولة تحتاج في تكوينها ونموها إلى نموذج من الرجولة».[10]

وقال أيضًا، إن الشخص ذا القيمة هو الذي يعرف القيم كما يعرف الصائغ درجات الذهب.

3 - استثنائيات تربوية:

1 - العبقرية: من المؤسف أننا نضيع في كل يوم الكثير من النوابغ بأساليبنا التربوية القديمة المقولبة، وتصرفنا الديكتاتوري، ناهيكم عن المجتمع الكلاسيكي الروتيني، الذي لا يفقه ما معنى استثناء عن القاعدة ولا يعير عناية لتنشيط فكر.

يقول الأستاذ: حسين محي الدين سباهي: «العبقرية نبوغ في ناحية من النواحي الإبداعية، بحث يمكننا رصدها وقياسها باختبارات الذكاء واختبارات الشخصية. «كيف تفكر كالعباقرة، لا يكمن الفرق بين التفكير الذكي والتفكير الأحمق في اختلاف محتويات الدماغ بقدر ما يكمن في الطريقة التي يستخدم فيها التفكير».

إن العبقرية نتاج الوراثة والبيئة معًا، فالاستعدادات الموروثة لا بد أن تتسلمها بيئة مواتية تشجع على التحصيل وتنمي المواهب وتتيح لها فرص التفتح، وإلا فمصير هذه الاستعدادات إلى الذبول والاضمحلال، إن ميكانيزم الوراثة لا يمكن أن يعمل عمله إلا في شروط معينة وبيئة وحمية واجتماعية صالحة.[11]

تقول الأستاذة رهف التحلاوي: «المهارة إن تصيب هدفًا لم يصبه أحد غيرك والعبقرية أن تصيب هدفًا لا يراه أحد غيرك».

2 - من هو الطفل المحروم؟، عبارة لا تجد تعريفًا واحدًا بجمعها، فمنهم من يقول طفل الشارع، ومنهم من يقول هو الطفل الذي أساء الأهل تربيته، ومنهم من يقول هو من تربى بعيدًا عن أهله.



بكل الأحوال، يبقى طفل الشارع يجمع جل العناصر المحبطة والمؤدية لتربية منحرفة، يقول الدكتور معمر نواف الهوارنة عن هذا الطفل: أطفال الشوارع هم الأطفال الذين يعتبرون أكثر الفئات تعرضًا للظروف الصعبة والحرمان وعدم إشباع احتياجاتهم، هم فئات محرومة، أو تعيش في ظروف صعبة.

طفل الشارع، طفل يظل فترة طويلة أثناء اليوم في الشارع، سواء كان يعمل أعمال هامشية، مثل مسح زجاج السيارات، أو بيع سلع بسيطة، أو جمع القمامة، أو التسول للحصول على المال، أو يخالط أصدقاء السوء، أو يعمل أعمالاً غير قانونية، كارتكابه أعمال عدوانية تجاه المارة والمرافق العامة.[12]

إن الإحصاءات العربية قصرت في جمع آخر ما توصلت إليه الأرقام بصدد رصد عدد أطفال الشوارع وقد كان آخر إحصائية عام: 2000 بلغت: 10 مليون طفل، بينما الرقم عالميًا بلغ 40 فماذا يعني هذا؟.[13]

- كيف يبدع طفل يعيش مشردا؟.

يقول الأستاذ: حسين محي الدين سباهي ويقول الباحثون أن المبدعين والعباقرة عندما يضيق بهم العالم من حولهم يبدعون كنوع من التعويض، فيتصرفون تصرفًا مختلفًا ومميزًا، فهل العبقرية مرض عقلي؟، لكن غالبية العباقرة بعد البحث يتميزون بالصحة النفسية والانضباط، ذلك لأن لديهم حسًا عاليًا بالواقع، وحتى وإن تصرفوا أحيانًا بشذوذ، أو كانت لهم انفجاراتهم الانفعالية، فبوسعهم تصحيح أنفسهم لأنه يملك من المرونة ما يمكنه تجريب أفكار جديدة تحول مساره لآفاق جديدة إيجابية.

رغم أهمية التعرف على الأسباب المؤدية للتشرد والحرمان: مثل انخفاض المستوى الاقتصادي والتعليمي والثقافة الاجتماعية حتى، وما يزيدها تأزمًا ارتفاع تكاليف التعليم وقلة مباني المدارس وسوء علاقة المدرسة بالطالب، وسوء المناهج وتخلفها عن الركب الحديث، وتفكك العلاقات الأسرية وسوء شروط السكن، وما يؤدي ذلك لأمراض عضوية واجتماعية عميقة الأثر، فكله يؤيد فكرتنا القائلة: هل بيئة كهذه تؤدي لجيل قارئ مثقف وكتاب يعرفون ماذا يريد المجتمع أو ما هو بحاجة إليه، لذا فإن الكاتب المقتدر يعيش على هامش المجتمع يكتب في زاوية مهملة إلا من بعض أضواء إعلامية بسعيه، ودون صدى بعيد المدى.

وعلى هذا نجد أن العامل النفسي إيجابيه وسلبيه يلعب دورًا خطيرًا في دفع عجلة الإبداع للأمام، تقول الدكتورة ملكة أبيض في هذا المجال: «إن العمليات الثقافية الموجهة نحو الأطفال سواء كانت تربية أو إعلامًا أم ترفيهيًا، تشكل في صميمها عمليات اتصال بالمعنى العلمي للكلمة Communication، وتحوي ثلاثة عناصر المرسل والمستقبل أو المرسل إليه، والرسالة ونواقل الاتصال أو وسائطه[14]، لذا بات الحكم من بعد على الطفل قبل الكتابة له تسرع وظلم، فتعد النظرة تلو النظرة ولنعرف ماذا نريد من الطفل وماذا يريد منا.

الهوامش:

1 - راجع الرابط
http://www.baheth.info/all.jsp?term=%D8%B7%D9%81%D9%84%

2 - "يونيز اسكاربيك" في كتابه أدب الطفولة والشباب، الكتاب من ترجمة د. نجيب غزاوي ومراجعة عيسى عصفور.

3 - راجع العدد 562 من مجلة المعرفة البحث مدخل نفسي اجتماعي لأدب الأطفال للدكتورة المذكورة.

4 - راجع كتابه: التعجيل في قروض النثر. ص 120

5 - انظر العدد 562 من مجلة المعرفة: بحث: الحداثة العربية من التجديد إلى الجمود، للناقد "أحمد انيس الحسون" بتصرف

6 - من كتاب عصا حكيم في الدنيا والآخرة ص 97-98

7 - من كتاب عصا الحكيم في الدنيا والآخرة، للأديب الكبير توفيق الحكيم. ص 138

8 - راجع كتاب "عصا الحكيم" ص 24

9 - من بحث سيكولوجية التفكير العبقري وعلاقة العبقرية بالاضطرابات العقلية والنفسية. العدد 606 من مجلة المعرفة آذار 2014

10 - من بحث "أطفال الشوارع. العدد 606 من مجلة المعرفة آذار 2014

11 - المصدر السابق نفسه

12 - من بحث "أطفال الشوارع. العدد 606 من مجلة المعرفة آذار 2014

13 - المصدر السابق نفسه

14 - بحث: مدخل نفسي - اجتماعي لأدب الأطفال مجلة المعرفة العدد 562 تموز 2010

حماية البيئة والتعليم 2-3

حماية البيئة مطلب اجتماعي



عبد الله بن محمد اليوسف

الرياض

أن التعليم يغفل ولم يبين أن حماية البيئة مطلب اجتماعي فلو استعرضنا مكونات البيئة الحضارية: لوجدنا أنه يتكون النظام البيئي الحضاري من خمسة عناصر هي:

أولاً النظام التقني:

تعني التكنولوجيا في العصر الراهن استخدام المعرفة العلمية في التطبيق العلمي لاستثمار موارد البيئة من جهة، وحل المشكلات البيئية والتصدي للأخطار البيئية من جهة أخرى، أو بمعنى آخر الإصحاح البيئي، والعلاقة التي تربط بين العلم والتكنولوجيا في الوقت الحاضر علاقة تبادلية، بمعنى أن كل ما يحرزه العلم من تقدم يتمثل في اختراعات تقنية جديدة، ومن ثم تساعد تلك الاختراعات على تقدم العلم، ويلاحظ أن هناك تسارعًا في المدة ما بين الاكتشاف العلمي الجدي وتطبيقه، فعلى سبيل المثال فإن التصوير الفوتوغرافي تم تطبيقه صناعيًا بعد اكتشافه علميًا بـ (112 عامًا)، والتليفون استغرق إنتاجه 56 عامًا، أما الراديو فقد استغرق 35 عامًا، والرادار استغرق 15 عامًا، والترانزستور استغرق 5 سنوات، أما الدوائر المتكاملة فقد استغرقت 3 سنوات، إن هذه الظاهرة من السرعة المتزايدة يومًا بعد يوم، يجب أن تلفت نظرنا بشدة إلى ضرورة الإسراع بالخطى والاهتمام بالإنسان صانع التقنية، وضرورة الاهتمام بالفكر والعلم والابتكار، ووضع حلول غير تقليدية للمشكلات البيئية، وضرورة مواجهة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، التي تنشأ عن تنفيذ المشاريع التنموية.

دور التقنية في التفاعلات البيئية:

لقد تغلغلت التقنية وتطورت في النسيج الاجتماعي للناس، وفي حياتهم اليومية حتى أصبح من المستحيل أن تعود عقارب الساعة، وينفض الإنسان يده من التقنية، فلمعالجة الخلل البيئي الذي نشأ عن تطبيقات التقنية في الصناعة والزراعة، يجب استنباط وسائل تكنولوجية جديدة، أو تطوير الوسائل التكنولوجية الموجودة، كأنما المجتمعات الحديثة قد أصبحت (مُدمنة) تكنولوجيا، والدواء الوحيد هو المزيد من التكنولوجيا.

ثانيًا: النظام الاجتماعي:

يقصد بالبيئة الاجتماعية، الجزء الذي يشمل الأفراد والجماعات وتفاعلهم، وأنماط العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد والجماعات التي ينقسم إليها المجتمع، وتؤثر التقاليد والقيم الاجتماعية على استغلال ثروات البيئة.

ولتنفيذ المشروعات البيئية على المستويات المحلية ينبغي إدراك أهمية المعرفة الشاملة لأنماط العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد والجماعات والنظم الاجتماعية في تفاعلها وترابطها وتساندها الوظيفي كما يجب العمل على كسب القيادات التقليدية المحلية، التي تتوفر على المعرفة الدقيقة بمختلف أمور مجتمعها المحلي وبالأحداث البيئية التي مرت به.

ثالثًا: النظام الاقتصادي:

يحدد النظام الاقتصادي في أي مجتمع كان، طبيعة حركة الموارد الطبيعية خلال النظام ونوعية الموارد المتحركة، وما ينتج عنها من نتائج اقتصادية واجتماعية كارتفاع مستوى المعيشة، أو الإخلال بالوسط البيئي، وتغيير نوعية البيئة، وترتبط بالنظام الاقتصادي كذلك، درجة تقدم معدلات التغيير في نوعية البيئة، كزيادة طرح النفايات والفضلات والملوثات المختلفة التي تؤدي إلى تدهور البيئة، ففي المجتمعات الزراعية يكون إسهام الأنشطة الاقتصادية في تدهور نوعية البيئة ضئيلاً بالمقارنة مع دورها في المجتمعات المتقدمة، إذ في الأخيرة تتعاظم مشكلات تلوث التربة والماء والهواء والأزمات البيئية الأخرى.

رابعًا: النظام الثقافي:

استطاع الإنسان، منذ ظهوره حتى الآن، أن يشيد بيئات اصطناعية (أو حضارية) تختلف عن البيئات الطبيعية، كمحاولة لاستثمار الوسط البيئي لتلبية حاجاته واستمرار وجوده، وتعد النظم الثقافية جزءًا من البيئات الاصطناعية التي أوجدها الإنسان، وتشكل الثقافة مركبًا متنوعًا من المعرفة والعقائد، والفنون والأخلاق والقوانين والأعراف، وكل المقدرات والعقائد الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث كونه عضواً في المجتمع.

وتلعب المعتقدات السائدة دورًا مهمًا في إعاقة خطط التنمية وإهدار الموارد البيئية:

لاعتقادهم أنها تفسد الأرض، وتسبب في تقليل رطوبتها، وموقف الهندوكي من الأبقار وتقديسهم لها، يقف حائلاً دون قبول أي نمط ثقافي جديد خاص بتحسين استغلال

هذه الثروة الحيوانية التي كان من الممكن أن تلعب دورًا مهمًا في الاقتصاد الهندي.

ومن الأمور الضارة بالتوازن البيئي ذلك الاعتقاد الخاطئ بأن طائر البوم نذير شؤم، في حين أن البومة تصطاد في كل ليلة ما بين 3 إلى 4 فئران، فهي عامل من عوامل التوازن البيئي، كما أن العناكب التي لا يرتاح الإنسان إليها، تصطاد من الحشرات الضارة سنويًا ما يزيد على وزن ثلاثة ملايين رطل، ولو اختفت لفتكت الحشرات بمقومات هذا الكوكب فتكًا ذريعًا.

خامسًا النظام السياسي:

ويقصد به كيفية إدارة المجتمع لمؤسساته التي تمثل آراء القيادة السياسية للقاعدة الشعبية، ومتطلبات القاعدة الشعبية للقيادة، وتختلف الأنظمة السياسية نوعية الحكم، ومما لاشك فيه أن للنظام السياسي أبلغ الآثار على النظام البيئي، فقد يشعل الحروب التي تدمر البيئة، وتهدر مواردها، وتقضي على القوى البشرية وتبدد قواها، وقد يسمح بدفن النفايات الذرية في أراضيه، فيعمل على تدمير بيئته الطبيعية بل البيئة العالمية حاضرًا ومستقبلاً.

وقد دعا الإسلام إلى الشورى وأخذ رأي الجماعة، وعدم استبداد الحاكم برأيه، بل ومحاسبته، كما كان يتم في عهد الخليفة العادل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومحاسبته لولاة الأقاليم وتطبيقه مبدأ: من أين لك هذا؟ كذلك في عهد الخليفة عمر بن العزيز الذي رد أموال بني أمية إلى بيت مال المسلمين.

ومن هذه المسائل قضايا البيئة والأمن البيئي:

أو التحقيق في ماهية التربية البيئية في وعي أفراد المجتمع كبارًا وصغارًا؛ ولا يخفى أن الشريعة جاءت بنصوص عديدة تدعو إلى حماية المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، باعتباره أحد أهم ركائز قيام الإنسان بعملية الاستخلاف والعمارة في الأرض، وهنا يتوجب الحديث عن مراعاة الوازع الديني في تحديد أهمية رعاية المحيط بخاصة، والبيئة بصفة عامة؛ فإن الخالق تبارك وتعالى عندما استخلف الإنسان وأمره بعمارة الأرض سخّر له ما في الكون من جماد وكائنات حيّة لتعينه على عملية الأعمار، معتمدًا في أساليب التعامل على نصوص من الوحي، وهذا ما يدعونا لاستقراء هذه النصوص وجمعها، وتبويبها على أسس موضوعية، لأنها تنطوي تحتها مجموعة متجانسة من الأحكام الشرعية التي تختص بالبيئة والعوامل المحيطة بها، وهو ما يمكن إطلاق المصطلح المقاصدي عليه، وهو أن رعاية البيئة من "المقاصد العامة"، وهي التي عرّفها الإمام ابن عاشور في قوله: "ما كان عائدًا على عموم الأمة عودًا متماثلاً، وما كان عائدًا على جماعة عظيمة من الأمة أو قطر" وإن حماية البيئة من المصالح التي لا تعود بالنفع على فرد أو أفراد قليلين في الجماعة، بل إن عموم المجتمع مستفيد من رعاية البيئة، وإذا ما اختل النظام والتوازن البيئي، واستنزفت الموارد الطبيعية، وتلوث الجو، فإن المجتمع بأسره سيعود عليه هذا الاختلال بالدمار والهلاك؛ في صحته، ومحيطه، وعلاقته بالبيئة نفسها.

الاستخلاف قضية يجب أن نتوقف عندها مليًا لأنها سوف تحدد دور الإنسان وواجباته تجاه بيئته:

1 - فالاستخلاف يعني أن الإنسان وصيٌ على هذه البيئة وليس مالكًا لها، وأنه مستخلف على إدارتها واستثمارها وإعمارها، أمين عليها. "وبناءً على ذلك فليس لأحد أن يدّعي أنه يملك منها شيئًا ملكًا حقيقيًا فيكون له حق التصرف المطلق ولو بالإفساد والإتلاف، بل هي بمقتضى ملكية الله الملكية الحقيقية تشبه أن تكون ملكًا استخلافًا للناس جميعا عبر الأجيال المتتابعة".

2 - ويقتضي واجب الاستخلاف بطبيعة الحال أن يتبع المستخلف ما يأمر به مالك هذه البيئة، وخالقها ومستخلفه فيها، ويقتضي واجب أمانة الاستخلاف أن يتصرف فيها تصرف الأمين فيما لديه من أمانات، فالأرض أرض الله، والعباد عباد الله، ومعنى هذا أن لا ملكية مطلقة في الإسلام؛ أي أنه ليس من حق أي فرد أن يتصرف فيما يملك كيفما يشاء.

3 - فالملكية في الإسلام محددة بضوابط وشروط حددها الله سبحانه وتعالى، منها حسن استغلالها وصيانتها.

4 - المحافظة عليها من أي تدمير أو تخريب، فليس المطلوب في عملية الاستخلاف أن يكون الإنسان صالحًا في نفسه فقط؛ بل أن يشيع هذا الصلاح في محيطه وما هو مسخر له، وأن لا يعيث في الموجودات المسخرة له فسادًا وتخريبًا. قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف:56) ومخاطبًا هذه الأمة: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ (الأعراف:74). وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ (البقرة :205).

يقول العلامة ابن عاشور مفسرًا هذه الآيات إنّ الله تعالى: «أنبأنا بأن الفساد المحذر منه هنالك هو إفساد موجودات هذا العالم، وأنّ الذي أوجد فيه قانون بقائه لا يحب فعله ذلك عبثًا».

5 - أ/ وقد تكرر في القرآن النهي عن الإفساد في الأرض بعد أن خلقها الله صالحة مهيأة لمنفعة المستخلفين فيها، وأعلن أن الله لا يحب الفساد، ولا يحب المفسدين، ويشمل هذا إفساد البيئة، وتلويثها.

- ب/ ونهى القرآن العدوان عليها والانحراف بها عما خلقه الله لها، فهذا ضرب من الكفران بالنعم، الذي يجلب النقم، وينذر مقترفيه بعذاب شديد يوشك أن ينزل بهم كما نزل بعاد وثمود، والذين من بعدهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ (الفجر : 11. 14).



أحمد صالح الصمعاني
aalsmany@hotmail.com
@alsmany

ولا تنازعوا

نلاحظ بالآونة الأخيرة انتشار بعض الرسائل التي تهدف للعنصرية ودائمًا حرب نفسية بين أخوان من مدينة أو دولة واحد أحيانًا تتعلق بالقبائل أو الرياضة وغيرة من الفكر الخاطئ الذي أعتقد منشئه أنها دعابة ومزحة وهي بالحقيقة رسائل تقود المجتمع للفشل والهزيمة والوقف في طريق الانجاز وتحطيم الاحلام، واستمرت هذه العنصرية في معظم المجالات مثل السخرية بين الرجال والنساء، وكما شاهدنا من رسائل التواصل الاجتماعي، وللأسف أن المبالغة في هذه النكت لم يسلم منه عرض المرأة أو الرجل المسلم حيث أتهمت المرأة بالفجور والانتكاس بالفطرة ووصفت فتيات دول الكفر بالعفاف والشرف والاحترام خلاف ما يظهر للجميع والله أعلم، وبفضل الله كم يظهر أن معظم المسلمين حافظوا على دينهم وعلى سنة المصطفى ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ (الحجرات: 11).

وقال المصطفى ﷺ (إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). وقد أجمع كثير من العلماء على أن أكبر معجزة للرسول ﷺ أنه ألف بين قلوب القبائل فالحبشي أخ الفارسي والقرشي أخ المخزومي وغيره، وقضية التنابز بالألقاب والعنصرية سبب رئيس في تأخر النهضة وكم من مبدع تلقى رسائل سلبية بعثرت مستقبلة وجعلته في صفوف الفاشلين بسبب السخرية والتحطيم وكذلك علمائنا الكرام لم يسلموا من هذا الافتراء والاتهام الباطل، أما بعض الدول قاموا بإنشاء أكاديميات ومراكز ونوادي ومسارح لتطوير جميع المواهب سواء كانت علمية أو رياضية وغيرة من العديد من الابداعات.

أذكر أن شاب سعودي تقدم لأحد الجهات المتخصصة باختراع جديد لمحرك السيارات فكانت المفاجئة من رد الموظف الساخر: كيف حصلت على هذا الاختراع هل هو أثناء حلمك في المنام؟

واختم مقالي بقول الله سبحانه ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: 46)



غيرنيكا.. تصوير أقوى من الرصاص



عبدالإله بوبشير

فنان تشكيلي، باحث وكاتب - الجزائر

تلك البلدة الصغيرة في إقليم الباسك الإسباني تعرّضت في عام 1937 من القرن الماضي لهجوم بالطائرات والقنابل على أيدي القوات التابعة لنظام "فرانكو" بمساعدة جنود ألمانيا النازية. وقد راح ضحيّتها أكثر من ألف وستمائة شخص.

الحادثة فجّرت حينها ردود فعل شديدة في العالم مستنكرة ومندّدة بما حدث، من خلال المظاهرات والمسيرات الاحتجاجية. وصلت أخبار المذبحة إلى باريس حيث كان يقيم الفنان الإسباني "بابلو بيكاسو".

بعد هذا الخبر الذي نزل كالصاعقة بدأ بيكاسو يفكّر في إنجاز عمل فني يجسّد فظائع الحرب الأهلية الإسبانية وما جرّته من موت ودمار، لكن حالة الاضطراب النفسي التي كان يعيشها نتيجة ذلك كانت تمنعه من تحقيق تلك الرغبة.

وقد وفرت له الحادثة فرصة مواتية لتحقيق ما كان قد فكّر فيه مرارًا، مع أنه كان يكره السياسة وينفر من فكرة توظيف الفن لأغراض سياسية، هي في النهاية تبقى مأساة إنسانية.

في تلك السنة أقيم معرض باريس الفني وهو مناسبة أراد من خلالها منظمو المعرض الاحتفال بالفن الحديث الذي يستخدم التكنولوجيا الحديثة ويقدم رؤية متفائلة لعالم مختلف عن عالم الثلاثينيات الذي تخللته الحروب والاضطرابات السياسية والكساد الاقتصادي العظيم.

وعندما أنجز بيكاسو "غيرنيكا" بتقنية ألوان زيتية على قماش، أنجزت سنة 1973 دفع بها لتمثل إسبانيا في معرض باريس لتلك السنة. اللوحة تصوّر فراغًا تناثرت فوقه جثث القتلى وأشلاؤهم الممزّقة، وهناك حصان في الوسط وثور إلى أعلى اليسار، بالإضافة إلى مصباح متدلٍّ من الطرف العلوي للوحة. أما على الأرضية تمدّدت أطراف مقطّعة لبشر وحيوانات، بينما تمسك اليد الملقاة على الأرض بوردة وبسيف مكسور، وإلى أعلى يمين اللوحة ثمّة يد أخرى تمسك بمصباح، ويبدو أن وظيفة المصباح المعلق في أعلى اللوحة هي تسليط الضوء على الأعضاء المشوّهة لتكثيف الإحساس بفظاعة الحرب وقسوتها، أما الثور إلى يسار اللوحة فليس واضحًا بالتحديد إلامَ يرمز، لكن ربما أراد بيكاسو استخدامه مجازيًا للتعبير عن همجية المهاجمين.

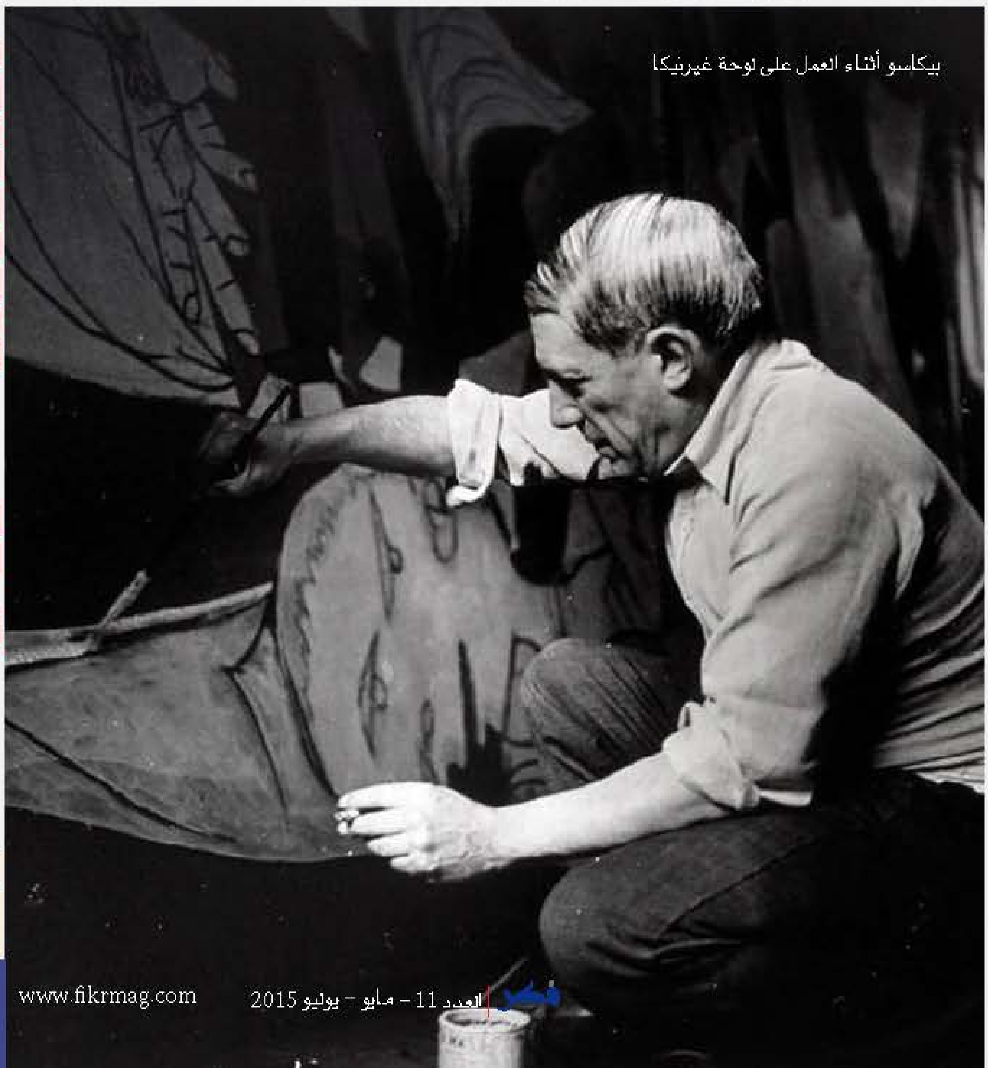
فالشيء المهم في هذه الجدارية وهو خلوّها تمامًا من أي أثر لمرتكبي الجريمة، فليس هناك طائرات أو قنابل أو جنود، وبدلا من ذلك فضّل بيكاسو التركيز على صور الضحايا.

ردود الفعل الأولية على الجدارية اتّسمت بالنقد والهجوم الشديدين، فالنقاد الألمان قالوا إنها مجرّد هلوسات كابوسية لرجل مجنون، وأن بوسع أي طفل في الرابعة أن يرسم أفضل منها، أما الروس فقد تعاملوا معها بفتور، ويبدو أن المنتقدين كانوا يعتقدون بأن الفن الواقعي أكثر قدرة على تمثيل الصراعات والحروب ومآسيها.

حتى العام 1981، كانت غيرنيكا ضمن مقتنيات متحف الفن الحديث بنيويورك، ومع ذلك فقد طافت بالكثير من المتاحف في أوروبا وأمريكا.



لوحة غرنيكا الشهيرة للفنان الإسباني بابلو بيكاسو



بيكاسو أثناء العمل على لوحة غيرنيكا

وقد طلب من بيكاسو أكثر من مرّة أن يشرح مضمون عمله هذا، لكنه كان يردّ دائمًا بأن تلك مهمّة المتلقي، وأن اللوحة قابلة للعديد من التفسيرات المختلفة وحتى المتناقضة.

لكن رغم ذلك، أصبحت الجدارية تمثل صرخة بوجه الحرب وشهادة حيّة على حجم البؤس والخراب الذي تخلفه الحروب بشكل عام.

كان بيكاسو يطمح في أن تنتقل "غيرنيكا" إلى إسبانيا في النهاية، لكنه فضل الانتظار إلى أن ينتهي حكم فرانكو العسكري.

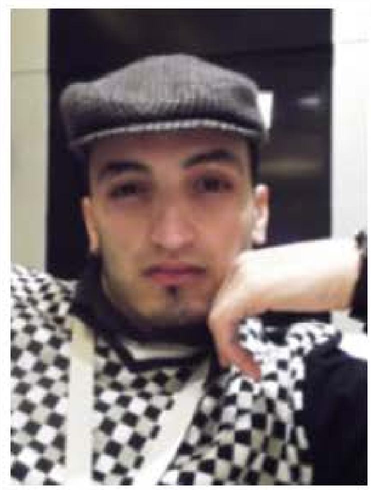
وبعد سنتين من وفاة بيكاسو في العام 1973، توفي فرانكو نفسه. وفي 1981، قام النظام الجديد بنقل الجدارية إلى إسبانيا كأفضل احتفال بالذكرى المئوية لمولد بيكاسو، وكانت تلك الخطوة رمزًا لتحوّل إسبانيا الكبير من الديكتاتورية إلى عهد جديد من الحرية والديمقراطية.

غيرنيكا هي اليوم من ضمن مقتنيات المتحف الوطني الملكة صوفيا في مدريد. والمشهود أنها بمثابة تحفة فنية، تأخذ مكانها الصحيح بين كنوز لفنانين آخرين من اسبانيا من "إل غريك" و"غويا" و"فيلاسكيز".

تقول مؤرخة الفن باتريشيا فيلينغ: «هناك الكثير من الناس يعرفون هذه الجدارية».



السلطة الرمزية للصورة السينمائية



الباحث: أكثيري بوجمعة

جامعة ابن طفيل القنيطرة- المغرب

تعد تكنولوجية الصورة والإعلام، إحدى ركائز التفوق الاقتصادي والاجتماعي والسياسي... في المجتمعات الحديثة، نظرًا لما لها من قدرة جبارة على الإقناع والتأثير والتوجيه، بل والتحكم في القيم، وتغيير الأذواق، والتمثلات والنظرة للأمور وللعالم: ما يفسر أن تكنولوجيا الصورة الحديثة بشتى تلاوينها (السينما، التلفزة، الانترنيت...)، غدت سلطة فعالة في أيدي الدول الكبرى، والشركات المتعددة الجنسيات التي تسيطر على الصناعة الاتصالية. فما هي يا ترى، تجليات هذه السلطة؟

تستمد الصورة سلطانها مما نستثمره فيها من رغبات، وتقوم مقام رغباتنا في تحويل العالم، إن للصورة قوة تأثيرية تفوق كل التوقعات[1]، سيما وأنها توظف مجموعة من التقنيات (السيناريو، الحوار، الإخراج، المونتاج، الإنارة، والماكياج، الإكسسوارات، المؤثرات الصوتية...)، بغية بسط سلطانها على المشاهد؛ فرهان هذا الاختراع البصري، التحكم في زمام الأمور، وتكريس سلطته على الفضاء العام والخاص، من خلال:

- قدرة الصورة السينمائية على اقحام المشاهد - الذي يفتقد للحس النقدي والتحليلي للخطاب السينمائي- في عوالم جديدة، قد تغير من أرائه وقيمه ونظرته للأمور والعالم، وتجعله "إنسانًا خاضعًا" لا ينفك من قيودها التي سحرته، وأسرته، وخلخلت بناه النفسية والاجتماعية... إلخ.

- قدرة الخطاب السينمائي المرئي، على تشكيل سنن ذهني عند المشاهد، يربط الواقعي بالمتخيل؛ مما يحدث فوضى كبرى بين العالمين لديه، وفي نفس الآن يصعب من إمكانية تكيفه مع واقعه المعيش.

لقد أحدثت الصورة- الآلة ارتجاجًا في النظام البصري المعاصر كما يقول رجيس دوبري[2] (R. Debary)، وغيرت كيفية إدراكنا، وتمثلاتنا للعالم الذي نتنفس هواءه. في هذا الشأن، يقول الكاتب الأمريكي إدوارد برنيز المتخصص في علم السلوكيات البشرية في كتابه "الدعاية": إن السينما من أعظم الوسائل قدرة على تشكيل الوعي الباطني للشعوب العالم: إن لم نقل أنجعها على الإطلاق في غزو أفكارهم والسيطرة على آرائهم: إن السينما بإمكانها أن توحد الأفكار والعادات لأي أمة من الأمم.[3] بما مفاده: أن هذه السينما ليست مجرد صور مجانية - فرجوية قصدها الإمتاع والمؤانسة، كما يعتقد البعض جهلاً- تعمل على بعد تزييني أو هامشي، بل هي حصان طروادة تتسرب منه الوصاية الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية،... على عقول الملايين من المشاهدين جراء غياب فكر نقدي مضاد وعقلاني، يقيهم من شر التغليط والتمرير الممارس عليهم من طرفها بدهاء ماكر. فهذه الصناعة السينمائية في رأي "برنيز" لها سلطة عظيمة على برمجة وتكييف العقول لخلق واقع بديل، لواقع موجود، يؤدي دورًا في إلغاء الذات والسيطرة على الأهواء، وضرب القيم والثقافات الوطنية للشعوب والترويج للعولمة الثقافية المبنية على الإخضاع والغزو الثقافي.

وبهذا المعنى، تغدو صناعة الصورة السينمائية، أداة ترويض، تسعى إلى أن تجعل منا أسرى موضوعاتها وتصوراتها التي يؤسسها منظروها؛ إضافة، إلى إنتاج كل تفاصيل حياتنا اليومية، بل وتصبير أبواقها الآدمية: بمعنى أوضح تريد أن تتملكنا، وأن تتكلمنا – كما يقول هيدجر- عوض أن نتكلمها. تريد فصلنا عن جاذبية العقل والقيم، والدين... تريد إلباسنا ثوب الأخر، بدعوة

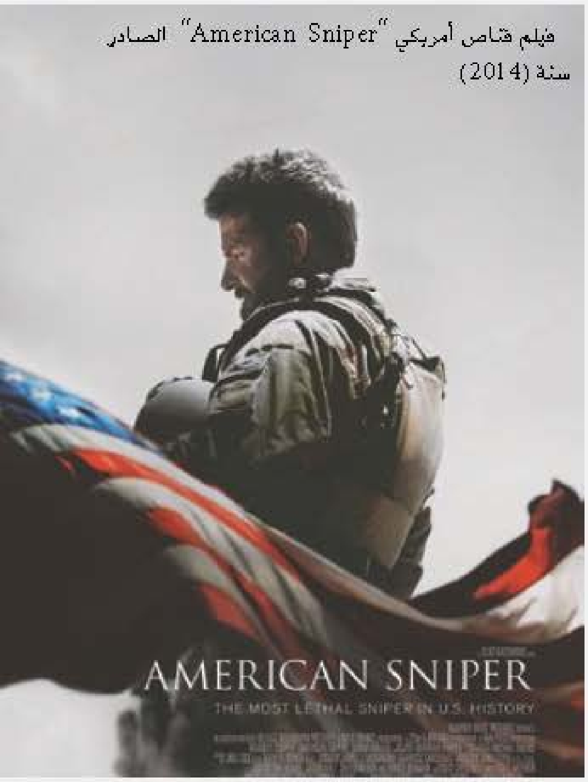


ملصق فيلم اليهودي الهائم (The Wendering Jew) سنة (1933)



صورة من فيلم قناص أمريكي "American Sniper"

فيلم قناص أمريكي "American Sniper" الصادر سنة (2014)



الترفيه: يقول فوفوناركيس (Vauvenargues) لقد أعلن شيشرون (Chesteron) شكلاً خفيًا للسلطة،[4] تحت قناع من الوداعة، فالطاغية المستبد ليس الرجل الذي يحكم عبر الرعب، بل هو الذي يحكم بالمحبة ويلعب كمن يعزف قيثارة.

فدلالة صورها تبطن غير ما تظهر، وتظهر خلاف ما تبطن، كأنها تتآمر علينا؛ الأمر الذي يؤكد، أن الصورة السينمائية تؤسس لسلطة من نوع آخر، سلطة الوسيط الأكثر رواجًا من طرف الجميع؛ سلطتها سلمية لا تستعين بقنابل نووية، أو دبابات، بقدر ما تستعين بالخطاب الرمزي المؤسس على تصورات ذهنية صاغت مبادئ السيطرة ولغتها؛ فيكفي مثلاً أن تترسخ صورة عن جماعة أو قضية، أو حدث، حتى تنتشر في الأحاسيس العميقة وتؤثر بشكل بالغ في العمل السلوكي.[5] إن مفعول صور الأفلام ليس ظاهرة حديثة العهد، ففي الماضي، ساعدت صور الأفلام التي تحط من قدر الآسيويين في نشر المشاعر المعادية لهم في الغرب قبل وأثناء بعد الحرب العالمية الثانية. ولقد أنتجت شركة (International Film Corpration)، فيلمًا تحت عنوان "Patria" سنة (1916)؛ وفي هذا الشريط يحاول اليابان غز الولايات المتحدة الأمريكية بفيالق تجتاح كاليفورنيا. ويحاول أحد الأمريكيين من أصل ياباني أن يغتصب البطلة وأن يقترف أعمالاً شنيعة أخرى. كما تصور أفلام الدعاية الألمانية اليهود على أنهم أشخاص خطيرين في شريط اليهودي الهائم (The Wendering Jew) سنة (1933)، بغية إقناع بعض الألمان بأنه من الوطنية القيام بتخليص الوطن من اليهود. وعن هذا كتب الباحث ريتشارد تايلور (Richard Taylor) بأنه حتى اليهودي سيصبح معاديًا للسامية بعد مشاهدته لهذا الشريط.[6]. وقد استغلت السينما الأمريكية هذه السلطة، في تشويه وتحوير في تقديم صورة تشوبها مجموعة من المغلطات تجاه الشخصية المسلمة، وتتمثل في تطرفها واستهدافها للأبرياء، وتعطشها للدماء، وتجردها من الانسانية. وهذا ما جسده فيلم قناص أمريكي "American Sniper" لمخرجه "Clint Eastwood" الصادر سنة (2014)، ويروي قصة "Chris Kyle" أشهر قناص في الجيش الأمريكي فتكًا بالأرواح. هذا الفيلم الذي يمجد التدخل الامريكي في العراق، ويؤجج مشاعر الكراهية والحقد تجاه المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى يصور لنا المخرج مدى براعة الشخصية الأمريكية في مواجهة الإرهاب، وحبها المستميت للأمن والسلام. ولعل أول من فطن وهاجم نزعة السلطة في ثقافة السينما، التي هدفها إخضاع الآخرين والهيمنة على وجودهم، وبرمجة سلوكهم الاجتماعي بواسطة الدعاية الخفية، الناقد والمؤرخ للفنون الكاتب الأمريكي اروين بانوفسكي (Erwin Panofsky)، حيث أيقن دمارها الشامل في مقطع وجيز شديد الكثافة، وبلاغة فائقة حيث قال: «إن السينما، سواء أحببنا أم لم نحب، هي القوة التي تصوغ – أكثر مما تصوغ أية قوة أخرى- الآراء، والأذواق، واللغة، والزي، والسلوك، بل حتى المظهر البدني لجمهور يضم أكثر من 60 % من سكان الأرض».[7]

باختصار، فالصورة هي سلطة السلط – حسب دوبري-، بل هي السلطة الرمزية بامتياز، بمعنى أن خطابها يزاوج بين الظاهر والخفي؛ الظاهر بما هو بناء جمالي في قصده الإمتاع والانتفاع، والخفي بما هو وسيلة تسويق لقيم مسكونة بهاجس الاستحواذ، بقيم غريبة عن المحيط الاجتماعي والثقافي للرائي. وبهذا تكون الصورة السينمائية تعبيرًا واضحًا عن ميولات صانعي خطاباتها، وعن رغباتهم الثاوية في عمق نفسهم البشرية، بخلق تصور ينسجم وتصوراتهم للعالم، ويصبح بمقدورهم تنصيب أنفسهم أسيادا على العالم.

الهوامش

1 - عبد العالي معزوز: فلسفة الصورة- الصورة بين الفن والتواصل، مطبوعات افريقيا الشرق، 2014، ص 153

2 - نفسه، ص153.

3 - Edward l.Bernays : Propaganda. New York . Horace Livveright. 1928. P 156for more information see:http://www.Voltaireenet.org/IMG/Bernays__Propaganda__in__english__pdf

4 - Joseph Boskin: "Denials: The Media View of Dark Skins and the City" in Small Voices and Great Trumpets. ed. Bernard Rubin (New York: Praeger). p141.

5 - Dennis M. okawa. From japs to Japanese. (Berkeley: Publishing Corporation. 1971). p18

6 - Richard Taylor : Film propaganda. (london : Croom Helm. 1979). p190.

7 - ألبرت فالتون: السينما آلة وفن، ترجمة صلاح عز الدين وفؤاد كامل، مكتبة مصر، 1958، ص7.

بودابست لؤلؤة الدانوب

هنغاريا أو كما تُسمى بلاد (المجر) تقع بين سبع دول أوروبية هي إيطاليا، وسلوفاكيا، وأوكرانيا، ورومانيا، وكرواتيا، والنمسا، وصربيا، وسلوفينيا، ما إن تطأها حتى ترى روحًا شرقية جميلة ممزوجة بعراقة أوروبية متألقة. تزداد دهشتك من المكان والناس عندما تتصفح تاريخ هذه البلاد، فلو قلبت صفحاتها لصدمك تاريخ المجريين الذين عانوا كثيرًا من ويلات الحروب واحتلال الممالك المتعاقبة لهم.

وعندما تقرأ عن بودابست، تحبها أكثر... بتاريخها... بكبرياء أهلها وصمودهم وحفاظهم على هويتهم ولغتهم وإرثهم أمام الاحتلالات التي تعرضت إليها بلادهم، من المغول (الذين دمروها)، إلى العثمانيين (1541-1699)، ثم وقوعها تحت حكم إمبراطورية هابسبورغ في القرن التاسع عشر (والمفارقة أنه كان عصرها الذهبي)، ولاحقًا تحت هيمنة الشيوعيين السوفيات (1947-1989). يذكر أن الغرب يطلق على المجر اسم هنغاريا، علمًا أن أهلها يسمونها المجر، ثم تزورها، وتكتشف أن الكلام والقراءة شيء، والواقع شيء آخر، يغمرك من الوهلة الأولى دفء أهلها وطيبتهم وكرم ضيافتهم، بما يُذكِّر بالطباع والعادات العربية، ولا غرو، فالمجر نقطة التقاء الغرب مع الشرق، وتمتزج في قومها الأصول الغربية والشرقية (قبائل من أصول تركمانية).

ستظن أنك ستقابل شعبًا أقل ما يقال عنه أنه يتوجس خيفة من الغرباء، لكن العكس ما سوف تراه.. سترى شعبًا بشوشًا.. يحفظ تاريخه، ويقدر ما صاغه الأوائل، فتجده ساعيًا في ترميم كل ما من شأنه أن يمثل حقبة ما، وذلك حفاظًا على الروح والتاريخ، عدا كل ما من شأنه أن يمثل اندمجًا واضحًا مع التطور المعاصر لا سيما في العاصمة بودابست تلك المدينة التي يمكنك أن تعيش تاريخها وحاضرها في الوقت ذاته وأنت تستمتع بطقسها البارد المحمل بالنسمات اللطيفة الآتية تارة من نهر الدانوب، وتارة أخرى من الهضاب التي تحيط بالمدينة لا سيما في



شهر أيلول/سبتمبر، حيث يعد شهرًا مثاليًا لزيارتها.

(لؤلؤة الدانوب) بودابست هي (لؤلؤة الدانوب)، كما يصفونها، وعاصمة المجر وأكبر مدنها، تمتد على ضفتي نهر الدانوب الشهير وتعد (ملكته)، تم توحيدها من مدينتين هما بودا القديمة المقامة على التلال على الضفة الغربية من النهر حيث تنتشر القصور، ومدينة بست (بشت كما يلفظها أهلها) على الضفة الشرقية من النهر، وتشكل المركز الحكومي والتجاري النابض للمدينة التي تعتبر أكبر سادس مدن الاتحاد الأوروبي، ويبلغ عدد سكانها مليوني نسمة.

ولعل من أهم ما يميز بودابست هو نهر الدانوب (نهر العواصم) يخترقها نهر الدانوب، أطول نهر في الاتحاد الأوروبي، وثاني أطول نهر في أوروبا بعد نهر الفولغا، ينبع من الغابة السوداء في ألمانيا، ويعبر عشر دول أوروبية أو يحاذيها، ويلقب بـ (نهر العواصم) لأنه يمر بأربع عواصم هي فيينا وبراتيسلافا وبلغراد وبودابست. لكن الدانوب في بودابست لا يشبه ذاك الذي ألهم الموسيقار الشهير يوهان شتراوس في مقطوعته (الدانوب الأزرق)، بل هو أقرب إلى وصف الشاعر الفلسطيني الشهير محمود درويش في قصيدته (الدانوب ليس أزرق)، ويُقال أن النهر فعلاً يصبح أزرق في بعض مقاطعه، وتحديدًا في منطقة تقع بين بودابست ورومانيا، لكنه يتشح باللون الرمادي في باقي مساره، وربما بفعل التلوث والعوامل الطبيعية.

ويمكنك أن تبحر فيه متنقلاً بين العواصم من خلال العبّارات المنتشرة على ضفافه، كما أنه يُقسم اليوم بودابست إلى قسمين، وقد كانت في الأصل مدينتين اتحدتا فيما بعد لتصبح بودابست، كانتا بفعل الدانوب الذي لم يزل بودا وأبودا (أي بودا القديمة) على الضفة الغربية، ومدينة بست على الضفة الشرقية، أما اليوم فجمع الاسم الذي فرقه النهر لتصبح (بودابست).

عندما تنظر جهة الغرب ستتراءى لك (بودا) التي أحاطتها التلال المكسوة باللون الأخضر، وينتصب في أعلاها تمثال الحرية الخاص بهم، وهو يمثل امرأة تحمل في يدها سعفة نخيل، ستشاهد جمالاً عمرانيًا مبهرًا عاصر الحصار والويلات والحروب العديدة يراوح بين القوطي والباروك الى الحديث (آرت نوفو)، ما جعلها تعيد بناء مبانيها التاريخية محافظة على الجمال الأصيل لها، كما أنه في غالب الترميم يميلون إلى إعادة استعمال الأنقاض لإعادة إحيائها. (بودا) هو الجزء التاريخي المرتفع والذي انطلقت منه الثورة المجرية عام 1848، يحتوي على العديد من المزارات التي تجذب الكثير من السياح، بالإضافة إلى مبنى البرلمان المجري وقصر كبرياني بالوتا الذي يعد متحفًا كبيرًا، ومركزًا ثقافيًا مميزًا في هنغاريا، كذلك يضم الآن متحف التاريخ والمتحف الوطني ومتحف الفن المعاصر والمكتبة الوطنية.





وهو مدرج على (قائمة التراث العالمي) وتخضع لإعادة ترميم، وقريبًا منها، يقع مرج صيادي السمك، وكنيسة ماتياس التي حوّلت في عهد العثمانيين إلى مسجد.

وعلى تل غير بعيد، ما زال تمثال لطير (تورول) الأسطوري يحلق عاليًا، ومعه أسطورته التي تروي كيف أرشد هذا الطير القبائل المجرية إلى هذه المنطقة حيث استقرت وبنت دولتها. ومن المعالم المميزة أيضًا، مبنى البرلمان، وميدان الأبطال، ودار الأوبرا، وقصر الفنون، ومتحف بودابست التاريخي، والحديقة العامة (سيتي بارك)، وتلة غيليرت، وهناك أيضًا جسر السلسلة، (زيتشني لانشيد)، وهو الأقدم وكان يربط بين مدينتي بودا وبست. معظم هذه المعالم يعود إلى القرن التاسع عشر الذي يعد العصر الذهبي للمجر، ويلاحظ فيه التأثيرات الأوروبية، خصوصًا لجهة الفن المعماري. لذلك، ليس غريبًا أن تسمى بودابست (باريس الشرق)، وأن يُطلق على أحد أهم شوارعها، شارع أندراشي، اسم (الشانزيليزيه)، فهو صمم فعلاً على هيئة الشانزيليزيه الفرنسية في القرن التاسع عشر. علمًا أن هذا الشارع مدرجٌ على قائمة (يونيسكو) للمناطق المحمية، وليس غريبًا أيضًا هذا التشابه الكبير بين (دار الأوبرا) المجرية و(أوبرا فيينا) الشهيرة، حيث أن المجر كانت جزءًا من (الإمبراطورية النمساوية – المجرية). على أن أوبرا بودابست أكبر حجمًا وأكثر زخرفة بحيث تلائم الشخصية الحضارية المجرية ذات الأصول الشرقية الآسيوية. كذلك فإن التأثير البريطاني واضح في بودابست، نراه في بناء الجسور، مثل (جسر السلسلة) الذي صممه مهندس إنكليزي على هيئة جسر مماثل وأقل حجمًا كان صممه لمدينة مارلو البريطانية. كما أن نظرة واحدة على البرلمان المجري تستحضر البرلمان البريطاني (ويستمنستر)، خصوصًا أن مهندسه درس الهندسة في بريطانيا. ويعد البرلمان المجري أحد أجمل المباني المطلة على الدانوب، خصوصًا عندما يضاء ليلاً، وهو ثالث أكبر برلمان في العالم، والأعلى كلفة لأن معظم جدرانه وإكسسواراته مطلية بذهب من عيار 24. ويتوسط إحدى قاعاته (التاج الملكي) الذي يعده المجريون أعلى مراحل الفخر الوطني، ويحاط بحماية فائقة، ويُمنع تصويره أو الاقتراب منه.

عندما تتجول في مساء بودابست تنخفض درجات الحرارة، ولن تشعر حينها إلا بدفء التاريخ الذي تشاهده في طرقات بودا متجليًا في حصن هالاباستيا (حصن صياد السمك) بشرفاته ذات الطراز الروماني والأوروبي. أما الجزء الشرقي (بست) فتعد مركزًا تجاريًا مهمًا، حيث تكثر فيها الأسواق والمحال التجارية، ومراكز الترفيه، وهي مدينة تعج بالحركة ليلاً ونهارًا، ويرتبط الجزآن بسبعة جسور تعد من أجمل الجسور التي يمكن أن تشاهدها، إذ يحمل كل جسر طابعه وتاريخه الخاص وتصميمه المميز، وحينما تسير على أحد الجسور ستشعر وكأنك معلق بين السماء والنهر، والعجيب أن هذا الجمال يختلف مشهده تمامًا في الليل عن النهار، وكأن لكل منهما روحًا مختلفة.

يحتوي الجانب الشرقي (بست) أيضًا على أكبر حديقة حيوان في أوروبا، وفنادق ومناطق سياحية تجذب السياح، وعلى غرار (لندن آي)، يوجد كذلك (بودابست آي)، وهي عجلة شاهقة الارتفاع يمكن أن تحمل 332 شخصًا، كذلك تميزت منطقة (بست) بمبانيها العتيقة والمعاصرة، وبوجود ساحة الأبطال التي تتمتع بهندسة معمارية مميزة، إذ تعد الساحة أحد مواقع التراث العالمية، ويوجد بها نصب تذكاري ضخم يُعرف بنصب الألفية، وهو يمثل قادة القبائل السبع التي كونت المجر، ويطل على الميدان مبنيان مهمان في العاصمة المجرية وهما متحف الفنون الجميلة، وقصر الفنون.

وعلى الرغم من أن بودابست خلعت ماضيها الشيوعي، فغيّرت أسماء شوارعها وأزالت التماثيل المرتبطة بتلك الحقبة، وقامت بتحديث المدينة إلى ما هي عليه اليوم، إلا أن الماضي القريب ما زال حاضرًا عبر شواهد عددت بعضها مجلة (وير) الهنغارية في عددها الأخير، ومنها: (منزل الرعب) الذي تحول إلى متحف بعد أن كان مقراً للبوليس السري، وتُعرض فيه طرق التعذيب وأدواته في عهد ستالين. (ميمنتو بارك) على مشارف بودا، والذي يضم تماثيل ونصبًا تذكارية قديمة وحديثة، منها قدم ستالين، وهي الجزء المتبقي من تمثال له تم تدميره خلال انتفاضة عام 1956. النصب التذكاري السوفياتي الذي أقيم في ذكرى نصر الجيش الأحمر عام 1945. تمثال (إمري ناغي) واقفًا على جسر يرنو إلى مبنى البرلمان، علمًا أن ناغي هو قائد انتفاضة عام 1956 ضد الستالينية، والتي انتهت بإعدامه. مقهى (بامبي اسبريسو) الذي حافظ على ديكوره الخارجي والداخلي منذ افتتاحه قبل 50 عامًا، وما زال الإقبال عليه كبيرًا حتى اليوم، ربما، على حد قول المجلة، «لأنه يذكر المجريين بالجوانب الإيجابية للحقبة الشيوعية، وعلى رأسها توفير حاجاتهم الأساسية من وظائف ورواتب تقاعد وتعليم مجاني، والكثير من المنتجات الاستهلاكية، ما جعل المجر في حينه (الثكنة الأسعد) للكتلة الشرقية».

سحر بانورامي على أن سحر بودابست ورومنسيتها يتبديان في طلاتها البانورامية، وفي ليلها، فلا أجمل منها عندما يتسلل الغروب وتنطفئ الشمس على إنارة مدروسة صممتها شركات أجنبية استقدمت خصيصًا لهذا الغرض، وها هي المدينة تتكشف بأجمل حليها، وتتراقص على صفحات مياه نهر الدانوب، وللمدينة ونهرها طلات بانورامية كثيرة، من بينها تلة (غيليرت)، أو العجلة العملاقة (عين زيفيت)، أو من مرج صيادي السمك، أو حتى خلال تناول الطعام في مطعم (هالاسباستيا) المطل على الدانوب، ولاستكشاف معالم المدينة وكنوزها، يمكن القيام بذلك برًا في الباصات السياحية، أو بحرًا على متن سفن (دوناراما)، أو جوًا على متن هليكوبتر أو طائرة (إل إي- 2)، وهي الوحيدة في أوروبا التي ما زالت صالحة للاستعمال للأغراض السياحية.

مدينة المنتجعات الطبيعية ولا تكتمل زيارة بودابست من دون زيارة المنتجعات الاستشفائية الاستجمامية



التي تشتهر بها البلاد، خصوصًا بوجود المياه الساخنة المعدنية التي جعلت من المجر إحدى الوجهات الرئيسة للسياح الذي يبحثون عن الاستشفاء والعلاج الطبيعي، ووصفت بـ (مدينة المتنجعات الطبيعية)، فبسبب موقعها بين صدعين، تندفع موجات البحر من الجهتين لتستقر تحت أرض المجر، ونتيجة الضغط تسخن وتخرج إلى السطح على هيئة 118 ينبوعًا، ومن المتنجعات الأشهر في بودابست منتجع (زيتشنيي) الواقع في مبنى ضخم في الحديقة العامة (سيتي بارك)، وفيه برك خارجية وداخلية، وعلاجات التدليك المختلفة، كذلك تمتاز هذه المدينة بالحمامات التركية الأصلية التي تعود إلى القرون الوسطى، علمًا أن هذه الحمامات لم تعد موجودة في أي عاصمة أخرى في الاتحاد الأوروبي.

المطبخ المجري كما لا تكتمل الزيارة من دون تذوق المطبخ المجري الشهير بأسماكه المتنوعة ولحوم الغزلان والبط والإوز، ولا بد أن الكثيرين تذوقوا أكلة (الغولاش) أو سمعوا بها، ومن أشهر منتجات هذا البلد، الفلفل الحار (البابريكا) الذي ينتج على مستوى واسع ويعرف عالميًا بجودته، كما تنتج الـ هفوا غراء (كبد الإوز) وهالباتيه بأنواعها.

واللافت في بودابست أنه رغم طموحها للتحديث والانفتاح على العالم، وهو ما يلاحظ من خلال انتشار بوتيكات الماركات العالمية، والمطاعم الراقية من جنسيات مختلفة، خصوصًا الأسيوية مثل (نوبو)، وتداول اللغة الانكليزية على نحو واسع، إلا أن مصدر فخرها وما تروج له هو ما تشتهر به أساسًا وما هو محلي ويعكس هويتها، مثل معالمها السياحية، ومنتجعاتها، ومطبخها، وحتى أزيائها، يضاف إلى ذلك اعتزاز المجريين بإرثهم الحضاري، فتسمعهم يقولون إن لديهم ثالث أكبر محطة أنفاق وثالث أكبر برلمان في العالم، وإنهم اخترعوا الكمبيوتر، في إشارة إلى جهود عالم الرياضيات المجري جون فون نيومان في هذا الصدد، وإنهم اخترعوا (منهج كودائي) لتعليم الموسيقى، ولعبة (مكعب روبيك) الأكثر مبيعًا في العالم، وقلم الحبر الجاف (بيرو)، كما يتحدثون عن جائزة (بوليتزر) التي استحدثها جوزيف بوليتزر، المجري الأصل الذي كان أكبر ناشر للصحافة الأمريكية في التاريخ، ويضيفون أن مجلة (الناشيونال جيوغرافيك) عدت خط (الترام 2) سابع أهم منظر في العالم.



مهرجان بونجال للحصاد إرث ثقافي هندي



حسن محمد النعمي

لكل شعوب الدنيا تراثها وإرثها الثقافي الخاص بها وهي فقط من تتميز به خلاف غيرها من الشعوب الأخرى ولهذا الإرث الثقافي ارتباط بثقافة كل عيد الحصاد بونجال في جنوب الهند هو ثقافة رائعة من ثقافات الشعب الهندي يقام الاحتفال بهذه المناسبة في الرابع عشر من كانون الثاني/يناير من كل عام إلى منتصف شهر شباط/فبراير وهو عادة هندية حيث لا يخلو تاريخ الهند ذلك البلد العريق الموغل في الأساطير والغموض، من ميل فطري للبهجة والمرح يتلخص في العديد من الاحتفالات والمهرجانات التي تتوزع على مدار العام، والتي تعد أحد أهم عوامل الجذب السياحي في هذا البلد الجميل، ومن أهمها مهرجان البونجال، ويعد مهرجان احتفالات البونجال من أهم وأشهر مهرجانات طائفة التأميل في ولاية تاميل نادو الهندية، وهي من أهم وأعرق الطوائف العرقية الهندية التي تقوم على الاختلاف في اللغة والدين، ويتواجدون بصفة أساسية في جنوب الهند، ويختص المهرجان باحتفالات الحصاد في الهند، وهو عيد للشكر وإبداء الرضا للطبيعة عن المحصول الوفير ولكن على طريقة طائفة التأميل الهندية، وذلك لأهمية الحصاد في تلك الحضارة التي تقوم على الزراعة، حيث يعتمد فلاحو الهند في الزراعة على الماشية والمطر الموسمي والشمس، ولا بد لهم على الأقل مرة كل عام من إبداء الشكر لتلك العوامل الطبيعية التي تعينهم وتضمن لهم في النهاية محصولاً وفيرًا وذلك من خلال فعاليات مهرجان البونجال، ويتم الاحتفال بالبونجال في المدة من منتصف كانون الثاني/يناير وحتى منتصف شباط/فبراير أي في موسم حصاد الأرز وقصب السكر وغيرها من المحاصيل المهمة داخل الهند، ويستمر الاحتفال بالبونجال أربعة أيام، ترمز للوفرة والسلام والسعادة، ويعقد المهرجان أيضًا لتكريم الشمس وشكرها على المحصول الوفير، وفيه تتجمع العائلات للاحتفال ومشاركة المحاصيل المختلفة مع بعضهم البعض، وتقدم للشمس أطباق من اللبن والأرز، وللاحتفال بالمهرجان يشترى الهنود الملابس الجديدة والمزركشة، بينما تعد سيدات البيوت الكثير من أصناف الحلوى لاستقبال الزائرين بكل ما هو طريف ونادر لاستقبال البونجال، حيث ينتشر الاعتقاد أن الاحتفال بالبونجال يجلب الثروة والسعادة للمنزل، وبينما يعد البونجال عمومًا احتفالاً بالشمس والحصاد، إلا أن كل يوم من أيامه الأربعة يخصص لعبادة أحد المعبودات المحلية، التي تقدر بالمئات في الهند، كما تنتشر على هامش المهرجان بعض الأنشطة الرياضة، وليس أطرف ولا أمتع من رياضة ترويض الثيران، التي يبدو أن لها في الهند

يتم الاحتفال بالبونجال في المدة من منتصف كانون الثاني/يناير وحتى منتصف شباط/فبراير أي في موسم حصاد الأرز وقصب السكر وغيرها من المحاصيل المهمة داخل الهند

مفهومًا آخر. وتعد مصارعة الثيران الهندية التي يطلق عليها (جليكاتو) أو (مانيا فيراتو) من أغرب الرياضات الهندية، وتقوم في الأساس على ترويض الثيران لا تعذيبها أو التخلص منها في النهاية كما في اسبانيا، وهي من أقدم وأعرق الرياضات التاريخية الباقية في العصر الحديث، وعلى الرغم من تشابهها مع رياضة الجري خوفًا من الثيران الإسبانية الشهيرة إلا إنها مختلفة تمامًا. ففي جاليكاتو لا يفترض بالماتادور أو المصارعين استخدام أي أسلحة، بل تقتصر كل واجبات المصارعين في الانقضاض على الثور الثائر محاولين الإمساك بسنم صغير على ظهره، يشبه سنم الجمل لكنه أصغر، وتتميز به فصائل الثيران الهندية، ويتبع ذلك محاولة التحرك مع الثور الهائج بدون السقوط أو الإصابة بأي أذى، إلا أن الأمر لا يخلو من بعض الدهسات بالأقدام من الثور للمصارعين الساقطين أو توجيه ضربات قوية لهم بقرونه الغليظة والحادة، وهو ما يمثل الجزء السلبي في اللعبة التي ينظر لها معتنقوها وممارسوها على أنها نوع من إثبات الذات، وإحياء التاريخ. ويتبع منظمو الرياضة وممارسوها بعض الإجراءات والممارسات المقبولة وغير المقبولة، وذلك لدفع الثور المصارع للجنون والخروج عن المألوف، قد يكون أبسطها ذر الفلفل الأحمر الهندي في عيونه قبل بدء المسابقة إثارة لحفيظته وضمانًا لتوحشه وهياجه، وذلك إثارة لحمية المباراة، التي ما أن تبدأ حتى يلقي المشاركون بأنفسهم على الثور الهائج محاولين ترويضه والحصول على الجائزة التي تعد أحد أهم السمات المميزة لمهرجان البونجال. وتعد هذه الرياضة لعبة جماعية، ويرجع تاريخها إلى حضارة وادي السند قبل 5000 آلاف سنة مضت ما يجعلها من أقدم العادات والرياضات التاريخية الباقية على وجه الأرض، حيث عثر على بقايا أثرية ترجع لحضارة وادي السند، عليها تصوير قديم لرياضة مصارعة الثيران الهندية ما يدل على شيوعها أثناء تلك الفترة الحضارية، هذا فضلاً عن أدلة أثرية كثيرة تدل على شيوع رياضة الجاليكاتو بين المحاربين القدماء أثناء العصر الكلاسيكي لحضارة التأميل.



http://www.corbisimages.com- photo by Frederic Soltan

سباق القوارب في منطقة ألابوزا خلال مهرجان الحصاد السنوي



رياضة ترويض الثيران، لها في الهند مفهومًا آخر



http://www.corbisimages.com- Manoj Deka

الكثير من الناس يقومون بصيد الأسماك في الأراضي الرطبة التي تعد جزءًا من مهرجان الحصاد



متحف فيكتوريا وألبرت في لندن

متحف فيكتوريا وألبرت هو جزء من مجموعة متاحف تقع في جنوب كينسنجتون لندن بتجمُّع كبير للمتاحف يدعى شارع المعارض الذي يحتوي على متحف التاريخ الطبيعي ومتحف العلوم وكذلك تقع قاعة ألبرت الملكية. وقد تم إنشاؤه عام 1852 وتم تمويله عن طريق المعرض العظيم في عام 1851 ولقد تم نقله إلى مكانه الحالي في عام 1909 . وسُمِّي نسبةً إلى الملكة فكتوريا وزوجها الأمير ألبرت.

ويُعد متحف فيكتوريا وألبرت من أعظم المتاحف العالمية المختصة بالفنون والتصاميم، إذ، يحوي على قطع ومعروضات لا مثيل لها من حيث العدد والنوع. إن مجمل معروضات المتحف تعكس ما يزيد على 3000 سنة من التاريخ العريق للعديد من الثقافات العالمية الغنية إذ يحتوي مجموعةً من 4.5 ملايين قطعة مختلفة تشمل قطع خزفية وأثاث وأزياء وزجاجيات ومجوهرات وتحف معدنية وصور فتوغرافية ومنحوتات ومنسوجات بالإضافة إلى اللوحات الفنية.

تبلغ مساحة متحف فكتوريا وألبرت نحو 12.000 آكر، أي ما يعادل 51.000 م2 تقريبًا ويتضمّن 145 معرضًا مختلفًا. توثّق القطع التي يعرضها المتحف 5.000 سنة من تاريخ الفن في قارات أوروبا وأمريكا الشمالية وآسيا وشمال أفريقيا. تتضمّن أنواع القطع الفنية المتضمّنة في المتحف الخزف والزجاج والنسيج والأزياء الوطنية والفضة والمجوهرات والأثاث والنحت والطبعات الفنية والرسم والصور الفوتوغرافية، وتعد المجموعات التي يمتلكها المتحف من هذه القطع بعض أكبر المجموعات في العالم من نوعها. لدى المتحف أكبر مجموعة في العالم بأسره من القطع المنحوتة التي تعود إلى حقبة ما بعد العصور الكلاسيكية، وبينها أضخم مجموعة من قطع النهضة الإيطالية موجودة خارج إيطاليا. أما المجموعات الآسيوية فتتضمّن قطعاً من شبه القارة الهندية والصين واليابان وكوريا والعالم الإسلامي، وتتميّز كثيرًا المجموعات المتاحة من شرق آسيا خصوصًا تلك التي تتضمّن الخزف والأدوات المعدنية.

أطلق المتحف منذ عام 2001 برنامج تجديد وتطوير ضخم تبلغ تكلفته 150 مليون يورو، سيتضمّن بناء معارض وأسواق وحدائق جديدة للمتحف.



إناء كيوت و- ياسويوكي- 1875

تبدو صالات عصر النهضة والتي تحتل مساحة طابقين في مبنى المتحف الهائل، الذي تقع بوابته الرئيسية في جادة كرومول، كأنها متحف داخل متحف.

زيارة هذه القاعات لا بد أن تبدأ مع المنحوتات والتماثيل العاجية الرومانية والبيزنطية القديمة، وهي من أقدم المعروضات في المتحف ويعد المدخل الرئيسي لدراسة الفنون الأوربية في العصور اللاحقة، هناك مثلاً، تمثال من العاج صُنع حوالي 400 بعد الميلاد، لامرأة نبيلة من روما وهي تقدم قرباناً لاله ذهبي، وهذا دليل على التزام نبلاء روما، في ذلك الوقت بدينهم الوثني القديم وليس بالدين المسيحي المستحدث.

تعد المجموعات التي يمتلكها المتحف من هذه القطع بعض أكبر المجموعات في العالم من نوعها. لدى المتحف أكبر مجموعة في العالم بأسره من القطع المنحوتة التي تعود إلى حقبة ما بعد العصور الكلاسيكية.

يحتوي مجموعةً من 4.5 ملايين قطعة مختلفة تشمل قطع خزفية وأثاث وأزياء وزجاجيات ومجوهرات وتحف معدنية وصور فتوغرافية ومنحوتات ومنسوجات بالإضافة إلى اللوحات الفنية.



فن النحت



المذهل والذي يجعل أي زائر يمعن النظر فيه لوقت طويل.
وعُرضتْ مسودات ودفاتر ليوناردو دافنشي وتخطيطاته الهندسية والفنية في نسختها الاصلية.

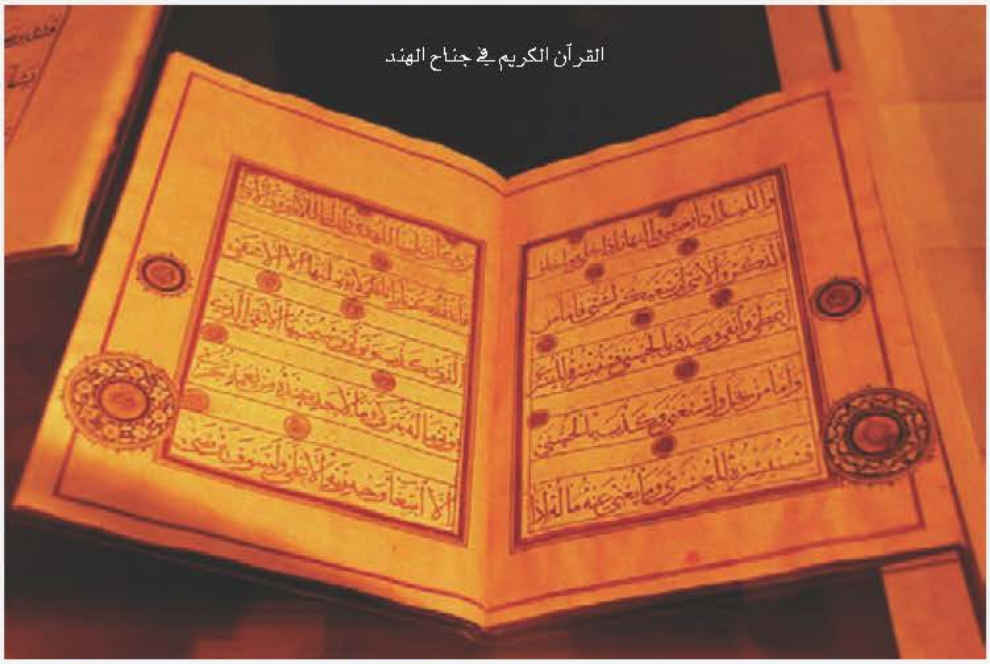
ويحتوي المتحف على أكثر من 6000 قطعة من مصر العتيقة وحتى حقبتها الحديثة مثل المجوهرات الشهيرة التي تتضمن فستان من الحلي والماس تم صنعها خصيصًا لشخصيات تاريخية مثل ماري أنطوانيت وكاثرين العظيمة.

كذلك يحتوي على مجموعة من الفنون الآسيوية والهندية هي الأكبر من نوعها وتضم قطعًا فريدة من أماكن مثل الهمالايا والصين.

متحف فكتوريا والبرت هو بحق مستودع الثقافة والتاريخ لما يحتويه من أعمال فنية مختلفة من داخل بريطانيا وبلدان العالم.

وهناك أيضًا نعش يسمى بـ(فيرولي) من القرن العاشر يصوِّر العبادة الوثنية، وقد وجدت هذه التماثيل طريقها إلى قاعات العرض، بعد أن زال تهديد الوثنية للمسيحية. ومع استثناءات قليلة فإن هذه القاعات تمثل المسيحية بإخلاص، من خلال أشكال الصلبان المختلفة والمزركشة والمشاهد المنحوتة لآلام المسيح وتماثيل مريم العذراء وصور القديسين حيث كان الفن مختصرًا في أغلب صوره، على هذه الثيمات فقط.

ويمر الزائر في طريقه إلى القاعة الرومانية بفاصل حجري كبير يعود تاريخه إلى 1160 بعد الميلاد مزين بأقواس نصف دائرية وأعمدة تعلوها تيجان مزخرفة، وسوف يلاحظ بكل وضوح، جلال وقوة فن الصياغة النحتية في القرون الوسطى. على سبيل المثال، شمعدان كاتدرائية مدينة كلوستيستر، الفريد من نوعه والذي لا يوجد له أي نسخة أخرى في متاحف العالم، يعود تاريخه إلى القرن الثاني عشر، وهو عبارة عن سرب من ورق الشجر المذهب مع تماثيل مذهبة لرجال ووحوش يتصارعون للوصول الى ضوء الشمعة وتجنب الوقوع في الظلام، هذا الشمعدان يتشابه إلى حد ما مع منحوتة مايكل أنجلو (يوم الدينونة) أو منحوتة رودان (بوابة الجحيم). وهناك أيضًا عرض لمنسوجات مذهلة من تلك الفترة كما في (قبعة سيون) التي نُسِجتْ بالحرير والخيوط الفضية الخضراء والبنية اللامعة من قبل حرفيٍّ لندن عام 1300، وكان يرتديها الأساقفة في المناسبات الدينية مثل أعياد الميلاد. وهناك قطعتان فنيتان تعرضان في نهاية قاعات القرون الوسطى، أولهما كأس مصنوعة من الفضة والذهب مفصصة بالمينا الخضراء والزرقاء التي تعكس الضوء المار خلالها، والقطعة الاخرى، منبر الوعظ المنحوت من قبل النحات الايطالي جيوفاني بيسانو حوالي عام 1300 وهو عبارة عن تماثيل عاجية صغيرة تُشكل مع بعضها أعمدة المنبر



القرآن الكريم في جناح الهند



من داخل متحف فيكتوريا وألبرت



جيفري بريستن بيزوس
مؤسس أمازون AMAZON.COM

رقميون غيروا حياتنا

هذه المادة مختارة من كتابي (رقميون غيروا حياتنا)



ناصر بن محمد الزمل

رئيس التحرير @nalzumal

جيفري بريستن بيزوس JEFF BEZOS ذلك الشخص الذي أنشأ أكبر موقع تجارى للبيع والشراء على الإنترنت، هو صاحب ومؤسس شركة أمازون الأمريكية AMAZON.COM، الذي كان CADABRA، وحاليًا يتصدر هذا الموقع أكبر مواقع البيع الإلكتروني في ساحة الويب كافة، حيث تُعدّ من أفضل الشركات لبيع مختلف المواد والمستلزمات الحياتية عن طريق الإنترنت.

ولد في مدينة (ألبوكوركي) المكسيكية في 12 كانون الثاني/يناير 1964، وهو المؤسس، والرئيس، والمدير التنفيذي ورئيس مجلس إدارة شركة أمازون دوت كوم، تخرج جيف في جامعة برينستون بولاية نيوجيرسي الأمريكية عام 1986، بعد تخرجه مباشرة انضم إلى شركة FITEL ، المشهورة في ذلك الحين بأنها الأفضل في التقنيات العالية المستوى، ومقرها نيويورك.

سنة 1988 ، خرج جيف من الشركة، والتحق بأخرى تحمل الاسم BANKERS TRUST، ومقرها كذلك نيويورك، وأصبح رئيسًا لها بعد سنتين فقط من التحاقه، أي عام 1990 .

منذ سنة 1990 حتى 1994 ، اشترك جيف في بناء أكثر الموارد المالية الكمية نجاحًا وتعقيدًا في وول ستريت لشركة D.E SHAW & CO في نيويورك، وأصبح نائب الرئيس فيها سنة 1992 . قبل أن يؤسس شركة أمازون عام 1994 .

وعام 1999 اختير جيف بيزوس (شخصية العام) التي تختارها مجلة التايم كل عام.

كانت البداية سنة 1990 ، وقبل ورود فكرة بيع الكتب عبر الإنترنت إلى رأس بيزوس، أصبح جيف بيزوس أصغر نائب للرئيس في تاريخ بانكرز ترست، وعلى الرغم من جاذبية منصب كهذا، إلا أن بيزوس شعر بالملل ما دفعه إلى التوجه إلى شركة دي إي شاو للخدمات المالية والعمل في البحث عن فرص استثمارية في الإنترنت، ترك وظيفته هذه، وتحرك إلى قرية السيليكون لتأسيس أمازون.كوم.

عام 1994 لاحظ بيزوس أن معدل الاهتمام بالإنترنت يتزايد بنسبة 2.3 % كل عام، وبحسه التجاري عرف أنه يستطيع أن يسهم في صنع التاريخ باستغلال هذا الإقبال الشعبي.

في البداية لم يستطع أن يحدد نوع المجال الذي يمكن أن يستقطب العملاء، ثم اكتشف أن خدمات البيع البريدية هي أكثر الخدمات التجارية رواجًا، وأن أكثرها ملاءمة لممارسته عبر الإنترنت هو تجارة الكتب بسبب صعوبة توزيع قوائمها الضخمة بريديًّا. تخيل بيزوس ماسيحدث لو توافرت هذه القوائم لعدد لا نهائي من العملاء الذين يحددون خياراتهم، ويدفعون ثمنها إلكترونيًّا لترسل طلباتهم بالبريد. وفورًا قرر السفر لحضور مؤتمر في لوس أنجلوس خاص بدور النشر الأمريكية، فعرف أن هذه الدور تحتفظ بقوائم إلكترونية بعناوين الكتب المتوافرة لديها، ومن هنا قرر بيزوس أن يكون أول من ينشئ مكتبة إلكترونية في العالم.

لم يكن من السهل إقناع كبار المستثمرين في استثمار مليون دولار في إطلاق شركة لم يكن لها مثيل في التاريخ، وكان أكبر تحدٍّ في نظر جيف بيزوس، مؤسس أمازون. كوم كان عام 1995 عندما كان يسعى إلى جمع مليون دولار كرأس مال لإطلاق شركته وضمان استمرارها في العمل. ويعبر بيزوس عن ذلك بقوله: مرت عليَّ أوقات كان يمكن أن تتلاشى فيها الشركة حتى قبل أن تبدأ أعمالها.

لم يتوافر لبيزوس في ذلك الوقت المستثمرون الراغبون في تمويل فكرته بمليون دولار أمريكي، غير أنه وجد في حوزته مبلغ 100.000 دولار حصل عليها من والديه، وذلك ما يصفه بيزوس بالبذرة الكلاسيكية التي تأتي من الأشخاص الذين يراهنون على منظم العمل، وليس على فكرة الشركة. وبالاعتماد على القليل من المعارف الذين تربطه بهم علاقات أيام كان يعمل في وول ستريت، تمكن من عقد لقاءات عدة مع



amazon.com®

كثير من المستثمرين الكبار في قرية السيلكون.

وفي مدة امتدت بضعة أشهر التقى نحو 60 مستثمرًا لدعم مشروعه، وفي الوقت نفسه، كان يعمل على توظيف مبرمجين من أجل تصميم موقع وإنهاء تفاصيل شركته المثيرة للجدل. «كان أصعب مما توقعنا» بهذه العبارة يصف بيزوس إقناع كل شخص باستثمار 50 ألف دولار في أمازون. كوم AMAZON.COM . كان فهم المستثمرين و إيمانهم بإمكانيات الإنترنت ضعيفًا، لدرجة التشكيك في نجاح مشروع مثل أمازون. وقد سمع بيزوس كثيرًا من التعليقات المثادة من أشخاص سيئي النية لا يأمنون بالخطة التجارية ابتداءً، وكانوا يعتقدون بأنها لن تنجح. ومن العبارات التي يتذكرها في أثناء زياراته للمستثمرين: «ما السبب الذي يدفع الزبائن إلى شراء الكتب من الإنترنت ؟» «وإذا نجحت خطتك، ستجد أنك في حاجة إلى مستودع بحجم مكتبة الكونغرس». وباستفادة من بحث أجراه جون كوارترمان، الذي يُعدّ من رواد البحث عن بيانات تتعلق بالشبكة العنكبوتية، قال بيزوس للمستثمرين لديه: إن الشبكة تنمو بنسبة 2300 في المئة سنويًا، وإن الخطة التجارية التي أرادها أن تغطي جميع أرجاء البلاد كانت تفترض وجود شركة للبيع بالتجزئة على الشبكة تركز على بيع الكتب – «متجر إلكتروني لبيع الكتب يضم أكثر من عشرة أضعاف التشكيلة التي يمكن أن توجد في أكبر المتاجر التقليدية». وشرح لهم أن في نيته بناء شيء فريد على الشبكة لا يمكن تكراره في العالم المادي. وهذه النقطة درس للمستثمرين وغيرهم: «اطلع، واتقد من البيانات الموجودة في الإنترنت والصحف والمجلات فيما يخص مجالك، وذلك يدعم فرصة نجاح مشروع، ويعطي ثقة في نفسك».

وفي تشرين الثاني/نوفمبر 1994 ، بدأ بيزوس مشروعه من جراج صغير في منزله، مستخدمًا جهاز كمبيوتر ومنضدة، ولا تسانده سوى زوجته ومجموعة صغيرة من أصدقائه. عمل بيزوس معهم على تصميم موقعه الإلكتروني وربطه بقواعد بيانات موزعي الكتب، ثم أطلق عليه اسم (أمازون) AMAZON.COM تيمنًا باسم أكبر أنهار العالم الذي يغذي بحيراته أمريكا الجنوبية. وقبل افتتاح الموقع طلب من 300 من أصدقائه تجربته، ثم طلب منهم الترويج له وسط معارفهم وجيرانهم.

وفي تموز /يوليو 1995 ، افتتح بيزوس موقع (أمازون) الذي غير وجه التجارة في العالم، وحوّل كل عملية التسوق التقليدي إلى تجارة إلكترونية واسعة النطاق.

حقق بيزوس نجاحًا باهرًا منذ اليوم الأول لمشروعه، ووصلته خلال أسابيع قليلة طلبات شراء تتعدى 20 ألف دولار. وبنهاية عام 1999، صار موقع AMAZON.COM شركة يتعدى رأس مالها المليارات، وتبيع أكثر من 3 ملايين كتاب، وتشعبت شبكتها التسويقية إلى أقصى حد. وعامًا وراء عام لم تعد شركة (أمازون) تقتصر على بيع الكتب، بل توسعت لتلبي طلبات الملابس والإكسسوارات والألعاب وأجهزة الكمبيوتر والمعدات الرياضية والعلمية، بل حتى الأدوية والحيوانات وأسطوانات للموسيقا والأفلام. هذا غير إنشاء محركات البحث الداعمة للتجارة الإلكترونية، وإحداث ثورة تكنولوجية جديدة بطرح جهاز قراءة الكتب الإلكترونية (كيندل).

بدأ المستثمرون يدركون أن بيزوس خطط للمستقبل باقتدار. وقد أقنعهم أن بإمكان التقنية الحديثة وصل للواقع بقاعدة بيانات دينامية، تتيح القيام بتخصيص الخدمة بحسب ميول الزبون، فمثلاً اقترح خدمة تعمل على إبراز المنتجات للمتسوق اعتمادًا على مشترياته السابقة، وتخزن بياناته التي قام بإدخالها في المرة الأولى مثل عنوانه ورقم بطاقة الائتمان الخاصة به، وقد أسهمت هذه الخدمة في شهرة موقع أمازون عند إطلاقها عام 2000.

وما يثير العجب حقًا، أنه بعد مرور سنة من تأسيس أمازون. كوم، AMAZON.COM بدأ المستثمرون بالاصطفاف خارج مكتب بيزوس، وكانت شركة (كلاي ر بيركنز كوفيلد آند بايرز) ذات الأسهم العالية الثمن من بين أولئك الذين استثمروا 8 ملايين دولار في الشركة، وهو ما أعدها على زيادة أرباحها بعدما كان بيزوس يلاقي الصعوبات لإقناع المستثمرين بنجاح فكرته.

جيف بيزوس من رجال الأعمال الذين لا يعيرون أي اهتمام للإعلانات الترويجية في التلفاز؛ وذلك اقتناعه بأن استخدام الإعلانات التلفزيونية يبني سمعة الشركة بالاستناد إلى ما تقوله الشركة عن نفسها، وليس ما يقوله الزبائن أنفسهم.

يقول بيزوس: «إذا كان ثمة أمر اكتشفناه، فهو أن زبائن الإنترنت يتمتعون بصفات أقوى. وإذا كان في وسعنا إسعاد الزبائن، يكون في مقدورهم الترويج لنا وإخبار خمسة آلاف آخرين عن تجربتهم عبر مجموعات الأخبار NEWS GROUPS مثلاً وغيرها. وبالمثل إذا شعر الزبائن بالسخط منا، ولو كنا نعي في العالم القديم لكان في مقدورهم إخبار القليل من أصدقائهم عن تجربتهم السيئة معنا. لكن في عالمنا الحاضر بات في مقدورهم أيضًا إخبار خمسة آلاف شخص عن مدى سوء معاملتنا».

يُعدّ جيف بيزوس مديرًا تنفيذيًا منقطع النظير، استطاع أن يفرض نوعًا جديدًا من التجارة. وإذا حللنا تجربته للاستفادة منها، فسنجد أن سياسته اعتمدت على تقديم أفضل سعر وأفضل خدمة وأفضل خيارات ممكنة إلى العميل. ليس هذا وحسب، بل وفّر خدمات إضافية، فهو ينصحك بشراء أشياء أخرى، ويطلعك على ما اشتراه غيرك مع الكتاب الذي تبحث عنه، ويبيع الكتب المستعملة، ويقدم عروضًا سعرية مميزة إذا اشتريت أكثر من كتاب، ويتابع خياراتك في الكتب ليقترح عليك عناوين أعجبت غيرك من القراء، وهو بذلك يعمل بالشعار الذي تبناه: «اعرف ما يريده العميل، ووفره له قبل أن يعرف أنه في حاجة إليه».

سنة 1998 و 1999 أوشك موقع أمازون أن يفلس، ولم يبدأ الموقع في تحقيق الأرباح إلا مع بداية سنة 2002، أي إنه كان يخسر، أو يدفع رأس المال بالكامل طوال سبع سنوات منذ إنشائه.

الموقع حاصل على جائزة أفضل شركة أمريكية تهتم بعملائها من جمعية الحفاظ على حقوق المستهلك بأمريكا.

ويقول جيف: إن هذا الأمر هو ما كان يؤول بنا إلى الخسائر في السنوات الماضية، فلقد كنا ومازلنا نقدم تعويضات مباشرة لعملائنا الذين لا تصل إليهم طلباتهم مثلاً لأي سبب كان، إضافة إلى طاقم خدمة العملاء المكون من كثير من الموظفين للرد على الأسئلة والاستفسارات بأسرع ما يمكن وبإفادة تامة ومفصلة.

تقدر ثروة جيف بيزوس الآن ب 4.85 مليار دولار = قرابة 18 مليار ريال، ويجيء في المرتبة الثالثة بوصفه أغنى ثلاثة أشخاص في العالم استطاعوا أن يكتنزوا بالإنترنت دخلاً لهم.



الخوف على الجنس البشري من ذكاء الآلات

الذكاء الاصطناعي كان لعقود كثيرة من نسج الخيال العلمي، لكنه الآن بات حقيقة، إذ أصبحت برامج الكومبيوتر التي تداول تطوير الذكاء الاصطناعي لتجاوز الذكاء البشري مثار قلق.

وهل ستصبح سيناريوهات هوليوود الكارثية واقعًا في المستقبل؟ أم أن الذكاء الاصطناعي سيظل محصورًا في إطار خدمة الإنسانية؟.

في شهر آذار/مارس 2014 في أحد أكبر معارض التكنولوجيا في مدينة هامبورغ الألمانية تم الكشف عن القرد (تشارلي) وهو عبارة عن روبوت شكله يشبه القرد، حيث يمكن لتشارلي أن يمشي على أطرافه الأربعة، التي تتيحُ له التنقل في التضاريس الوعرة كتلك الموجودة على سطح القمر، كما يمكن له أيضا أن يكونَ خطوة نحو الأمام في تدمير البشرية!

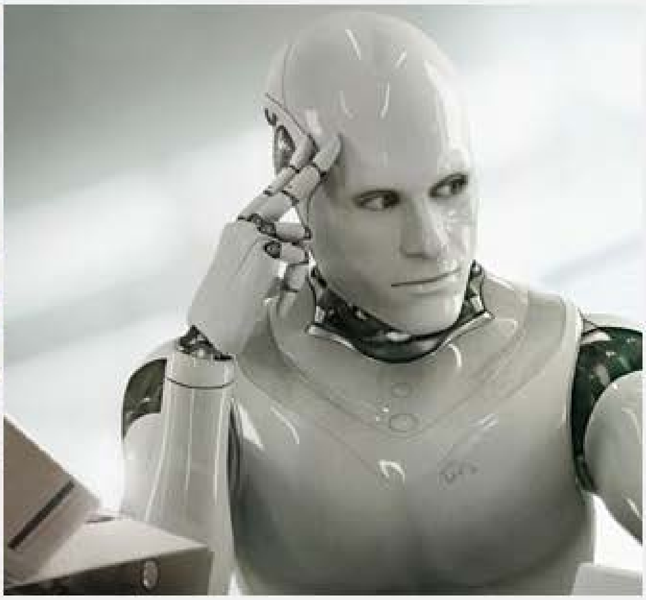
وتستخدم شركة غوغل هذا الاختبار في عمليات التصفح والبحث الذكية التي تتيحها على موقعها. كما تستخدمه ألعاب الفيديو لابتكار عوالم من الألعاب الإليكترونية ذاتية الديمومة. وتستخدمه أيضًا المتاجر الإليكترونية لبث نغمات موسيقية وأفلام تصنع وفقًا لأذواق الزبائن. وفي أوائل العام 2014 تمكن برنامج إليكتروني روسي من إقناع العلماء بأنه صبي يبلغ من العمر 13عامًا اسمه يوجين.

في الحقيقة ما زالت تفصلنا عقودٌ عن القدرة على تطوير حاسب فائق يمكن له أن يكونَ معتلاً نفسيًا بحيث يملكُ تلك الشخصية العدائية التي يمكن لها أن تستعبدَ الجنس البشري، ومع ذلك فإن خبراءُ الذكاء الاصطناعي يعملون بالفعل لتجنب ما هو أسوأ، عندما تصبح الآلات أكثر ذكاءً من البشر.

دفعت هذه المخاوف خبراءُ الذكاء الاصطناعي في مختلف أنحاء العالم للتوقيع على رسالة مفتوحة تمَّ إطلاقُها مع بداية هذا العام من خلال معهد مستقبل الحياة، يتعاهدونَ فيها على أن يتمَّ التطويرُ في مجال الذكاء الاصطناعي بشكلٍ آمنٍ وبحذرٍ شديدٍ لضمانِ عدم خروج التطور في هذا المجال عن السيطرة البشرية. ومنْ أبرزِ الموقّعين على هذه الرسالة مؤسسي شركة أعماق العقل "Deep Mind"، وهي شركةٌ بريطانية متخصصة في الذكاء الاصطناعي قامت جوجل بشرائها في أوائل عام 2014 الذي كان يمتلكها العالم ديميس هاسابيس. وفرض ديميس هاسابيس على غوغل وثيقة أخلاقية تحدد طريقة استخدامها لاكتشافاته في هذا المجال، إضافةً إلى أساتذة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا "MIT"، وخبراء بعض أكبر الشركات التقنية، كفريق واتسن للحواسب الفائقة التابع لشركة IBM، وقسم البحوث في شركة مايكروسوفت.

تأتي هذه الرسالة بعد أن أصدرَ العديدٌ من الخبراء تحذيرات حول مخاطر الآلات فائقة الذكاء، فقبل سنتين مضت، دعا ممثلُ الأمم المتحدة إلى فرض حظر على إنتاج واستخدام أو حتى إجراء الاختبارات على ما يُسمُّى بأسلحة التحكم الذاتي التي يمكن لها تحديد الأهداف وتنفيذ الهجوم عليها من غير التدخل البشري، كما ثارت العديدٌ من الانتقادات الأخلاقية لاستخدامات أخرى للآلات الذكية، فعلى سبيل المثال إذا احتاجت مركبةٌ ذاتيةُ القيادة لأن تنحرف لتفادي الاصطدام فهل سيكون من المقبول أخلاقيًا أن تقومَ الآلة باتخاذ القرار فيما إذا كانت ستضحي بحياة مشاة أو راكبي دراجات متواجدين في الطريق لإنقاذ حياة الموجودين ضمن المركبة أم لا؟

بشكلٍ مماثل، أعرب كلٌ من الفيزيائي الشهير (ستيفن هوكينغ) ورجل الأعمال والمخترع والمدير التنفيذي لشركة تسلا موتورز "Tesla Motors" (إيلون ماسك) عن مخاوفهم إزاءُ السماح للذكاء الاصطناعي بأن يعيث في الأرض فسادًا، ففي مقال كتبه لصحيفة الإندبندنت صرح هوكينغ بأنه: «يمكن للمرء أن يتصورَ أنه بإمكانِ





نظام يشبه القرد الروبوتية "تشارلي" يمشي على كل من أطرافه الأربعة (AFP)

مثل تلك التقنيات أن تسيطرَ بذكائها على الأسواق المالية، وأن تتفوق في اختراعاتها على الباحثين من البشر، وأن تتمكنَ من معالجة القضايا بمعزل عن القيادات البشرية، وأن تقومَ بتطوير أسلحة لا يمكن لنا حتى أن نفهمها». وأضاف قائلاً: «حيث يعتمدُ أثر الذكاء الاصطناعي على المدى القصير على من الذي يتحكم به، فإن أثره على المدى البعيد سيعتمد على ما إذا كان سيتاح لنا التحكم به أصلاً، بمعنى أن تصبح الآلة الذكية خارجة تمامًا عن السيطرة البشرية.

وقال البروفيسور هوكينغ لمحطة (بي.بي.سي) إن «النجاح في تطوير ذكاء اصطناعي كامل قد يؤدي إلى فناء الجنس البشري».

جاء ذلك ردًا على سؤال وجه إليه حول تحديث التقنية التي يستخدمها للتواصل مع الآخرين، والتي تحتوي على شكل بدائي من الذكاء الاصطناعي.

ويقول البروفيسور هوكينغ إن الأشكال البدائية من الذكاء الاصطناعي التي طورت الى الآن اثبتت فائدتها، ولكنه يخشى النتائج المترتبة على تطوير تقنية تعادل ذكاء البشر او تتفوق عليه.

وقال «قد تمضي في حال سبيلها، وتعيد تصميم نفسها بوتائر متسارعة. أما البشر، المحكومون بعملية تطور بيولوجية بطيئة، فلن يتمكنوا من منافسة هذه التقنية التي ستتفوق عليهم».

أما إيلون ماسك فقد أطلق في شهر آب/ أغسطس 2014 تغريدته على تويتر يقول فيها: «علينا أن نكون حذرين وبشدة مع الذكاء الاصطناعي فمن الممكن أن يكون أكثر خطورة من الأسلحة النووية»، وكان قد صرح أيضًا للجمهور في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا في تشرين الأول/ أكتوبر 2014: «أميل بشكل متزايد إلى أنه ينبغي أن يكون هناك بعض الإشراف التنظيمي على المستوى الوطني والدولي، فقط لنتأكد من أننا لا نفعل شيئًا شديد الحماقة».

وفي كانون الأول/ ديسمبر 2014 في كلمة له بمؤتمر علمي: حذر فيه البشر من (استدعاء الشياطين) «يجب أن نتصرف بحذر شديد بما يتعلق بالذكاء الاصطناعي،، نحن قد نكون أمام أكبر خطر وجودي يتهددنا. نحن نقوم باستدعاء الشياطين من خلال الذكاء الاصطناعي، والبعض يعتقد أن بوسعه السيطرة على الشيطان بعد استدعائه،، لكن ذلك لن ينجح» بما يتعلق بتطوير قدرات الذكاء الاصطناعي، وذلك رغم مبادرات ماسك التكنولوجية المعروفة، والتي يعلن صراحة عزمه من خلالها على نقل البشر نحو أبعاد جديدة في علوم الفضاء والبطاريات.

ودعا في المؤتمر الذي تحدث خلاله إلى فرض قوانين محلية ودولية لمنع البشر من القيام بـ(تصرفات خرقاء) بما يتعلق بالتقنيات الذكية.

وتفترض النظريات أنه كلما ازدادت إمكانات جهاز الكمبيوتر في الذكاء الاصطناعي، كلما ازدادت قدرته على التعلم، وكلما زادت قدرته على التعلم كلما ازداد ذكاؤه. وطورت شركة (فيكاريوس) في عام 2013 برنامجًا للذكاء الاصطناعي يمكنه أن يجتاز اختبارًا يستخدم على نطاق واسع على الإنترنت، وتم تصميمه ليخاطب البشر والكمبيوتر كل على حده، ويطلب الاختبار الذي يعرف باسم " كابتشا " وهي الحروف الأولى من عبارة (اختبار تورينج العام الآلي تمامًا للتحدث إلى الكمبيوتر والبشر كل على حده)، ويتطلب الاختبار من البشر إعادة كتابة مجموعة قصيرة من الأرقام أو الحروف السرية.

ونقلت صحيفة وول ستريت جورنال عن سكوت فونيكس المؤسس المشارك لشركة (فيكاريوس) قوله إنه يريد الذهاب إلى أبعد من ذلك، وابتكار أجهزة كمبيوتر يمكنها إن تتعلم كيف تعالج الأمراض، وأن تنتج طاقة متجددة، وأن تقوم بمعظم الوظائف التي يؤديها البشر، والهدف هو ابتكار «جهاز كمبيوتر يفكر مثل الإنسان، باستثناء أنه لا يتعين عليه أن يتناول الطعام أو ينام»، وذلك وفقًا لما نقلته الصحيفة عنه.

وهذا العام 2014 أسس العلماء بجامعة كامبريدج التي يعمل هوكينج مديرًا للأبحاث فيها (مركز دراسات المخاطر على الوجود البشري)، ومن بين أهدافه دراسة كيفية تعظيم الفوائد التي يجنيها الإنسان من الذكاء الاصطناعي وتجنب حدوث كارثة على غرار ما نراه في روايات الخيال العلمي.

غير أن كلا الهدفين لا يزالان بعيدين عن التحقيق، فقد أجرى الفيلسوف والمؤلف نيك بوستروم استطلاعا للرأي بين مجموعة من خبراء الذكاء الاصطناعي حول الموعد الذي يثقون أن العلم سيحقق فيه «مستوى رفيعا من ذكاء الآلات»، وأعرب هؤلاء العلماء عن اعتقادهم بأن ذلك سيتحقق في المتوسط عام 2075، وبعد ذلك بثلاثين عامًا يمكن ابتكار الآلات ذات الذكاء الفائق، والتي يمكن أن تتفوق على تفكير الإنسان، ولكن ما نسبته 21 في المئة منهم قالوا إن ذلك لن يتحقق على الإطلاق.

مما يجدر ذكره أن معهدَ مستقبل الحياة هو منظمة بحثية من المتطوعين فقط، أسَّسها العشرات من علماء الرياضيات وخبراء علوم الحاسب في جميع أنحاء العالم، هدفها الأساسي هو التخفيف من المخاطر المحتملة لذكاء صناعي بمستوى الذكاء البشري، والذي يمكنُ له أن يتطورَ بشكلٍ مخيف، أما خطتها طويلة الأمد فهي وقف التعامل مع خطرِ الذكاء الصناعي على أنه ضرب من الخيال، والبدء سريعًا بمعالجة احتمال أن يتفوق على حدود إمكانياتنا، وأنه يومًا ما سوف يبدأ بالعمل بشكل يتضارب مع البرمجة الخاصة به.

الحب والشعر

ميسون أبو بكر



أديبة وشاعرة ومذيعة في التليفزيون السعودي

mysoonabubaker@yahoo.com

@Mayabubaker

بعيدًا عن كل ما يختنق به العالم اليوم من صراعات وخلافات وموت وتشريد، أردت أن آخذك عزيز القارئ إلى عالم متعالٍ عما يحيط بنا، وإني امرأة كما تقول عنها خالدة سعيد؛ طلبت من الحبِّ ما طلبت من الشعر، طلبت أن يكون ثأرها من العالم وحصانها السحري للنجاة.

لم أكن أظن أن للشعر عصا سحرية تبدل نكهة الأشياء، وتذهب بمرارتها، لم أكن أعتقد يومًا أن حروفه تتحول لغيمات تحملنا لسماوات نقية وإيقاعه موسيقى تبدد رتابة الأشياء، الشعر الذي واجهت به قسوة الحياة مع شاعر شاركته رغيف الحياة وما تيسر بالقليل من الفرح.

الأعمال الشعرية الكاملة لسنية صالح هي من جعلتني بشكل أو بآخر أنبش ذاكرة الشعر وتاريخ امرأة مجبولة بالحب والحلم، علقت أوراقها على أغصان الريح وسافرت بها مع الفصول الهاربة، ثم لما أرادت أن تعود لم يحملها زورق الرجوع، فتبللت أوراقها بالبحر، ونامت جراحها على ضوء الشموع.

في عالم سنية الحقيقي والمتخيل بقيت سلافة وشام بطلتان بلا منازع، حيث كانت الشاعرة هي القنديل الذي ينير طريقيهما والدليل الذي يرشدهما للخلاص ولطالما دعتهما بحروف من الشعر لتحدي الواقع والصراخ بوجه القهر، ورفض الانحناء (وكأن الشعر مع ابنتيها هي الحصيلة التي تقف بها أمام الله).

ولما سُئلت ذات مرة عن القصيدة إن كانت تعيش تجربتها أم هي من وحي الحياة قالت: «الشعر عملية عبور النار، اشتعال الجسد والعقل والمخيلة بحمى الكشف، والبرق الذي يفاجئ الشاعر في أثناء ذلك لا يعنيه حدود ما يجري وأهدافه».

لعل ما يحدث في سوريا الآن وما يعانيه الشعب السوري من قهر وظلم من طاغية البلاد، أراه يتجلى فيما كتبت هذه الشاعرة من مشاعر، فكثر في شعرها الانكسارات ولم تخل قصصها النثرية أيضاً من هذا.

(عاشت مقلقة بيقينها الشعري، متعلقة بالأمل الذي يجيء من لدن الشعر، بل لائذة بعصمة الحقائق الشعرية وبها، هذا العالم الذي أعطاها مفتاحه وأجزل الوعود، فقد كان الشعر عزاءها ووعدها ومفتاح السر).

كانت هي سنية صالح زوجة الشاعر محمد الماغوط من أردت أن أحلق في هذا المقال بعالمها، وفي كل مرة كنت أحاول أنجو من ملاحم القتلى والأطفال المشردين الذين يعيشون اليوم نكبة سوريا، كنت أغرق في أيقونة قصائدها فتعيدني حروفها التي تتأوه من الألم إليها، تلك التي صارعت الموت بقوة الشعر.

من آخر البحر
ترتعشين كالعصافير
إذ تضرب خواصرها أجنحة الريح
والمطر
فوق أحزان المساء
أراك مطفأة